The Islamic University of - Gaza
Deanshif and Postgraduate
Faculty of Arts
Master of History



الجـامعــــــــة الإســــلاميــة بغــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــــــــــــــة الآداب
مـاجســـــــــــتير/ تـــــــــاريخ

حضارة مصر والشام كما يصورها كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لابن فضل الله العمري (٧٠٠- ٧٤٩هـ/١٣٠٠- ١٣٤٨م)

Civilization of Egypt and The Levant, as depicted in the book of "Masalik Al-Absar Fi Mamalik Al-Amasar for "Ibn Fadlullah Umari (700 -749 AH / 1300- 1348 AD)

إعدَادُ البَاحِث
أحمد خليل أحمد اليعقوبي

إشرَافُ الدُكتُور
غسان محمود أحمد وشاح
أستاذ الحضارة والتاريخ الإسلامي وحقوق الإنسان

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التاريخ بِكُليةِ الآداب فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة
٢٠١٨م – ١٤٣٩هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

حضارة مصر والشام كما يصورها كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لابن فضل الله العمري (٧٠٠- ٧٤٩هـ/١٣٠٠- ١٣٤٨م)

Civilization of Egypt and The Levant, as depicted in the book of "Masalik Al-Absar Fi Mamalik Al-Amasar for "Ibn Fadlallah Umari (700 -749 AH / 1300- 1348 AD)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this; The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	أحمد خليل اليعقوبي	اسم الطالب:
Signature:	Ahmed kh. yacoubi	التوقيع:
Date:	٢٠١٨/٤/١م	التاريخ:





الرقم: ج س غ/35/ Ref:

التاريخ: 2018/04/01م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **أحمد خليل أحمد اليعقوبي** لنيل درجة الماجستير في كلية **الآداب**/ قسم **التاريخ** وموضوعها:

حضارة مصر والشام كما يصورها كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لابن فضل الله العمري (648- 749هـ)

Civilization of Egypt and the Levant, as Depicted in the Book "Masalik Al-Absar Fe Mamalik Al-Amsar" Ibn Fadlallah Omari (648-749 AH)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم **الأحد 15 رجب 1439**هـ الموافق **2018/04/01**م الساعة **الثانية عشرة مساءً**، في قاعة مبنى **القدس** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. غسان محمود وشاح	**مشرفاً ورئيساً**	....
د. إبراهيم أحمد أبو شبيكة	**مناقشاً داخلياً**	....
د. محمد الأمين ولدان	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية الآداب/قسم التاريخ**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

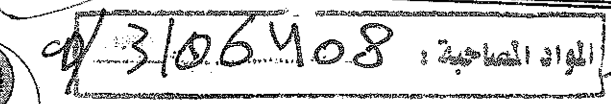


أ. د. مازن إسماعيل هنية

+97082644400 +97082644800 public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps iugaza iugaza mediaiug iugaza
P.O Box 108, Rimal,Gaza,Palestine ص.ب 108 الرمال . غزة . فلسطين



نموذج رقم (4)


المواد المصاحبة : 3106408

التاريخ: 20/11/2018 م

<u>الموضوع/ مطابقة مواصفات النسخة الإلكترونية</u>

بعد الإطلاع على الأسطوانات التي تحتوي على رسالة الطالب/ أحمد جميل العجوري.

رقم جامعي: 120160215 كلية: الآداب قسم: التاريخ

فإننا نحيطكم علماً بأنها مطابقة للمواصفات المطلوبة المبينة أدناه:

- جميع فصول الرسالة في ملف (WORD) واحد وليست ملفات متفرقة.
- تحتوي الأسطوانة على ملف (PDF + WORD).
- مطابقة التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.
- مطابقة النص في الصفحة الورقية مع النص في الصفحة الإلكترونية لجميع صفحات الرسالة.

<u>ملاحظة: ستقوم عمادة المكتبات بنشر الرسالة العلمية كاملة (PDF) على موقع المكتبة.</u>

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب أحمد العجوري ....

توقيع المكتبة المركزية ....

مُلخص الرسالة باللغة العربية

جاءت هذه الرسالة بعنوان: حضارة مصر والشام كما يُصورها كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري (٧٠٠- ٧٤٩هـ/ ١٣٠٠- ١٣٤٨م)؛ لتوضح الجوانب الحضارية في مصر، وبلاد الشام، فترة حكم المماليك تحت أسرة أبناء قلاوون؛ والذي عمل فيها المؤلف كاتباً للسر لدى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، واستطاع بذلك أن يُقدم لنا معلومات حضارية هامة ومفيدة عن تلك المجتمعات الإسلامية؛ التي لم يعتن المؤرخون بالتدوين لها بهذا التفصيل الذي ذكره لنا ابن فضل الله العمري.

قُسم البحث إلى أربعة فصول؛ تناول **الفصل الأول:** التعريف بمؤلف الكتاب، وسيرته، وكتابه، وأهم مؤلفاته، والكتابة التاريخية للرحالة في القرنين السابع والثامن الهجري، وتناول **الفصل الثاني:** الحياة الاجتماعية في مصر والشام، من ذكر للقبائل العربية، والعادات والتقاليد في المجتمع، وتحدث **الفصل الثالث** عن: المدن وأعمالها وجهاتها، والتقسيمات الإدارية والنظام الوظيفي في مصر والشام، وتناول **الفصل الرابع:** الحياة الدينية في مصر والشام، وذكر للمساجد والمزارات، ومشاهير القراء، والحفاظ من أهل الحديث، والفقهاء في تلك الفترة التي عاصرها الكاتب.

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها: أن دولة المماليك البحرية التي حكمت مصر والشام والحجاز سنة (٦٤٨- ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠- ١٣٨٢م)؛ كانت أكثر استقراراً من دولة المماليك الجراكسة التي حكمت تلك الأقطار سنة (٧٨٤- ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢- ١٥١٧م)، وكان حكم المماليك لمصر وبلاد الشام حكم الدولة الواحدة في الوظائف والامتيازات، فلا تفريق بينهم في المعاملات، واتسم عصر المماليك بالاهتمام بالعلم والعلماء، والقضاء، والتدريس، وجميع مناحي الحياة.

توصلت الدراسة إلى أن كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار؛ يُعد موسوعة تاريخية شاملة، يجب أن يعود إليها الكثير من المؤرخين والباحثين شديدي الحرص على كتابة التاريخ بموضوعية، والذي يُعد من أهم المصادر التاريخية في القرن الثامن الهجري.

Abstract

This study describes the cultural aspects of Egypt and the Levant during the Mamluk period under the family of the sons of Qalawun, where the author worked as the chief clerk of Sultan Al-Nasir Muhammad Ibn Qalawun. He was able to provide useful information about these Islamic societies, which historians have not been able to provide information about like Ibn Fadlullah Al-Umari.

The study is divided into four chapters; Chapter One is an introduction that presents the author of the book, his biography, his book, and his most important writings. It also includes the historical writing of the traveler in the seventh and eighth centuries AH. The second chapter deals with the social life in Egypt and the Levant; Arab tribes and customs and traditions in society. The third chapter deals with the cities, their administrative divisions and the employment system in Egypt and the Levant. Chapter Four explains religious life in Egypt and the Levant, mosques and shrines, famous reciters and scholars in that period.

The study concluded a number of findings, the most prominent of which were: The Mamluk maritime state that ruled Egypt, the Levant and the Hijaz between the year 648-784 AH / 1250-1382 AD; was more stable than the Mamluk state of Circassians, which ruled these countries between the year 784-923 AH./ 1382-1517A.D. The rule of the Mamluks of Egypt and the Levant was a one-state rule in the functions and privileges and there was no difference between them in transactions. The Mamluk era was characterized by interest in science, law, teaching and all aspects of life.

The study concluded that the book of Masalik Al-Absar Fi Mamalik Al-Amasar is considered a comprehensive historical encyclopedia, which should be a reference to many historians and researchers who are interested in writing history objectively. It is also considered one of the most important historical sources in the eighth century AH.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

صدق الله العظيم

[آل عمران: ٧]

اْلإِهدَاْءُ

- **إلى معلمي الفاضل؛ والدي الغالي أطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية.**
- **إلى ونيسة روحي؛ والدتي رحمها الله تعالى.**
- **إلى رفيقة دربي وزميلتي؛ زوجتي الغالية أمدها الله من علمه.**
- **إلى فلذات كبدي؛ أبنائي اللهم بارك لي بهم.**
- **إلى إخواني وأخواتي؛ وفقهم الله.**
- **إلى أصدقائي، وأقربائي، وزملائي؛ وفاءً واحتراماً.**

إليهم جميعاً أُهدي هذا الجهد المتواضع

شكرٌ وتقديرٌ

الحمد لله؛ حمداً يليق بجلال وجهه الكريم، وسلطانه العظيم، والصلاة والسلام على **رسولنا الكريم محمد** ﷺ أتم التسليم، وبعد:

واذا كان الفضل يجب أن يُنسب لأهله، واذا كان الاعتراف بالجميل واجباً في الأعناق يجب أن يُذكر لذويه؛ فأتقدم بالشكر إلى **رئيس قسم التاريخ والآثار في الجامعة الإسلامية الدكتور الفاضل غسان محمود وشاح**؛ الذي أشرف على هذا البحث منذ كان فكرة إلى أن خرج إلى النور على هذه الصورة التي أرجو من الله تعالى أن تكون مشرفة، فَلَه مني جزيل الشكر والامتنان.

وأتقدم كذلك بالشكر إلى لجنة المناقشة؛ **الدكتور الفاضل: إبراهيم أحمد أبو شبيكة؛ رئيس مركز التأريخ الشفوي بالجامعة الإسلامية "مناقشاً داخلياً"، والدكتور الفاضل: محمد الأمين أن باريك؛ من الجمهورية الإسلامية الموريتانية "مناقشاً خارجياً"**، والتي تكرمت بالموافقة على قبول هذه الرسالة ومناقشتها، وستكون ملاحظاتهما وتوجيهاتهما نبراساً يضاف إلى الجهود التي تثري هذه الرسالة.

والشكر أيضاً **لهيئة التدريس في قسم التاريخ والآثار بالجامعة الإسلامية**، الذين لم يبخلوا بعلمهم وبتوجيهاتهم لي خلال مسيرتي التعليمية.

أسأل الله عزّ وجلّ أن أكون قد وُفقت في إبراز الهدف الذي قصدته من كتابة هذا البحث، ولقد بذلت في كتابته وإخراجه ما بوسعي وظني أني قد حققت الغاية؛ فحسبي أني قد بذلت جهدي، والكمال لله وحده سبحانه وتعالى.

الباحث

أحمد خليل اليعقوبي

فهرس المحتويات

الاختصارات

الكلمة	الرمز
تاريخ الوفاة	ت
الجزء	ج
المجلد	مج
دون مكان النشر	د. م
دون تاريخ النشر	د. ت
دون طبعة	د. ط
دون ناشر	د. ن
ط	طبعة
التاريخ الميلادي	م
التاريخ الهجري	هـ
قسم	ق

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن أفضل ما يصور حضارات الأمم، هو كتب الرحالة الذين شاهدوا تلك الحضارات بأُمِ أعينهم، ووصفوها مثلما رأوها، فهو أكثر دقةً في التعبير الآثار العمرانية التي خلفتها، لأنها لا تكتفي بوصف العمران، وإنما تتحدث عن أحوال من عمروها؛ وعاداتهم وتقاليدهم في المشرب والمأكل والملبس وشتى شئون الحياة.

وإن ما يميز كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، أن الكاتب يستعرض فيه الممالك الإسلامية استعرضاً حضارياً، ليس سرداً لتلك الأحداث التاريخية، ويعتبر هذا الكتاب ضمن مؤلفات تأريخ الحضارة، فهو كتاب حضاري يستعرض الجوانب الحضارية عند الشعوب في مختلف الأمصار، وهذا النوع من المؤلَّفات قليل، ورجاله قلائل، ويصف فيه الكتاب الممالك الإسلاميَّة وأوضاع الملوك والوظائف، وأرباب الرتب العالية وما لهم من أرزاق، وزي الناس ولباسهم، وطعام الناس ومأكلهم، ومقارنتها بالمصري والشامي، ولا يهمل الحديث عن كيفيَّة جلوس السلاطين، وأرباب الوظائف، وتلقِّيهم القصص والشكاوى، وكيفية عرضها ووصولها إلى السلطان، واصدار الفرمانات، والأوامر، وخَتْمها بالخاتم السلطاني، وتحدَّث عن القصور، والبيوت، وما تَحتويه من وسائل معيشيَّة، واستعرض نظام الإدارة، وتولية المناصب، والوظائف في الممالك الإسلاميَّة المختلفة.

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية الدراسة الحالية من خلال التالي:

- ندرة الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع رغم أهميته.
- تميز الحضارة الإسلامية في مصر وبلاد الشام بجوانب عدة من الإبداع في مختلف المجالات والحاجة لإبرازها في دراسة متخصصة.

- إبراز ما تميزت به الحضارة الإسلامية من جمع بين الجانب المادي للحضارة والجانب الروحي القيمي التي تفتقر إليه الحضارات المادية المعاصرة.
- أهمية المعلومات الحضارية الواردة في كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار عن مصر والشام، وضرورة دراستها واستخراجها.

أهداف الدراسة:

- التعرف على مؤلف كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، ومصادره، ومنهجه في إعداد الكتاب.
- استخراج الجوانب الاجتماعية والإدارية والدينية في مصر والشام من خلال كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري.

منهج الدراسة: منهج البحث التاريخي.

حدود الدراسة:

ما ورد في كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، عن مصر وبلاد الشام.

تقسيمات الدراسة:

تم تقسيم الدراسة إلى **مقدمة وأربعة فصول وخاتمة**، وقد جاءت تلك التقسيمات على النحو التالي:

اشتملت **المقدمة:** على نبذة مختصرة عن الموضوع، وسبب اختيار الموضوع، وأهميته، وعرض لأهم مصادر البحث.

وجاء **الفصل الأول** بعنوان: "**ابن فضل الله العمري سيرته وكتابه**"، وتناول ثلاثة مباحث: تحدثت في المبحث الأول؛ عن سيرته وشيوخه وثناء العلماء عليه، أما المبحث الثاني؛ ذكرت أهم مؤلفات ومنهج المؤلف، والتعريف بالكتاب، وتحدث المبحث الثالث؛ عن الكتابة التاريخية للرحالة في عصر المؤلف في القرن السابع والثامن الهجري.

وتناول **الفصل الثاني** والذي بعنوان: "**الحياة الاجتماعية في مصر والشام كما يُصورها كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**"، وقُسم إلى مبحثين؛ فكان المبحث الأول؛ يتحدث عن القبائل العربية في المجتمع المصري والشامي، ووصف المبحث الثاني؛ العادات والتقاليد في المجتمع وطبقاته، وعادات السلطان في مصر والشام.

وكان **الفصل الثالث** يصف: "**المدن والتقسيمات الإدارية في مصر والشام كما يُصورها كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**"، وهو عبارة عن مبحثين، تحدث المبحث الأول؛ عن المدن في مصر والشام، وأعمالها، وجهاتها، وتناول المبحث الثاني؛ النظام الوظيفي في مصر والشام، كوظائف أرباب السيوف، وذوي العلم.

وفي **الفصل الرابع** كان الحديث عن: "**الحياة الدينية في مصر والشام كما يُصورها كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**"، وكان من مبحثين؛ وصف المبحث الأول؛ المساجد والمزارات والقبور في مصر والشام، وذكر المبحث الثاني؛ مشاهير القراء، والحفاظ من أهل الحديث، ومشاهير الفقهاء.

الدراسات السابقة:

تناولت بعض الدراسات السابقة بعض المواضيع من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، وتناول البعض الآخر بلاد الشام من خلال بعض كتب الرحلات، ولم يتعرض أحد من المؤرخين أو الباحثين للحديث عن الجوانب الحضارية في مصر وبلاد الشام من خلال هذا الكتاب، مما دفعني لتسليط الضوء نحو موضوع الدراسة والذي جاء بعنوان: **حضارة مصر والشام كما يصورها كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لابن فضل الله العمري (٧٠٠- ٧٤٩هـ/ ١٣٠٠- ١٣٤٨م)**، ومن الدراسات السابقة لتلك الدراسة:

١. **رسالة ماجستير بعنوان:** حكام بني إسرائيل في كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، للباحثة: كريمة سليمان الجداية، قسم النقوش- كلية الآثار والأنثروبولوجيا- جامعة اليرموك، إربد- الأردن، سنة ٢٠٠٤م، واشتملت على؛ مقارنة المادة التاريخية في كتاب مسالك الأبصار مع المصادر التاريخية الأخرى ومنها: مقدمة ابن خلدون، والكامل في التاريخ لابن الأثير وغيرها من المصادر العربية.

٢. **رسالة ماجستير بعنوان:** بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة "دراسة نقدية مقارنة" (٧٢٦- ٧٥٠هـ/ ١٣٢٦- ١٣٤٩م)، للباحث: محمد يوسف عمر عابد، كلية الشريعة- جامعة أم القرى، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، وتناولت؛ النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية والشخصية للرحالة "ابن بطوطة"، ورحلاته إلى بلاد الشام، ومنهجه في تسجيل مشاهداته.

٣. **بحث بعنوان:** ممالك المسلمين في الحبشة من خلال كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، للدكتور: بشار أكرم جميل، بحث منشور في مجلة علمية- آداب الرافدين، تاريخ القبول: ٢٠٠٨/١٢/٣٠م، واشتمل على؛ تعريف الشخصيات، والمدن، والنباتات، والحيوانات، والمعادن في ممالك المسلمين في الحبشة، التي لم يعرفها المؤلف، ومن بعده محقق ذلك الجزء من الكتاب، وتحدث فيه عن المسلمين والنصارى، وغيره من المعلومات التاريخية.

تحليل لأهم المصادر والتاريخية:

لقد اعتمدتُ في هذا الدراسة على كثيرٍ من المصادر التاريخية التي أمدت الدراسة بمادةٍ علميةٍ تاريخية جيدة، والتي كان بعضها معاصراً للأحداث، فكان شارحاً ومكملاً لبعض الجوانب التي لم يوضحها المؤلف أو محقق الكتاب، وسأقتصر في هذا العرض على تعريف بعض تلك المصادر:

١. كتاب: (صبح الأعشى في صناعة الإنشا)؛ لشهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندي (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، الذي كان كاتباً للإنشاء، وشمل كتابه على الكثير من العلوم والمعارف والمصطلحات والمراسيم الدبلوماسية، وقوانين ونظم القصور السلطانية والوظائف بأنواعها، فكان صورة حية للتاريخ الحضاري في العصر المملوكي، وأفادني الكتاب فائدة كبرى في التقسيمات الإدارية، والوظائف الديوانية والدينية في مصر وبلاد الشام.

٢. كتاب: (السلوك لمعرفة دول الملوك)؛ لتقي الدين أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالمقريزي (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، ويُعد من أبرز مؤرخي عصر المماليك، فكان مثقفاً محيطاً بكل ما يتصل بعلم التاريخ والحضارة، وعلم الاجتماع العمراني، ويُعد كتابه تاريخي حضاري شامل للأيوبيين والمماليك، وتميزت حوادث زمانه في التدوين التاريخي بأنها أقرب ما تكون إلى مذكرات يومية دقيقة ترسم صورة للمجتمع المملوكي في واقعه السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ويعتبر كتاب السلوك من المصادر التي أُفدت منها كثيراً من عرض لأهم المعلومات التاريخية الحضارية في مصر وبلاد الشام.

٣. كتاب: (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)؛ لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، الذي تأثر بأستاذه المقريزي مؤرخ مصر المملوكية، والذي أصبح أحد أبرز مؤرخي مصر المملوكية بعد وفاة أستاذه، وكان قريباً من الحكام؛ لأن أبوه كان نائباً لدمشق ثم حلب، واعتمد ابن تغري على كتاب المقريزي،

ثم اعتمد على نفسه في مشاهدة الأحداث، وما قصه عليه والده، ولذلك يتميز بالمعلومات الدقيقة والتفصيلات في الأحداث التي عاصرها، ويعتبر من المصادر السياسية والاقتصادية والإدارية في عصر دولتي المماليك الأولى والثانية.

٤. كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)؛ لأحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، صاحب المصنفات المشهورة في الحديث والفقه والتراجم والتاريخ، واستفدت منه الكثير في ترجمة الكثير من الشخصيات، وفي تتبع الأنشطة الثقافية والاجتماعية وغيرها، وقد أهلته زياراته المتكررة لمصر والشام والحجاز، من تتبع مختلف الأنشطة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية بالإضافة لتقلده عدد من الوظائف الدينية.

ولقد استفدت من هذه المصادر فائدة كبيرة؛ فهي بالغة القيمة بالإضافة إلى الكثير من المصادر الأخرى.

الفصــل الأول

ابن فضل الله العمري سيرته وكتابه

المبحث الأول: سيرته و شيوخه وثناء العلماء عليه.

أولاً: سيرته:

١. نسبه وصفاته:

هو شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن محيي الدين أبي زكريا بن أبي المعالي فضل الله بن أبي الفضل المُجَلي بن جمال الدين بن خلف بن أبي الفضل نصر بن منصور بن عبيد الله بن عدي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي بكر بن عبيد الله الصالح بم أبي سلمة عبد الله بن عبيد الله بن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العمري(١).

"وهو الإمام الفاضل، القاضي، الفقيه، الأديب، البليغ المفوه، كاتب السر، الحافظ حُجة الكتاب، إمام أهل الأدب، أحد رجالات الزمان كتابة وترسلاً، وتوصلاً إلى غايات المعالي وتوسلاً، وإقداماً على الأسود في غابها، وإرغامهاً لأعاديه بمنع رغابها، يتوقد ذكاء وفطنة ويتلهب، ويتحدر سيله ذاكرة وحفظاً ويتصبب، ويتدفق بحره بالجواهر كلاماً، ويتألق إنشاؤه بالبوارق المتسرعة نظاماً"(٢).

ويذكره المقريزي: "كان يتوقد ذكاء وفطنةً، وحافظة قوية، ومحاضرة جميلة، وكلامه فصيحٌ بليغ، وله غوصٌ على المعاني، وعنده اقتدار على النظم، بحيث تساوت بديهته وارتجاله، وكان يكتب من رأس قلمه بديهياً ما يعجز عنه غيره بعد إعمال رويته مع لطف الأخلاق وسعة الصدر وبشر المحيا"(٣)، ولد بمدينة دمشق، في الثالث من شوال

---

(١) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر (ج٥٢١/٢)؛ العمري، مسالك الأبصار (ج١/١١- ١٣)؛ ابن الوردي، تتمة المختصر (ج٥٠٢/٢)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٥٢/٨)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج١٢/١)؛ الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٥٧)؛ ابن رافع، الوفيات (ج١١٢/٢)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج٢٢٩/١٤)؛ المقريزي، السلوك (ج٧٩٢/٢)؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية (ج٩٨/٢)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج١٩٤/١)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج٢٦١/٢)؛ النجوم الزاهرة (ج٣٣٤/١٠)؛ السخاوي، وجيز الكلام (ج٤٢/١)؛ الحنفي، نيل الأمل (ج١٧٩/١)؛ ابن اياس، نزهة الأمم (ص ١٥٦)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج١٦٠/٦)؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي (ج٥٩٣/٦)؛ الزركلي، الأعلام (ج٢٦٥/١).

(٢) الصفدي، الوافي الوفيات (ج٨/ ٣٥٢- ٣٥٣)؛ أعيان العصر (ج١/ ٤١٧).

(٣) المقريزي، المقفى الكبير (ج١/ ٧٣٣).

سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠١م)[١]، ويقال أنه ولد سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م)[٢].

٢. أسرته:

من أسرة تولّت رئاسة ديوان الإنشاء بمصر والشام مدة قرن من الزمان تقريباً، واستقر أجداده الأقربون في البُرُلُّس[٣]، ولكنهم كانوا يشعرون على الدوام بأنهم أكثر ارتباطاً بدمشق منهم بمصر، فاحتفظوا باسم الدمشقي كنسب أساسي لهم[٤].

نشأ ابن فضل الله العمري في أسرة ذات عراقة أدبية، تولى عدد من أفرادها وظيفة صاحب ديوان الإنشاء، وقد ربطته تقاليد أسرته بعمل الدواوين، فعمل في ديوان الإنشاء مع والده عندما كان كاتب السر بدمشق[٥]، ويقول الصفدي عن والد شهاب الدين:" ولم أر في عمري من كتب النسخ، وأخرج التخاريج والحواشي، أحلى وأظرف ولا ألطف منه"[٦]، فوالده القاضي محيي الدين تولى كتابة سر دمشق مرتين في سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، ثم عزله الملك الناصر محمد بن قلاوون، ولزم داره سنتين إلى أن طلبه وولاه كتابة سر مصر عوضاً عن علاء الدين ابن الأثير، ثم انتقل إلى دمشق سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، ثم عاد إلى مصر في العام التالي وظل بها حتّى وفاته سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)[٧].

ومما يدلل على أن ابن فضل الله العمري من عائلة عريقة، اتخذت من العلم نهج لها، هو كثرة العلماء الذين أوردتهم المصادر التاريخية عن هذه العائلة، وهم:

([١]) الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ٣٥٤)؛ أعيان العصر (ج١/ ٤٢٠)؛ السيوطي، حسن المحاضرة (ج١/ ٥٧١)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ٢٧٤).

([٢]) الذهبي، معجم المحدثين (ص ٤٦)؛ ابن ناصر الدين، الرد الوافر (ج١/ ٨١)؛ المقريزي، المقفى الكبير (ج١/ ٧٣٢)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج٢/ ٢٦١).

([٣]) البَرَلُّسُ: بلدة على شاطئ النيل في مصر قرب بحر الإسكندرية؛ ينظر: الهروي، الاشارات (ج١/ ٤٧)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٠٢)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ١٨٨).

([٤]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٦).

([٥]) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف (ص٤).

([٦]) الوافي بالوفيات (ج٨/ ٦٨).

([٧]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٦).

أ- بدر الدين محمد بن فضل الله بن مجلي العدوي القرشي، وهو أخ كاتب السر محي الدين، توفي سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٧م)[١].

ب- شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله، أبو محمد الأثير القرشي، ولد سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م)، وكان كاتباً أديباً مترسلاً، وكانت مكانته في الكتابة مذكورة مرموقة[٢].

ت- محيي الدين بن فضل الله بن المجلي بن دعجان، أبو المعالي القرشي، العدوي العمري، كاتب السر السلطاني بالشام ثم مصر، ولد سنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م)، وتوفي سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)[٣].

ث- بدر الدين محمد بن محي الدين بن فضل الله العدوي العمري، كاتب السر، ولد سنة ٧٠١هـ، وهو شقيق شهاب الدين أحمد، تعلم صناعة أبيه، وباشر كتابة السر عوضاً عن أخيه سنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، وتوفي سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)[٤].

ج- علاء الدين علي بن يحيى بن فضل الله بن مجلي العدوي العمري، ثاني أبناء محيي الدين يحيى، تولى كتابة السر السلطاني بمصر سنة ٧٣٥هـ، بعد عزل أخيه شهاب الدين، وتوفي سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)[٥].

ح- شهاب الدين بن علاء الدين، أحمد بن علي بن يحيى بن فضل الله العمري، ولي كتابة السر بدمشق عوضاً عن فتح الدين أبي بكر محمد بن إبراهيم سنة (٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م)، وتوفي سنة (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م)[٦].

خ- بدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن يحيى بن فضل الدين العدوي العمري الشافعي، اشتغل في الفقه والنحو والقراءات، ولد سنة (٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م)، وكتب السر بدمشق والقاهرة، وتوفي بدمشق سنة (٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م)[٧].

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٤/ ٣٢٨- ٣٢٩).

(٢) الصفدي، أعيان العصر (ج٣/ ١٩١).

(٣) المصدر السابق (ج٥/ ٥٧١).

(٤) المصدر السابق (ص ٢١١- ٢١٣)؛ المقريزي، المقفى الكبير (ج٧/ ٤٤٧).

(٥) ابن تغري، المنهل الصافي (ج٨/ ٢٤٠- ٢٤١).

(٦) الظاهري، نيل الأمل (ج٢/ ٩٧).

(٧) ابن تغري، المنهل الصافي (ج٢/ ٢٢٦).

٣. وفاته:

توفي ابن فضل الله العمري، يوم السبت، يوم عرفة سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)[١]، حيث دفن في تربتهم بالصالحية[٢]، على سفح قاسيون[٣]، مع أبيه وأخيه بدر الدين محمد[٤]، وذكر ابن حجر العسقلاني أنه مات بِحُمَّى أصابته[٥]، بينما قال ابن العماد الحنبلي أنه مات بالطاعون[٦].

ثانياً: شيوخه:

أخذ ابن فضل الله العمري عن كثير من الشيوخ، وتعلم منهم اللغة والفقه والأصول والأحكام والعروض والشعر والأدب، وسمع منهم الحديث، ومن أهم شيوخه:

١. ست القضاة بنت القاضي يحي بن أحمد بن القاضي أبي نصر بن مميل الشيرازي أُمّ يحيى زوجة المفتي زين الدين بن عبيد[٧]، فسمع عنها الحديث وقرأه على الشيوخ[٨].

٢. ست الوزراء، أم محمد بنت القاضي شمس الدين عمر بن أسعد بن المنجى بن أبي البركات التنوخي الدمشقي[٩]، سمع العمري عنها الحديث[١٠].

---

(١) ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج١٠/ ٢٣٤).

(٢) الصالحية: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع على سفح جبل قاسيون من غوطة دمشق وفيها قبور للصالحين ويسكنها جماعة من الصالحين، وغالبية أهلها على مذهب أحمد بن حنبل؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٩٠)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٨٣٠)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٣٢٦- ٣٢٧).

(٣) قاسيون: جبل في شمال دمشق و تربة الصالحية في سفحه، وبه الغار الذي ولد فيه إبراهيم الخليل عليه السلام، وبه حجر عليه أثر دماء الذي ضرب به قابيل رأس هابيل؛ ينظر: الهروي، الاشارات (ج١/ ٢٠)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٢٢١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٩٥)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٨٩).

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ١٧٤)؛ أعيان العصر (ج١/ ٤٢٠).

(٥) الدرر الكامنة (ج١/ ٣٣٣).

(٦) شذرات الذهب (ج٨/ ٢٧٤).

(٧) سُمعت من كريمة مشيختها، وسمعت من جدها أبي نصر، تزوجها الشيخ الدين الروذراوري اللغوي، ثم تزوجت أبو المحاسن الخرقي، وتوفيت سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م)؛ ينظر: الذهبي، معجم الشيوخ (ج١/ ٢٩٣).

(٨) الذهبي، معجم المحدثين (ص ٤٦).

(٩) شيخة متدينة، زاهدة، حسنة الأخلاق، روت الكثير، سمعت من أباها، وابن الزبيدي، وآخر من حدث بمسند الشافعي، حدث عنها ابن الخباز، ولدت سنة (٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م)، وتوفيت سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م)؛ ينظر: الذهبي، معجم الشيوخ (ج١/ ٢٣٩)؛ المقريزي، السلوك (ج٢/ ١٦٩)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٩/ ٢٣٧).

(١٠) المقريزي، المقفى الكبير (ج١/ ٧٣٣)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج١/ ٣٣٢).

٣. علاء الدين علي بن المظفر الوداعي الكندي الدمشقي[١]، تعلم العمري عنه الأدب[٢].

٤. عماد الدين محمد بن يعقوب بن بدران الجرائدي[٣].

٥. شمس الدين محمد بن الحسن بن سباغ الصائغ الدمشقي المصري[٤]، درس على يده الأدب، وقرأ العروض[٥].

٦. القاضي المحدث إسحاق بن محمد المؤيد بن علي رفيع الدين الهمداني[٦].

٧. شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي الدمشقي، أبو الثناء[٧]، تعلم العمري الأدب منه، وقرأ جملة من المعاني والبيان وجملة من الدواوين[٨].

٨. كمال الدين بن قاضي شهبة، عبد الوهاب بن محمد ذؤيب الأسدي[٩]، تعلم عنه اللغة العربية[١٠].

---

(١) هو علاء الدين علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن يزيد، الوداعي: الكندي، الإسكندراني، الدمشقي، المتوفي سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م)، والوداعي نسبة إلى الوزير الدمشقي بن وداعة الحلبي، الذي كان كاتبه ملازماً له؛ ينظر: الذهبي، معجم الشيوخ (ج٢/ ٥٨)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٦/ ٣٩)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٩/ ٢٣٥- ٢٣٦)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٣/ ١٣٠- ١٣٣)؛ ابن كثير، البداية (ج١٤/ ٨٩).

(٢) المقريزي، المقفى الكبير (ج١/ ٧٣٢).

(٣) الإمام المسند المقرئ عماد الدين أبو عبد الله بن المقرئ بن الجرائدي الأنصاري الدمشقي ثم القاهري، سمع منه العمري، نزيل بيت المقدس، توفي سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)؛ ينظر: الذهبي، المعجم الشيوخ(ج٢/ ٣٠٣).

(٤) أديباً فاضلاً، له مؤلفات "شرح مقصورة ابن دريد"، درس ابن فضل الله عليه العروض والأدب، توفي سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)؛ ينظر: الذهبي، معجم الشيوخ (ج٢/ ٤٠٥)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٢/ ٣٨٠).

(٥) المقريزي، المقفى الكبير (١/ ٧٣٢).

(٦) هو الوبري الشافعي الأبرقوهي، مصري، قاضي أبرقوه، ثم رحل للقاهرة، سُمع وروى، وكان معروفاً بالإقراء، توفي سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ٤٢٤).

(٧) شاعر وكاتب، عمل في ديوان الإنشاء في دمشق، وله من المؤلفات: "أهنأ المنائح في أسنى المدائح" في المدائح النبوية، وكتاب "منازل الأحباب"، و"حسن التوسل في صناعة الترسل"، وتوفي سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٩/ ٢٦٤)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٣/ ٤٩٩).

(٨) ابن حجر، الدرر الكامنة (ج١/ ٣٣١).

(٩) فقيهاً فاضلاً، له حلقة علم بالجامع الأموي ويعتكف به طوال شهر رمضان، وكان حريصاً على تعليم طلابه، وكثير القناعة، توفي سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٣/ ٢٠٥)؛ السبكي، طبقات الشافعية (ج١٠/ ١٢٤)؛ ابن حجر، المصدر السابق (ج٣/ ٢٣٩)؛ السيوطي، بغية الوعاة (ج٢/ ١٢٤).

(١٠) الصفدي، أعيان العصر (ج١/ ٤١٨)؛ ؛ المقريزي، المقفى الكبير (ج١/ ٧٣٢)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج١/ ٣٣١)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج٢/ ٢٦٢).

٩. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم الصالحي[١]، تعلم العمري وأتقن عليه العربية[٢].

١٠. كمال الدين محمد بن علي بن الزملكاني الأنصاري الدمشقي الشافعي[٣]، قرأ عليه بعضاً من العروض[٤].

١١. تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، أبو العباس[٥]، قرأ عنه الأحكام الصغرى[٦].

١٢. برهان الدين إبراهيم عبد الرحمن بن سباع، المعروف بابن الفركاح الفقيه، حيث تعلم على يديه الفقه[٧].

١٣. محيي الدين أبو الفضل، القاضي يحيى بن فضل الله بن مجلي العدوي[٨].

١٤. شرف الدين المقدسي، أبو زكريا[٩].

([١]) كان حاكم دمشق، وقاضي القضاة، وإماماً للفقه، والنحو، واللغة، والحديث، توفي سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، بالمدينة؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج٤/ ١٩٩)؛ ابن حجر، تبصير المنتبه (ج٢/ ٦٦٩).

([٢]) الصفدي، أعيان العصر (ج١/ ٤١٨).

([٣]) إماماً، علامة بمذاهب الأئمة، وكان فصيحاً، أديباً، ناثراً، أفتى في العشرون من عمره، اجتمع به الذهبي وأخذ عنه؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١/ ٢٨)؛ معجم الشيوخ (ج٢/ ٢٤٤)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٤/ ٦٢٤- ٦٢٧)؛ الوافي بالوفيات (ج٤/ ١٥١)؛ السبكي، طبقات الشافعية (ج٩/ ١٩٠)؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية (ج٢/ ٢٩١)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٥/ ٣٢٨- ٣٣١).

([٤]) الصفدي، أعوان العصر (ج١/ ٤١٨)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج١/ ٣٣٢).

([٥]) شيخ الإسلام: ولد في حران ورحل مع أبوه إلى دمشق، وأصبح داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، توفي معتقلاً بقلعة دمشق سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)، ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ٤٩)؛ تذكرة الحفاظ (ج٤/ ١٩٢- ١٩٣)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٢/ ١٤٥)؛ الوافي بالوفيات (ج٧/ ١١- ٢١)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج١/ ٣٥٨- ٣٦٢)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ١٤٢).

([٦]) الصفدي، أعيان العصر (ج١/ ٤١٨).

([٧]) مُدرس البادرائية، من كبار الشافعية، مصري الأصل، من أهل دمشق، نشأ بيت علم، عُرض عليه قضاء قُضاة الشام فأبى؛ للتفرغ للتدريس والعبادة، تعلم منه العمري الفقه، وتوفي في دمشق سنة (٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج١/ ٣٦)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ١٥٤).

([٨]) القاضي، الشافعي، الفقيه، صاحب ديوان الإنشاء بدمشق، ثم بمصر، وكاتب السر، ولد بالكرك سنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م)، وتوفي سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٤/ ٤٢٤).

([٩]) شرف الدين المقدسي: مسند مصر، وكان شاهداً بالإسطبلات السلطانية بالقاهرة، ومن شيوخه شرف الدين محمد بن عبد الله بن أبي الفضل المرسي، والحافظ صدر الدين الحسن بن محمد البكري، وأخوه، وغيرهم، توفي=

١٥. شهاب الدين بن المجد أبو عبد الله، الزرزاري الإربلي الدمشقي الشافعي[١]، درس العمري عنه الفقه[٢].

١٦. أثير الدين أبو حيان النحوي الغرناطي، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي[٣]، قرأ العمري عليه بمصر، وسمع عليه كتاب الفصيح لثعلب، والأشعار الستة والدريدية[٤].

١٧. شمس الدين أبو الثناء الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الوفاء[٥]، درس العمري عنه الأصول[٦].

ثالثاً: ثناء العلماء عليه:

أجمع العلماء والمؤرخون على امتداح ابن فضل الله العمري والثناء عليه، علماً وأدباً ودراية وتصنيفاً، ولم نجد أحداً منهم ذمه أو أنقص من قدره، وهذا يدلل على علو مكانته، وسعة فضله[١]؛ ومن آراء العلماء فيه نورد منهم ما يلي:

=سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٦/ ١١٦)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٤/ ٤٣٠)؛ ابن رافع، الوفيات (ج١/ ١٥٦)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٩/ ٣١٤).

(١) قرأ عليه ابن فضل الله العمري الفقه، درس تجويد القرآن، سمع من ثمانية وعشرين شيخاً منهم اسماعيل بن أبي اليسر وأحمد بن أبي بكر الحموي وأبو بكر بن عمر المزي ومظفر بن عمر الجزري ونصر الله بن عبد المنعم بن حواري بقراءة شرف الدين الفزاري؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٣/ ٣٧٣)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٣/ ٤٦٧)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٦/ ١١٨)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٩/ ٣١٤).

(٢) ابن تغري، المنهل الصافي (ج٢/ ٢٦٢).

(٣) من أقطاب سلسلة العلم والأدب، سمع الحديث بالأندلس، وإفريقية، والإسكندرية، ومصر، والحجاز، من نحو ٤٥٠ شيخاً، كان شيخ النحاة بمصر، أخذ عنه أكابر عصره، وكان ثبتاً، صدوقاً، حجة، سالم العقيدة من البدع، درس النحو في جامع الحاكم سنة (٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م)، توفي بالقاهرة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٤/ ٧١- ٧٩)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٥/ ٣٢٥- ٣٥٣)؛ الوافي بالوفيات (ج٥/ ١٧٥- ١٨٦)؛ ابن ناصر، الرد الوافر (ج١/ ٦٢- ٦٧)؛ تقي الدين، ذيل التقييد (ج١/ ٢٨٣).

(٤) ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ٢٧٤).

(٥) مفسر ونحوي، من فقهاء الشافعية، قص على العمري تاريخ المغول وأخبار بغداد، ولد بأصبهان، رحل إلى دمشق سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، وسمع منه ابن تيمية، توفي بالقاهرة سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٥/ ٩٥)؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى (ج٦/ ٢٤٦)؛ البغدادي، هدية العارفين (ج٢/ ٤٠٩).

(٦) المقريزي، المقفى الكبير (ج١/ ٧٣٢)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ٢٧٤).

يقول عنه **الصفدي:** "هو الإمام الفاضل البليغ المفوّه حجة الكُتّاب، إمام أهل الآداب، أحد رجالات الزمان كتابةً وترسلاً، وتوصلاً إلى غايات المعالي وتوسلاً، يتوقد ذكاءً وفطنة ويتلهب، ويتحدر سَيْلُه ذاكرةً وحفظاً ويتصبب، ويتدفق بحره بالجواهر كلاماً، ويتألق إنشاؤه بالبوارق المتسرعة نظاماً، ويقطر كلامه فصاحةً وبلاغة، وتندى عبارته انسجاماً وصياغة، وينظر إلى غيب المعاني من ستر رقيق، ويغوص في لجة البيان فيظفر بكبار الدُّرَّ من البحر العميق، استوت بديهته وارتجاله، وتأخر عن فروسيته من هذا الفن رجاله، يكتب من رأس قلمه بديهاً، ما يعجز تروِّي القاضي الفاضل أن يدانيه تشبيهاً، وينظم من المقطوع والقصيدة جوهراً، وما يخجل الروض الذي باكره الحيا مزهراً، صرَّف الزمان أمراً ونهياً، ودبر الممالك تنفيذاً ورأياً، وَصَل الأرزاق بقلمه، ورويت تواقيعه وهي إسجالات حُكْمه وحِكَمه"(٢).

وقال فيه **ابن الوردي:** "منزلته في الإنشاء معروفة، وفضيلته في النظم والنثر موصوفة"(٣).

ويقول **ابن إياس:** "كان عالماً فاضلاً، بارعاً في صناعة الإنشاء، وناظماً ناثراً، وله خَطٌّ جَيّد، عالي الطبقة"(٤).

وقال **ابن رافع:** "جمع تاريخاً، ونظم الشعر الفائق، وقال النثر الرائق، وكتب الإنشاء بالبلاد الشامية"(٥).

ويقول **القلقشندي** عنه: "الفاضل الألمعي، والمِصْقَع اللوزعي، ملك الكتابة وإمامها، وسلطان البلاغة ومالك زمامها"(٦).

---

(١) ابن الوردي، تتمة المختصر (ج٢/٥٠٢)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ٢٥٢)، أعيان العصر (ج١/ ٤١٧)؛ ابن إياس، بدائع الزهور (ج١/ ٥٣٣)؛ ابن رافع، الوفيات (ج٢/ ١١٢)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج١/ ٧)؛ المقريزي، المقفى الكبير (ج١/ ٧٣٣)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٢/ ٢٦٥).

(٢) الوافي بالوفيات (ج٨/ ٢٥٢)؛ أعيان العصر (ج١/ ٤١٧).

(٣) تتمة المختصر (ج٢/ ٥٠٢).

(٤) بدائع الزهور (ج١/ ٥٣٣).

(٥) الوفيات (ج٢/ ١١٢).

(٦) صبح الأعشى (ج١/ ٧).

وقال **ابن تغري بردي:** "كان إماماً فاضلاً بارعاً، ناظماً ناثراً، جواداً ممدحاً"[1].

ويقول **المقريزي** فيه: "كان إماماً في الأدب عارفاً بتراجم أهل عصره، عارفاً بخطوط الفضلاء وشيوخ الكتابة، قد جوّد فنّ الإنشاء، وجوّد النظم وبرع في التاريخ، سّيما ما قارب وقتَه، وعرف مسالك الأرض وممالكها، وحذق في علم الأسطرلاب[2] وحلّ التقويم"[3].

---

(1) المنهل الصافي (ج٢/ ٢٦٥).

(2) الأسطرلاب: جهاز استعمله علماء الفلك والجغرافيا المسلمون في تعيين ارتفاعات الأجرام السماوية، ومعرفة الوقت، والجهات الأصلية؛ المعجم الوسيط (ج١/ ١٧).

(3) المقفى الكبير (ج١/ ٧٣٣).

المبحث الثاني: أهم مؤلفاته ومنهجه في تأليف الكتاب.

أولاً: أهم مؤلفاته:

وضع ابن فضل الله العمري في حياته القصيرة (٧٠٠- ٧٤٩هـ/ ١٣٠١- ١٣٤٨م)، عدداً من الكتب، والمؤلفات؛ وهي:

١. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار:

كتبه ابن فضل الله العمري في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وهو من أهم ما كتب في عصر السلاطين المماليك، ويعتبر موسوعة كبرى في التاريخ والحضارة والجغرافيا والأدب والفلك والطب والاجتماع وغيرها، حيث وصفه الصفدي بأنه "كتاب حافل ما يُعْلم أن لأحد مثله"[١].

٢. التعريف بالمصطلح الشريف:

ألفه العمري بعد أن أنهى كتابة الباب الخاص بمصر وبلاد الشام والحجاز من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، في فترة ما بعد عام (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، حيث عرض فيه عمل الدواوين، بعد خبرته الواسعة في ديوان الإنشاء[٢]، وقد أطلق عليه القلقشندي اسم "الدستور"، ووصفه بأنه "أَنْفَس الكتب المُصَنفة في هذا الباب"[٣]، وقام بتنقيح هذا الكتاب والزيادة عليه أحد أفراد أسرة المُحِبي يُعرف بالمقر التَقَوي بن نَاظِر الجيش، وسمّى كتابه "تثقيف التعريف بالمُصْطَلح الشريف"[٤]، قال القلقشندي: أنه أورد فيه ما أهمله العمري في التعريف، وذكر ما فاته من مصطلح ما يكتب أو حَدَث بعد تأليفه، حتي أصبح لا يستغنى بأحدهما عن الآخر[٥].

٣. ممالك عُبّاد الصليب:

وهي رسالة وصف لملوك الصليبين في البر والبحر، بإقليمي الشرق ومصر في أيام

---

(١) الوافي بالوفيات (ج٨/ ٢٥٥).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ١٥).

(٣) صبح الأعشى (ج١/ ٧).

(٤) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ١٦).

(٥) صبح الأعشى (ج١/ ٨- ١٠).

نور الدين زنكي، وأواخر الدولة العبيدية، فوصف مُلك فرنسا وألمانيا، وأحوالهما السياسية والاجتماعية، والبنادقة، والإيطاليين، وأهل جَنْوَة، وعلاقاتهم بالمسلمين؛ وطُبع الكتاب في روما سنة (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م)، مع ترجمة إيطالية لأماري(١).

٤. دَمْعة الباكي ويقْظة الساهر (أو الباكي):

ذكره الصفدي في مصنفه "ديوان الفصحاء وترجمان البلغاء"، وهو عبارة عن مجموعتين من الشعر، كل واحدة على حدة، ويقول الصفدي: "قرأت على ابن فضل الله العمري جميع "يقظة الساهر" و "دمعة الباكي"(٢).

٥. ذَهَبِيَّة العَصر:

ذكر فيه شعراء المشرق والمغرب الإسلامي من أهل المئة الثامنة، وذكر أشعارهم وأخبارهم على نهج من سبقه في التأليف من أدباء عصره وشعرائه، كالثعالبي(٣) في "يتيمة الدهر" والباخرزي(٤) في كتابه "دمية القصر"، والعماد الأصفهاني(٥) في "خريدة القصر"، ومن بعده كالصفدي في كتابه "أعيان العصر وأعوان

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ١٦).

(٢) الوافي بالوفيات (ج٨/ ١٦٥)؛ أعيان العصر (ج١/ ٤٢٠)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج١٠/ ٢٣٥).

(٣) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: النيسابوري، وله كتاب "يتيمة الدهر" وكتاب "فقه اللغة"، و"سحر البلاغة وسر البراعة"، و"من غاب عنهم المطرب"، و"مؤنس الوحيد"، ولد سنة (٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، وتوفي سنة (٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م)؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ١٧٨- ١٨٠)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٣/ ١٤٦)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٩/ ١٣٠- ١٣٢)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٣/ ٣٧٥)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٥/ ١٥١).

(٤) هو أبو الحسن، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي؛ السبخي: من نيسابور، وكتابه "دمية القصر في شعراء العصر"، شاعر مشهور، وله ديوان كبير، توفي سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م)؛ ينظر: الحموي، معجم الأدباء (ج٤/ ١٦٨٢- ١٦٨٧)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ٣٨٧- ٣٨٩)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٣/ ٤٦٥)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٢/ ٩٣- ٩٤)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٣/ ٤٥٤).

(٥) هو محمد بن محمد بن حامد بن عبد الله بن علي، أبو عبد الله؛ المعروف بالعماد الكاتب الأصفهاني: كان فقهياً على المذهب الشافعي، ولد بأصبهان سنة (٥١٩هـ/ ١١٢٥م) ونشأ بها، ثم رحل إلى بغداد ودرس في المدرسة النظامية، ثم انتقل إلى دمشق سنة (٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)، ولما توفي صلاح الدين لزم بيته، وتوفي سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٠١م)؛ ينظر: الحموي، معجم الأدباء (ج٦/ ٢٦٢٣- ٢٦٣١)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٥/ ١٤٧- ١٥٣)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١/ ١١٩).

النصر "[1].

٦. **صَبَابة المُشْتَاق في المدائح النبوية:**

ديوان في المدائح النبوية[2].

٧. **الدائرة بين مكة والبلاد**[3].

٨. **تذكرة الخاطر**[4].

٩. **الدرر الفرائد:**

وهو مختصر قلائد العِقْيان في محاسن الأعيان لابن خاقان[5]، وموضوعه تراجم لطائفة من ملوك المغرب ووزرائه، وقضاته، وعلمائه، وأدباءه، وشعرائه[6].

١٠. **فواضل السمر في فضائل آل عمر:**

ويتحدث فيه أبن فضل الله العمري عن أُسرته ورجالاتها وفضائلها، وهو من أربع مجلدات، ومفقود[7].

١١. **الدعوة المستجابة**[8].

١٢. **نَفْحَة الروض:** "في الأدب"[9].

١٣. **حسن الوفا لمشاهير الخلفا:** "قصيدة رثائية"[10].

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ١٧).

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ٢٥٥)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج١٠/ ٢٣٥).

(٣) الزركلي، الأعلام (ج١/ ٢٦٨).

(٤) ابن خليفة، كشف الظنون (ج١/ ٣٨٥).

(٥) هو الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي: من إشبيلية؛ وقيل أنه من الأندلس، وهو أديب، وشاعر بليغ، فصيح، وبذيء اللسان في هجاء الأعيان، وكان يحب الخلوة، توفي مقتولاً بمدينة مُراكش بالمغرب سنة (٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)؛ ينظر: الحموي، معجم الأدباء (ج٥/ ٢١٦٣)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٤/ ٢٣-٢٤)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١١/ ٦٣٨)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٦/ ١٧٦- ١٨٠).

(٦) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ١٨).

(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ٢٥٥)؛ أعيان العصر (ج١/ ٤٢٠)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج١/ ٣٣٣)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج١٠/ ٢٣٥).

(٨) ابن خليفة، كشف الظنون (ج١/ ٧٥٦).

(٩) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ١٨)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج١٠/ ٢٣٥).

(١٠) ابن خليفة، كشف الظنون (ج١/ ٧٧٨).

١٤. سَفْرة السفرة[١].

١٥. الجواهر الملتقطة: وهو مجموعة من المكاتبات من إنشاء العمري[٢].

١٦. النزهة الكافية في معرفة الكتابة والقافية[٣].

ثانياً: التعريف بالكتاب:

١- التعريف بكتاب مسالك الأبصار في ممالك الامصار:

يعتبر كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار من أهم مؤلفات ابن فضل الله العمري، والذي كتبه في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)[٤]، وهذا يعني أن ابن فضل الله وضع هذا الكتاب خلال الفترة التي تم عزله عن العمل في دمشق، وقبل موته بإحدى عشرة سنة[٥]، وهو من أهم ما أنتجه عصر السلاطين المماليك، حيث يصفه الصفدي بأنه 'كتاب حافلٌ ما يَعْلم أن لأحد مثله"[٦].

وذكره ابن حجر العسقلاني وابن تغري بردي أنه الكتاب أكثر من عشرين مجلداً[٧]، وذكره ابن العماد الحنبلي أنه سبعة وعشرين مجلداً[٨]، وورد بموسوعة العلوم الإسلامية أنه اثنان وثلاثون جزءاً، وقسم فؤاد سزكين الكتاب (المخطوط) إلى سبعة وعشرين سفراً[٩].

إن العدد الأصلي لأجزاء الكتاب حسب تقسيم المؤلف سبعة وعشرون سفراً، وله أربع نسخٍ وهي: نسخة آيا صوفيا التي تتكون من سبعة وعشرين سفراً، وسلسلة طوب قبو سراي (أحمد الثالث)، والتي تتكون من سبعة عشر سفراً؛ أما النسختان الأخرتان

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ٢٥٥)؛ ابن خليفة، كشف الظنون (ج٢/ ٩٩٢).

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى (ج٩/ ٣٢٠).

(٣) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ١٦).

(٤) المصدر السابق (ج٣/ ٢٨٨).

(٥) المصدر السابق (ص ٧).

(٦) الوافي بالوفيات (ج٨/ ٢٥٥).

(٧) الدرر الكامنة (ج١/ ٣٣٣)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج١٠/ ٢٣٥).

(٨) شذرات الذهب (ج٨/ ٢٧٤).

(٩) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٧).

اللتان أطلق عليهما اسما ممتلكيهما الأولان فهما السلسلة الأيوبية، وتتألف من ثلاثة وعشرين مجلداً، وسلسلة ابن أبي جرادة، وتتألف من سبعةٍ وعشرين سفراً، ويبدو أن النسخة الأصلية من الكتاب هي نسخة آيا صوفيا، حيث يوجد على ظهر المجلد الأول منها ملاحظة تفيد أن خطبة الكتاب قرأت على المؤلف[١].

٢- تقسيم الكتاب:

أ- المجلد الأول: (المسالك، والآثار، والأقاليم).

قسمه العمري إلى قسمين: القسم الأول "في ذكر الأرض وما اشتملت عليه براً وبحراً"؛ حيث ذكر المسالك: فتحدث في الباب الأول عن مقدار الأرض وحالها، والبحيرات، والمساجد، وبيوت النبي ﷺ، والحانات؛ وذكر في الباب الثاني الأقاليم السبعة وتقسيمها، وفيما وقع فيها من المدن والجزائر [٢].

ب- المجلد الثاني: (تتمة الأقاليم، والبحار، والقُبلَةُ).

ذكر فيه بقية الأقاليم السبعة، ومشاهير عُبَاد الصليب، وأطوال النهار لكل إقليم، والبحار وما يتعلق بها، والرياح الأربعة، ونبذة عن العجائب براً وبحراً، والكواكب والكسوف والخسوف، والطرق وتعاريجها[٣].

ت- المجلد الثالث: (ذكر ممالك الإسلام جملة).

تحدث فيه عن مملكة السند والهند، ومملكة بيت جنكيز خان، ومملكة الجيل، ومملكة الجبال، ومملكة الأتراك بالروم، ومملكة مصر والشام والحجاز [٤].

ث- المجلد الرابع: (تتمة النوع الثاني في ذكر ممالك الإسلام).

ذكر فيه مملكة اليمن، وممالك المسلمين بالحبشة، وممالك مسلمي السودان على ضفة النيل إلى مصر، ومملكة مالي وما معها، ومملكة جبال البربر، ومملكة

([١]) الجداية، حكام بني إسرائيل في كتاب مسالك الأبصار (ص١٣- ١٤).

([٢]) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ١١٩- ٥٠٧).

([٣]) المصدر السابق (ج٢/ ١٧- ٣٥٢).

([٤]) المصدر السابق (ج٣/ ٣١- ٣٨١).

إفريقية، ومملكة بر العدوة، ومملكة الأندلس، وذكر قبائل العرب[1].

ج- **المجلد الخامس: (في الإنصاف بين المشرق والمغرب على حكم التحقيق).**

تناول مشاهير القراء في المشرق، والجانب الغربي، والمحدثون والفقهاء[2].

ح- **المجلد السادس: (طبقات الفقهاء وأصحاب المذاهب الإسلامية).**

تحدث فيه عن طبقات الفقهاء الحنفية في المشرق والمغرب ومصر، وطبقات الفقهاء المالكية في المشرق والمغرب، وطبقات الفقهاء الشافعية في المشرق والمغرب، وطبقات الفقهاء الحنابلة، وطبقات الفقهاء الظاهرية في المشرق والمغرب[3].

خ- **المجلد السابع: (أصحاب النحو واللغة والبيان).**

ذكر فيه أهل اللغة والنحو في المشرق والمغرب ومصر، وأرباب المعاني والبيان[4].

د- **المجلد الثامن: (مشاهير الفقراء والصوفية).**

تناول فيه مشاهير الفقراء والمتصوفين من أهل المشرق والمغرب، والفقراء اليونسية[5].

ذ- **المجلد التاسع: (مشاهير الحكماء والأطباء والفلاسفة).**

ذكر فيه تراجم الحكماء والفلاسفة في المشرق والمغرب، وأطباء العرب والسريان والهند والشام ومصر، وطبقات الأطباء في بلاد العجم[6].

ر- **المجلد العاشر: (الغناء والموسيقى).**

يشتمل على تراجم المغنيين والمغنيات، وفيما يتعلق بذلك من شعر وأخبار وأحاديث مجالس الطرب، ويعتبر ثروة أدبية وفنية نفيسة، وجمع كثير من الأشعار والأخبار وتراجم المغنيين والمغنيات والشعراء والخلفاء والأمراء والوزراء وبقية الأعلام، وحفظ كثيراً من الشعر الضائع أو المجهول الذي لم تحويه الكتب والدواوين[7].

---

(1) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٣- ١٨٦).

(2) المصدر السابق (ج٥/ ٣٢- ٣٦٩).

(3) المصدر السابق (ج٦/ ١٩- ٣٦٠).

(4) المصدر السابق (ج٧/ ١٣- ٣٥٤).

(5) المصدر السابق (ج٨/ ١٦- ٢٧١).

(6) المصدر السابق (ج٩/ ١٧- ٣٦٥).

(7) المصدر السابق (ج١٠/ ٢٩- ٦٧٤).

ز- المجلد الحادي عشر: (مشاهير الوزراء).

تحدث عن مشاهير الوزراء في الجانب الشرقي، والجانب الغربي[١].

س- المجلد الثاني عشر: (كُتّابُ الإنشاء المشارقة).

عرف الإنشاء من بدايته، وتحدث عن كُتَّاب الدواوين منذ العصر العباسي حين كانت منوطة بالوزراء إلى أن استقل بها كُتّاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة[٢].

ش- المجلد الثالث عشر: (كُتَّاب الإنشاء المغاربة والخطباء).

اختص بكُتَّاب الإنشاء من المغاربة معتمداً في تراجمهم وتسجيل نصوص من أدبهم على كتابين "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام"[٣]، وكتاب "قلائد العقيان لابن خاقان"، وتحدث عن الخطابة والخطباء قبل الإسلام، وخطباء المشرق ممن ذكر الجاحظ[٤] في كتابه البيان والتبيين[٥].

ص- المجلد الرابع عشر، والخامس عشر، والسادس عشر، والسابع عشر: (شعراء العصر الجاهلي، والأموي، والعباسي).

تناول فيه تراجم شعراء الجاهلية والدولتين الأموية، والعباسي؛ الأول والثاني[٦].

ض- المجلد الثامن عشر، والتاسع عشر: (شعراء مصر).

تناول تراجم لشعراء مصر، حيث اعتمد ابن فضل الله على كتاب "المرقصات

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج١١/ ١٥- ٣١١).

(٢) المصدر السابق (ج١٢/ ١١- ٣٧٧).

(٣) هو الكاتب الأديب الأندلسي، علي بن بسام أبو الحسن الشنتريني، صاحب كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" ويعني بها جزيرة الأندلس، وهو سبعة أسفار، توفي سنة (٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م)؛ ينظر: الحموي، معجم الأدباء (ج٤/ ١٦٦٧)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٠/ ١٦٢).

(٤) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي؛ المعروف بالجاحظ: العلامة، ذو الفنون، من بحور العلم، ومن مؤلفات كثيرة؛ منها "الرد على أصحاب الإلهام"، و"الرد على المشبهة" وغيرها، توفي بالبصرة سنة (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)؛ ينظر: الحموي، معجم الأدباء (ج٥/ ٢١٠١- ٢١٢٨)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ٤٧٠)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٦/ ١٣٢)؛ سير أعلام النبلاء (ج٩/ ٤١٣- ٤١٥).

(٥) العمري، مسالك الأبصار (ج١٣/ ٩- ٣٧٨).

(٦) المصدر السابق (ج١٤/ ١٥- ٦٣٠)، (ج١٥/ ١٤- ٤٩٢)، (ج١٦/ ١٤- ٤٩٢)، (ج١٧/ ١٧- ٤٠٣).

والمطربات" لعلي بن سعيد المغربي[1][2].

ط- **المجلد العشرون: (الحيوان والنبات).**

خصصه لدراسة الحيوان والنبات، حيث اعتمد في تأليفه على كتاب "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" لابن البيطار[3]، واستعان بكتاب "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" لأبي بكر القزويني[4].

ظ- **المجلد الحادي والعشرون، والثاني والعشرون: (الأعشاب والنجومُ، والمعادن والأحجار).**

خصصه لدراسة الأعشاب والنجوم؛ ويُقصد بالنجومُ: "النباتات ذات السيقان المرتفعة، كالزرع والبقول والحشائش البرية والرياحين"، واعتمد على كتاب" الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" لابن البيطار[5].

ع- **المجلد الثالث والعشرون: (الأديان والمذاهب).**

ذكر فيه الأديان والمذاهب ومبدأ العالم ونشوء الخليقة، والسيرة النبوية، وآل أبي طالب، والخلفاء الراشدون، واعتمد على كتاب "الفصل في الملل والنحل" لابن حزم، وكتاب "السيرة النبوية" لعبد الملك بن هشام الحميري، وكتاب "الوفا بأحوال المصطفى"

([1]) هو علي بن موسى بن سعيد المغربي: الغماري؛ الأديب نور الدين، ينتهي نسبه إلى عمار بن ياسر؛ قدم من المغرب وارتحل إلى مصر والعراق والشام، وجمع وصنف ونظم، وهو صاحب كتاب " المغرب في أخبار المغرب" و"المشرق في أخبار المشرق" و"المرقص والمطرب"؛ توفي بدمشق سنة (٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ٢٦٤)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٣/ ١٠٣- ١٠٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٢/ ١٥٧- ١٥٨).

([2]) العمري، مسالك الأبصار (ج١٨/ ١١- ٢٤٨)، (ج١٩/ ٩- ٣١٢).

([3]) هو ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، النباتي، الطبيب، ابن البيطار: مصنف كتاب "الأدوية المفردة"، انتهت إليه معرفة الحشائش، وسافر إلى أقصى بلاد الروم، وحرر شأن النبات، وكان أحد الأذكياء، وخدم الملك الكامل، وابنه الملك الصالح، توفي بدمشق سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٦/ ٤٢٦)؛ العمري، مسالك الأبصار (ج٩/ ٦١٢- ٦١٤)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٢/ ١٥٩- ١٦٠)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٥/ ٢٠٥)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٧/ ٤٠٥).

([4]) العمري، مسالك الأبصار (ج٢٠/ ٢١- ٢٧٦).

([5]) المصدر السابق (ج٢١/ ١١- ١٨٨)، (ج٢٢/ ١٧- ٢٤٠).

لابن الجوزي، وكتاب "كنوز المطالب في فضائل آل أبي طالب" للمغربي[1].

غ- **المجلد الرابع والعشرون: (دولة الحسنيين والحُسينيين، والدولة العباسية، والدولة الأموية، الدولة الأموية في الأندلس حتى سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م).**

اختص هذا الجزء تاريخ الدول العربية الإسلامية التي أقامها الهاشميون وبنو أمية في العراق والشام والحجاز ومصر والأندلس، وبدأ بدول العلويين وثورة الزنج والقرامطة، ثم الدولة العباسية حيث قدّمها على الدولة الأموية، ويرجع سبب ذلك أن العباسيين أقرب إلى رسول الله ﷺ، وآله من الأمويين نسباً، واستمر في تدوين الخلافة العباسية في مصر بعد انتهائها في بغداد على أيدي التتار عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، وانتهى بالدولة الأموية حتى سقوطها على أيدي العباسيين سنة (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)، ثم انتقل إلى تدوين تاريخ دولتهم في الأندلس، وحوى أيضاً على تراجم خلفاء وأمراء وملوك هذه الدول، وعرض الجوانب السياسية والاجتماعية والحضارية، وعوامل تقدمها وازدهارها، وكذلك هبوطها وسقوطها[2].

ف- **المجلد الخامس والعشرون: (الحكام والملوك قبل الإسلام، حوادث تاريخ الإسلام من سنة (١هـ/ ٦٢٣م) إلى سنة (١٦٠هـ/ ٧٧٧م).**

تضمن دول ما قبل الإسلام، فأرخ لحكام بني إسرائيل، وذكر زكريا وعيسى ابن مريم عليهما السلام، وخراب بيت المقدس، ثم تحدث عن أخبار ملوك الهند والصين والترك، وأخبار مصر الأولى والفرس واليونان والسريان وملوك الإفرنجية والسودان، ثم ملوك قحطان وآل جفنة وأخبار ملوك الحيرة، ثم ذكر أيام العرب وما شجر بين القبائل من حروب، وانتهي إلى الدولة الإسلامية، فبدأ بالسنة الأولى للهجرة واستمر إلى نهاية المجلد في احداث سنة (١٦٠هـ/ ٧٧٧م)[3].

ق- **المجلد السادس والعشرون: (حوادث تاريخ الإسلام من سنة (١٦١هـ/ ٧٧٨م) إلى سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٦م).**

---

(1) العمري، مسالك الأبصار (ج٢٣/ ١٥- ٦٢٠).

(2) المصدر السابق (ج٢٤/ ١٥- ٣٩٤).

(3) المصدر السابق (ج٢٥/ ١٣- ٢٧٤).

تحدث عن البرامكة والإيقاع بهم، وابتداء دولة بني زياد في اليمن والقرامطة، والدولة الفاطمية بمصر، وملك بني بويه، ثم السلاجقة، ودولة الملثمين، وبين خوارزم شاه، وأمر ابن تومرت، وعبد المؤمن، وبذلك أرخ للخلافة الإسلامية في حاضرتها بغداد، ثم للدول التي ظهرت في أطراف العالم الإسلامي منفصلة عن الخلافة[١].

ك- المجلد السابع والعشرون: (حوادث تاريخ الإسلام من سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٧م) إلى سنة (٧٤٤هـ/ ١٣٤٤م).

بدأ هذا المجلد بأحداث سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٧م)، وقد اعتمد المؤلف على كتاب "المختصر في تاريخ البشر" في تدوين الأحداث حتى سنة (٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م)[٢].

ثالثاً: منهجه في تأليف الكتاب:

لقد اتبع المؤلف منهجاً فريداً في تأليفه لكتابه "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، بحيث اعتمد على عدة مناهج في التأليف:

١-منهج الرواية بالمشاهدة والرؤية:

وهذا فيما يتعلق باستعراضه لأحداث ووقائع عصره في ممالك مصر والشام والحجاز، حيث لا يذكر مصدر روايته أو مشاهدته باعتباره الشاهد عليها، ولا تفوته شاردة ولا واردة إلاّ وذكرها، فنجده يطنب بالحديث عن مصر وأحوالها وأحوال سلاطينها إطناباً، ويرسل الحديث في كل الجوانب التاريخية والحضارية[٣].

ويؤكد العمري على صدقه في نقل ما كتب فيقول: "لا يعتقد معتقد، ولا يظن ظان، أني قلت في هذا بغرض لكوني من أهل هذه البلاد، وتحت ظل ملوكها، وربيت أنا وآبائي في نعم سلاطينها؛ فمعاذ الله أن أقول إلا الحق أو أسطر عني غير الصحيح؛ لا سيما فيما يتحدث به أهل جيل بعد جيل"[٤].

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٢٦/ ١١- ٣٤٣).
(٢) المصدر السابق (ج٢٧/ ١١- ٣٦٤).
(٣) المصدر السابق (ج٣/ ١٠).
(٤) المصدر السابق (ص ٢٧٧).

٢-**منهج الرواية بالسماع:**

وهذا قائم على سماع رواية الذين شاهدوا تلك البلاد واطلعوا على أخبارها من التجار والزوار، وقد ذكر ذلك في أحداث ووقائع ممالك الهند وممالك قانات المغول وممالك بلاد الجيل والجبل وممالك الروم، ويذكر عن ممالك الهند قائلاً: "كنت أسمع الأخبار الطائحة والكتب المصنفة، ما يملأ العين والسمع، وكنت أقف على حقيقة أخبارها لبعدها منا، وتنائي ديارها عنا، فلما شرعت في تأليفي هذا الكتاب، تتبعت ثقاة الرواة، ووجدت أكثر مما كنت أسمع وأجل مما كنت أظن"(١).

ويشرح هذا المنهج قائلاً: كنت أسال الرجل عن بلاده، ثم اسأل الآخر والآخر لأقف على الحق، فما اتفقت عليه أقوالهم، وتقاربت فيه؛ أُثبته، وما اختلفت فيه أقوالهم أو اضطربت؛ تركته، ثم أنزل الرجل المسؤول مدةً أناسيه فيها ما قال، ثم أعيد عليه السؤال عن بعض ما كنت سألت، فإن ثبت على قوله الأول؛ أثبت ما قاله، وإن تزلزل؛ أذهبت في الريح أقواله، كل هذا لأتروى في الرواية، وأتوثق في التصحيح(٢).

٣-**منهج النقل عن المتون السابقة:**

وهذا قليل للغاية، حيث لجأ العمري أحياناً إلى ذكر أحداث تاريخية قديمة وسابقة لعصره، من مؤلفات مثل "تاريخ الطبري"(٣)، "وتاريخ دمشق لابن عساكر"(٤)،

(١) العمري، مسالك الأبصار (ص ١٠- ١١).

(٢) المصدر السابق (ص ١١).

(٣) أبو جعفر؛ محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري: العلامة، وإمام وفقيه، ولد بآمل سنة (٢٢٤هـ/ ٨٣٩م)، توفي سنة (٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، ودرس الحديث، وأدرك الأسانيد العالية بمصر، والشام، والعراق، والكوفة، والبصرة، والري، وكان متفنناً في علم القرآن، والنحو، والشعر، واللغة، والفقه؛ ينظر: ابن النديم، الفهرست (ج١/ ٢٨٧)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥٢/ ١٨٨- ٢٠٨)؛ الحموي، معجم الأدباء (ج٦/ ٢٤٤١- ٢٤٥٠)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٤/ ١٩١- ١٩٢)؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج٢/ ٢٠١- ٢٠٤).

(٤) الحافظ أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله أبي الحسن بن عبد الله بن الحسين، المعروف بابن عساكر: الدمشقي الملقب ثقة الدين؛، محدث الشام، ولد سنة (٤٩٩هـ/ ١١٠٥م)، ومن الفقهاء الشافعية، غلب عليه الحديث وجمع منه الكثير، طاف البلاد ولقي المشايخ، وكان حافظا دّيناً جمع بين معرفة المتون والأسانيد، سمع ببغداد سنة (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، ثم رجع إلى دمشق ثم رحل إلى خراسان ودخل نيسابور وهراة وأصبهان=

"وجها نگشاي" لعلاء الدين عطا ملك جويني[١]، و"جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الهمداني، فيذكر عادةً اسم المؤلف أو اسم الكتاب الذي نقل عنه، وكان يثبت أسماء كتب مكتوبة باللغة الفارسية[٢].

والمؤلف في حديثه عن الممالك الإسلامية لا يستعرض أحداثاً تاريخية بقدر ما يقدم لنا استعراضاً حضارياً، ويعتبر كتابه ضمن المؤلفات التي تؤرخ للحضارة، فهو يستعرض الجوانب الحضارية عند الشعوب في الهند والصين وبلاد ما وراء النهر وإيران وتركيا ومصر والحجاز، وهذا النوع من المؤلفات قليل، ورجاله قلائل[٣].

=والجبال، توفي بدمشق سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م)؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ٣٠٩- ٣١١)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٥/ ٢٤٧- ٢٥٤)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٤/ ٢٦٢- ٢٦٣).

(١) هو عطا ملك بن محمد بن محمد، الأجل، علاء الدين: صاحب الديوان، ابن الصاحب بهاء الدين الجويني، الخراساني، وأخو الصاحب الكبير الوزير شمس الدين، ولي نظر العراق بعد العماد القزويني، فأخذ في عمارة القرى، وأسقط عن الفلاحين مغارم كثيرة إلى أن تضاعف دخل العراق، وتوفي سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ٤٥٣)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٢/ ٤٥٢- ٤٥٣).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ١١- ١٢).

(٣) المصدر السابق (ص ١٢).

المبحث الثالث: الكتابة التاريخية للرحالة في عصر المؤلف.

أولاً: الكتابة التاريخية في القرنين السابع والثامن الهجري:

لم يقتصر اهتمام كتب المسالك والممالك، والبلدان، والرحلات على وصف البلدان والأماكن، وتحديد البقاع، والمسافات بين البلدان، بل تعدى ذلك إلى دراسة أخبار المكان، والعادات والتقاليد، واهتمت بدراسة الكيانات السياسية، وعجائب وغرائب البلدان، وكل ماله علاقة بتاريخ المكان، فنجد المؤلفات الجغرافية وكتب الرحلات اهتمت بعنصرين أساسيين وهما: التعريف بالمكان، وذكر الحدث الذي وقع على المكان أو ما يسمى "تاريخ المكان"، والجغرافيا التاريخية تهتم بالربط بين المكان والأحداث التاريخية التي وقعت عليه، ومدى تأثيرها على ذلك المكان، وهذه مهمة صاحب الرحلات والمسالك، وواصف البلدان[١].

وبالرغم من أن القرن السابع الهجري من أسوأ القرون التي عصفت بتاريخ أمتنا، والذي تمثل بالغزو الصليبي لبلاد المسلمين، ومن ثم الغزو المغولي الهمجي، فقد شهد هذا القرن نشاطاً ثقافياً ملموساً في بلاد الشام تجلى بكثرة إنشاء المدارس والمكتبات، يذكر ابن خلكان[٢] عندما زار حلب سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) أنها كانت أم البلاد لكثرة العلماء فيها[٣].

وذكر النعيمي عند حديثه عن المدارس في بلاد الشام ستاً وستين مدرسة، أنشئت في القرن السابع الهجري للمذاهب الأربعة منها مدرستان للمالكية، وثمان مدارس للحنابلة وخمس وعشرون مدرسة للحنفية، وواحدة وثلاثون مدرسة للشافعية، كما أورد ذكر ثلاث مدارس أنشئت لدراسة الطب، ولا شك بأن هذا العدد الكبير من المدارس يدل على وجود نهضة ثقافية واضحة في ذلك العصر، حيث أن هذه المدارس قد اشتملت على دور القرآن الكريم ودور الحديث

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك (ص٦).

(٢) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان؛ قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي، ولد بأربيل بالعراق سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م)، وكان كثير الكرم والجود، وعلامة في الأدب والشعر وأيام الناس، وكان كثير الاطلاع، توفي سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ٤٤٤)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج١/ ١١٠- ١١٨)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٧/ ٢٠١- ٢٠٢)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج٢/ ٨٩- ٩١)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٥/ ٣٩٣).

(٣) وفيات الأعيان (ج٧/ ٤٨).

الشريف، وكانت تعلم الحديث النبوي وعلوم القرآن واللغة والنحو والصرف والبلاغة والعروض والعلوم التاريخية وغير ذلك[١].

وشهد القرن الثامن الهجري نشاطاً ملحوظاً في التأليف من ناحية وفي جمع الكتب وإنشاء المكتبات من ناحية أخرى والعناية بها، وشملت العناية بالكتب كل المشتغلين بالعلم والأدب من العلماء والأدباء والمفكرين، وكان في كل مدارس الشام خزانة للكتب، كالمدرسة الأشرفية بدمشق والمدرسة العادلية، والمدرسة العمرية، والمدرسة الناصرية[٢]، كما وضعت أغلبية المساجد مكتبات بها مختلف أنواع العلوم؛ كالمكتبة التي في الجامع الأيوبي بدمشق، كما ضمت الربط والخوانق مكتبات احتوت على أصناف متعددة من العلوم، وقد تنوعت مجالات تأليف الكتب في تلك الفترة، فألف في علوم الدين واللغة العربية وعلوم التاريخ والجغرافية[٣].

وفي الثلاثينيات من القرن الثامن الهجري ظهر كتاب مؤلفنا ابن فضل الله العمري سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م)، وفي نفس العام ظهر كتاب "تاريخ وصاف" أو "تجزئة الأمصار وتزجية الأعصار" لشهاب الدين عبد الله الشيرازي المعروف بوصاف الحضرة، تناول فيه تاريخ المغول وأمراء النواحي والأطراف، ويعد متمماً لكتاب "وجها نگشاي" لجويني، وظهر كتاب تاريخ گزيده لحمد الله المستوفى القزويني، وهو تلخيص لكتاب جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الهمداني[٤].

وكانت رحلة ابن بطوطة المعروفة "بتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لمحمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، وهو من أهم مؤلفات القرن الثامن الهجري، وقد كتبت هذه الرحلة سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)، وظهر كتاب "مجمع الأنساب" لمحمد بن علي بن محمد الشبانكاره، الذي وضعه بالفارسية سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)، في التاريخ العام[٥].

---

(١) الدارس في المدارس، (ج١/ ٢١٦).

(٢) كرد علي، خطط الشام (ج٦/ ١٩٥).

(٣) أبو شامة، الذيل على الروضتين (ص١٥٩).

(٤) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ١٥).

(٥) المصدر السابق (ص ١٥- ١٦).

ثانياً: الرحالة المسلمون في القرن السابع الهجري:

١-الرحالة ابن جبير (ت: ٦١٤هـ/ ١٢١٧م):

أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني، ولد بمدينة بلنسية في بلاد الأندلس، سمع من أبيه وعني بالأدب، فبلغ الغاية فيه، وتقدم في الكتابة[١]، "كان أديباً بارعاً، شاعراً مجيداً نزيه المهمة، كريم الأخلاق، أنيق الطريقة في الخط"[٢].

قام ابن جبير بثلاث رحلات للمشرق، حاجاً في كل واحدة منها، فكانت **رحلته الأولى** سببها، أن أبا سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة استدعاه[٣]، واستغرقت رحلته منذ خروجه من غرناطة[٤]، في الثامن عشر من شهر شوال سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، إلى عودته إليها في الثاني والعشرين من محرم سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، أي حوالي عامين كاملين وثلاثة أشهر ونصف، حيث قام ابن جبير بتدوين أخبارها على هيئة مذكرات يومية، وأوضح ذلك في بداية رحلته حيث قال: "أبتدئ بتقييدها يوم الجمعة الموافق ثلاثين لشهر شوال سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، على متن البحر بمقابل جبل شلير[٥]، عرفنا الله السلامة بمنه"[٦].

أما **رحلته الثانية:** "فكانت عند سماعه أخبار تحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين على يد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، فتحرك إليها من غرناطة في ربيع الأول سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م)، ثم عاد إلى غرناطة

---

(١) المقري، نفح الطيب (ج٣/ ١٤٣)؛ ابن الخطيب، الإحاطة (ج٢/ ٢٣٩).

(٢) ابن الخطيب، المصدر السابق (ج٢/ ٢٣١).

(٣) استدعاه ابا سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة، ليكتب له كتاباً، وهو يشرب الخمر، فمد يده إليه بكأس، فرفض، فأقسم أبا سعيد ليشربن منها سبعاً، فلما رأى اصراره على ذلك شرب سبع كؤوس، فملأ له السيد الكأس دنانير سبع مرات، فأراد أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير، فأعلم سيده بذلك فلم يقبل، وباع ملكاً له وتزود به، وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر؛ ينظر: المقري، نفح الطيب (ج٣/ ١٤٥- ١٤٦).

(٤) غرناطة: وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها يشقّها بنهر حدارّه؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١٩٥).

(٥) شلير: جبل بالأندلس من أعمال البيرة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٦٠).

(٦) ابن جبير، الرحلة (ص١).

في شهر شعبان سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)"[١].

أما **رحلته الثالثة والأخيرة:** فكانت من سبتة[٢]، بعد موت زوجته جاور بمكة فترة طويلة، ثم انتقل لبيت المقدس، كما تجول بمصر والإسكندرية، فأقام يُحدث ويأخذ عنه[٣]، إلى أن وافته المنية بالإسكندرية في شعبان سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٧م)[٤].

وتعتبر رحلة ابن جبير من أدق الرحلات التي قام بها الرحالة المغاربة بقصد أداء فريضة الحج، حيث دون فيها مشاهداته وملاحظاته، منذ البداية حتى رجوعه إلى بلاده، كما أن خط سير رحلته معروف جيداً، بفضل الاشارات الدقيقة والتواريخ المحددة، لدرجة أنه أثر في كثير من الكتاب الذين جاءوا بعده، فنقلوا أجزاء كبيرة من رحلته، مثل ابن الخطيب، والمقريزي، والمقري التلمساني، والفاسي[٥].

٢-الرحالة أبو الحسن الهروي (ت: ٦١١هـ/ ١٢١٤م):

هو أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي، رحالة مؤرخ، أصله من هراة[٦]، ومولده بالموصل، طاف البلاد وتوفي بحلب سنة (٦١١هـ/ ١٢١٤م)، وكان له فيها رباط، وكان ابن الهروي يكتب على الحيطان، وقلما يخلو موضع مشهور من مدينة أو غيرها إلا وفيه خطه، وقد عرف بالسائح الهروي، لأنه قضى حياته مرتحلاً في أنحاء المشرق والمغرب الإسلامي، والهند ومصر وغيرها، ويذكر ابن خلكان: "إنه لم يترك براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها إلا رآه، ولم يصل إلى موضع إلا كتب بخطه على حائطه، ولقد شاهدت ذلك في البلاد التي رأيتها مع كثرتها"[٧].

---

(١) ابن جبير، الرحلة (ص ٢٨- ٢٩).

(٢) سبتة: مدينة بالمغرب تقع على البحر تقابل الأندلس؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ١٨٢).

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة (ج٢/ ٢٣٢).

(٤) المصدر السابق (ص٢٣٩)؛ المقري، نفح الطيب (ج٣/ ٢٤٦).

(٥) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي (ج١/ ٢٩٩).

(٦) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من كبرى مدن خرسان؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٤٥٦).

(٧) وفيات الأعيان، (ج٣/ ٣٤٦)؛ ابن العماد، الشذرات (ج٥/ ٤٩).

وسجل الهروي في رحلته "الإشارات في معرفة الزيارات" بعضاً من الشؤون المتصلة به، فنراه في فلسطين سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) يزور القدس والخليل وغيرها[١]، ويصل ثغر عسقلان في العام التالي[٢]، وفي العام نفسه كان في الإسكندرية يسمع الحديث عن السلفي، ويتجول في الديار المصرية حتى أسوان[٣]، ويحل عام (٥٧٢هـ/ ١١٧٧م) وهو لا يزال في مصر[٤].

وبعدها طاف برحلته إلى شمال إفريقية وصقلية، وشاهد بركان اتنا، واجتمع إلى أحد زعماء المسلمين هنالك وهو أبو القاسم بن حمود المعروف بابن حجر، الذي أرسل معه رسائل إلى السلطان صلاح الدين يحثه فيها على أخذ صقلية من يد النورمان، ولكن المركب غرق وركب الهروي في مركب آخر إلى قبرص[٥].

لقد كان عمل الهروي شاقاً وعسيراً في كتاباته عن آثار مصر القديمة، حيث لم يكن يعرف حق المعرفة ما تمثله هذه الآثار وما عليها من كتابات ونقوش، جراء افتقار تلك المرحلة الخبرة بالكشوف واللغة الهيروغليفية، حيث تم اكتشافها في العصر الحديث، فكان الهروي هو من استثار غريزة حب الاستطلاع عند المصريين في تاريخ وطنهم القديم، وقد اعتمد ياقوت الحموي في كتاباته إلى حد كبير على كتابات الهروي، ونقل عنها الكثير حرفياً[٦].

٣- الرحالة ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م):

هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، البغدادي يكنى بأبي عبد الله[٧]، ويذكر بعض المؤرخين أنه أراد تغيير اسمه إلى يعقوب، ولكن اسمه الأول التصق به واشتهر،

---

(١) الهروي، الإشارات في معرفة الزيارات (ص٣١).

(٢) المصدر السابق (ص٣٢).

(٣) المصدر السابق (ص٣٠).

(٤) المصدر السابق (ص٥١).

(٥) المصدر السابق (ص٥٥).

(٦) المصدر السابق (ص٦).

(٧) ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٨/ ١٨٧)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٥/ ١٢١).

ولم يستطع تغييره[1].

بدأ ياقوت الحموي طلب العلم في وقت مبكر، منذ كان عمره سبع سنين، وعلى الرغم من انشغال الحموي بالتجارة إلا أن ذلك لم يمنعه من مقابلة العلماء والأدباء والاستفادة مما لديهم، ففي رحلته إلى آمد[2] سنة (٥٩٤هـ/ ١١٩٨م)[3]، سارع للالتقاء بالأديب علي بن الحسين المعروف بشميم الحلي[4]، يجالسه ليناقشه ويسأله عن بعض مؤلفاته الأدبية[5].

كانت أول رحلاته إلى جزيرة كيش[6]، وكانت غاية الرحلة للتجارة، التي تحولت فيما بعد إلى هدف علمي، وكان واضح ذلك في كتابه معجم البلدان، وتكررت رحلاته إلى جزيرة كيش حتى بلغت ثماني رحلات[7]، وكان يلتقي بتلك المدينة التجارية تجار الهند والفرس والعرب[8]، وسافر إلى حلب سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٣م)، ثم إلى مصر، وزار مدن وقرى خراسان[9]، وأذربيجان[10] في فترات مختلفة، وزار مدينة هراة[11] سنة

---

(1) اليافعي، مرآة الجنان (ج٤/ ٦٣)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٦/ ١٣٩)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ص٢٤٧).

(2) آمد: من ديار بكر، على يمين نهر دجلة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٧٦).

(3) الحموي، معجم الأدباء (ج٣/ ١٣١٥).

(4) هو علي بن الحسين عنتر بن ثابت المعروف "بشميم الحلي"، اللغوي، النحوي، الشاعر، توفي سنة (٦٠١هـ/ ١٢٠٥م)، ومن مؤلفاته: كتاب "الحماسة"، "النكت المعجمات في شرح المقامات"، وغيرها؛ ينظر: الحموي، معجم الأدباء (ج٤/ ١٦٨٩- ١٦٩٦)؛ القفطي، إنباء الرواة (ج٢/ ٢٤٣- ٢٤٦).

(5) الحموي، معجم الأدباء (ج٤/ ١٦٨٩).

(6) كيش: يقال لها قيس، وهي جزيرة في خليج عُمان؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٤٧٩).

(7) الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥٢٠).

(8) المصدر السابق (ج٤/ ٤٧٩).

(9) خُراسَانُ: بلاد واسعة، تقع بين أفغانستان وتركمنستان، وكانت تسمّى في قديماً "أشيرية"؛ ينظر: البكري، المسالك والممالك (ج١/ ٤٤١)؛ معجم ما استعجم (ج٢/ ٤٨٩- ٤٩٠)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٥٠- ٣٥٣)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٣٦١- ٣٦٢)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٤٥٥- ٤٥٦).

(10) أَذْرَبِيجَان: بلد غالبيته جبال، يقع بين إيران وبحر قزوين؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج١/ ١٢٩- ١٣٠)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٢٨- ١٢٩)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٨٤- ٢٨٥).

(11) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من كبرى مدن خرسان؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٤٥٦).

(٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)، وأشاد بما فيها من العلماء وأهل الفضل، ثم عاد إلى تبريز[١]، وقضى ثلاث سنوات (٦١٣- ٦١٦هـ/ ١٢١٦- ١٢١٩م)، يتنقل بين مدن مختلفة، منها مدينة مرو إحدى مدن خرسان التي أعجب بها لما تزخر بها من كثرة المكتبات العامة، وفي هذه المدينة تولدت لدى ياقوت الحموي فكرة تأليف كتاب معجم البلدان، ومن ثم رحل إلى نيسابور[٢] سنة (٦١٣هـ/ ١٢١٦م) خوفاً من الخطر التتري[٣].

لم يكن كتابه معجم البلدان إلا سوى معجم جغرافياً بحتاً، يتسم بتنوع المادة العلمية ما بين لغوية وأدبية وتاريخية واجتماعية وثقافية، وحرص ياقوت على تسهيل قراءة كتابه، فعمد إلى ترتيبه على حروف المعجم، حيث يقول الحموي في مقدمة الكتاب: "ورتبته على حروف المعجم، ووضعته وضعة أهل اللغة المحكم، وأبنت عن كل من الاسم: هل هو ساكن أو مفتوح أو مضموم أو مكسور، وأزلت عوارض الشبه وجعلته تبراً بعد أن كان من الشبه"[٤].

استقر ياقوت الحموي في آخر حياته بمدينة حلب في كنف الوزير القفطي، ثم انتقل إلى خان ظاهر حلب، وأقام به حتى وفاته، يوم الأحد في العشرين من رمضان سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، وعمره واحد وخمسون عاماً[٥].

٤-الرحالة العبدري (ت: بعد ٧٠٠هـ/ ١٣٠١م):

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد ابن سعود العبدري، وينتهي نسبه إلى عبد الّدار بن قُصيّ بن كلاب وإليه نسبته[٦]، ولم تذكر المصادر تاريخ ولادته وتاريخ وفاته، سوى توقيت رحلته والتي كانت في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام

(١) تبريز: مدينة عامرة ذات أسوار محكمة وهي قصبة أذربيجان؛ ينظر: المصدر السابق، (ج٢/ ١٥).

(٢) نَيْسَابُور: مدينة عظيمة تقع في شمال شرق إيران، ومنبع العلماء، وكان أكثر شرب أهلها من قنوات تجري تحت الأرض ينزل إليها في سراديب؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٣٣١- ٣٣٢)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٤٧٣- ٤٧٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٤١١)؛ ابن الوردي، (ج١/ ٣٧٢).

(٣) الحموي، معجم الأدباء (ج٢/ ٦٥٣).

(٤) الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢٨- ٣٠).

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٦/ ١٣٩).

(٦) الزركلي، الأعلام (ج٧/ ٣١- ٣٢)؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي (ج١/ ٣٦٧).

(٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)، ويرجح البعض أن وفاته كانت بعد سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠١م)[١].

ولم يذكر العبدري شيئاً عن دراسته الأولى، سوى أنه تتلمذ على والده المعلم، ودخل الكُتاب وحفظ القرآن، والعمليات الحسابية، ثم ارتقى وأصبح من الطلاب، وانتقل إلى مراكش[٢] التي كانت مركزاً علمياً مرموقاً آنذاك، فأخذ عن جلّ علمائها أمثال محمد بن علي بن يحيى الشريف الذي كان شيخه وشيخ صاحبه ابن عبد الملك المراكشي[٣].

ولا نعرف حتىّ الآن مؤلفاً غير الرحلة للعبدري، وكان وراء رحلته سببان حملاه على المضي فيها:

الأول: سبب ديني؛ وهو القيام بفريضة الحج، وزيارة الأماكن المقدسة، والاتصال بالمتصوفة والصالحين، وقد صرح مراراً بأنه كان ينوي الإقامة بمكة والمجاورة بها، وأنه استأجر بيتاً للعيش به ولكنه لم يمكث بها كثيراً ورحل عنها[٤].

الثاني: هو رغبة منه في لقاء العلماء والمشايخ والأخذ عنهم، وكان العبدري حريصاً على البحث عن السند العالي فيما يأخذه عن هؤلاء العلماء والمحدثين، حيث كان دائم السؤال عن الأحوال العلمية والثقافية في البلاد التي يزورها[٥].

وذكر العبدري عن منهجه في تأليف رحلته فقال: "فإني قاصد بعد استخارة الله سبحانه إلى تقييد ما أمكن تقييده، ورسم ما تيسر رسمه وتسويده، مما إليه الناظر المطرق، في خبر الرحلة إلى بلاد المشرق، من ذكر بعض أوصاف البلدان، وأحوال من بها من القطّان، حسبما أدركه الحسُّ والعيان، وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان، من غير تورية ولا تلويح، ولا تقبيح حسن، ولا تحسين قبيح، بلفظ قاصد لا يحجم مُعردّاً، ولا يجمع فيتعدى المدى، مسطراً لما رأيته بالعيان، ومقرراً له بأوضح بيان"[٦].

---

(١) العبدري، الرحلة (ص ٧).

(٢) مرّاكش: مدينة مغربية أسسها يوسف بن تاشفين سنة (٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م)؛ ينظر: المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٢٠٨– ٢٤٣)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٩٤)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١١١– ١١٢).

(٣) العبدري، الرحلة (ص ٣٠٢).

(٤) المصدر السابق (ص ٣٩١).

(٥) المصدر السابق (ص ١٠٨).

(٦) المصدر السابق (ص ٢٨).

وقد وصف العبدري البلدان وصفاً دقيقاً بمبانيها، وآثارها، وعاداتهم وتقاليدهم، ولباسهم، ومستواهم العلمي، ونقد ما كان لا يراه طبيعياً، سواء في أخلاق الناس أو في عاداتهم، وفيما يتعلق بالناحية العلمية للبلاد التي كان يدخلها، حيث وصف طرابلس فقال: "ثم وصلنا مدينة طرابلس، وهي للجهل مأتم، وما للعلم فيها عرس.."[1].

كان العبدري بوجه عام يميل إلى الشعر، فقد ضمن وصف رحلته عدداً كبيراً من قصائده الشخصية، كما عني ببيان المواقع الجغرافية، وذكر المعالم الأثرية ودراسة العادات في البلاد التي مر بها، والكلام عن أعلام الفقهاء المسلمين في عصره[2].

ثالثاً: الرحالة المسلمون في القرن الثامن الهجري:

١- الرحالة ابن بطوطة (ت: ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م):

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن بطوطة[3]، أما لقبه اللواتي نسبة إلى قبيلة لواته، إحدى قبائل البربر التي انتشرت بطونها على طول ساحل إفريقيا حتى مصر[4]، وكان يعرف في البلاد الشرقية بشمس الدين[5]، وفي الهند يدعونه بدر الدين[6].

كان ابن بطوطة يحب المغامرة والأسفار، وكان الحافز لديه هو أداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول ﷺ فقط، ولم يخطر بباله أنه سيكون من الرحالة الذين سيطوفون مختلف البلاد، وأنه يكتب له العودة إلى وطنه إلا بعد أكثر من ربع قرن[7].

كانت زيارة ابن بطوطة الأولى لبلاد الشام سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، حيث غادر طنجة مسقط رأسه، يوم الخميس الثاني من رجب سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، بقصد أداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول ﷺ، سالكاً الطريق البري، ماراً في طريقه على بعض

---

(1) العبدري، الرحلة (ص٤٩).

(2) المصدر السابق (ص٢٨٠).

(3) ابن الخطيب، الاحاطة (ج٣/ ٢٧٣)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٣/ ٤٨٠).

(4) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي (ج١/ ٤٢٢).

(5) ابن بطوطة، الرحلة (ص١٢).

(6) المصدر السابق (ص٥٠٩).

(7) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي (ج١/ ٤٢٢).

المدن الكبرى بشمال أفريقية حتى وصل الإسكندرية[١]، ومر بتلمسان[٢] وأقام بها ثلاثة أيام، ثم غادرها إلى مدينة الجزائر[٣]، وواصل سيره إلى مدينة بجاية[٤]، وقسنطينة[٥]، وبونة[٦]، إلى أن وصل إلى مدينة تونس، وفيها أدرك عيد الفطر المبارك، ومنها صحب الحجاج إلى الحجاز، سالكين الطريق الساحلي مروراً ببلدة سوسة[٧]، ومدينة صفاقس[٨]، إلى أن وصلوا لمدينة قابس[٩]، ثم مر بالقاهرة إلى غزة أول مدينة من بلاد الشام قدوماً من مصر، ولم يحدد زمن وصوله إلى غزة[١٠]، ثم خرج من بلاد الشام إلى المدينة المنورة[١١].

ثم زار بلاد الشام مرة أخرى سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م)، بعد أدائه لفريضة الحج سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)[١٢]، وكانت زيارته الثالثة لبلاد الشام سنة (٧٤٨- ٧٤٩هـ/ ١٣٤٧- ١٣٤٨م)، بعد جولات طويلة، زار خلالها ابن بطوطة آسيا الصغرى وخوارزم[١٣]، وخراسان، وتركستان، وأفغانستان، والسند، والهند، إلى الصين، ثم إلى جاوة[١٤]، ومنها

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ١١- ٢٤).

(٢) تلمسان: مدينتان بالجزائر متجاورتان مسورتان، إحداهما قديمة والأخرى حديثة؛ الحديثة اختطّها دولة الملثّمون في المغرب، واسمها تافرزت، وفيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، واسم القديمة أغادير، يسكنها الرعية؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٤٤).

(٣) الجزائر: عاصمة الجزائر على ساحل البحر المتوسط؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ص ١٣٢).

(٤) بجاية: مدينة جزائرية على ساحل البحر المتوسط؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٣٣٩).

(٥) قسنطينة: مدينة وقلعة قريبة من حدود الجزائر وتونس؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٣٤٩).

(٦) بونة: مدينة بالجزائر تقع على البحر المتوسط؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥١٢).

(٧) سوسة: مدينة تونسية علي البحر المتوسط؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٨١).

(٨) صفاقس: مدينة تونسية على ضفة البحر المتوسط؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان، (ص٢٣٢).

(٩) قابس: مدينة تونسية على البحر المتوسط قرب طرابلس؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٨٩).

(١٠) ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٤٠).

(١١) المصدر السابق (ص ١٠- ١١).

(١٢) المصدر السابق (ص ٢٨٠).

(١٣) خوارزم: تقع إلى الغرب من بلاد ما وراء نهر جيحون الذي يفصل بين كل من أفغانستان وطاجكستان وأوزبكستان؛ ينظر: البكري، المسالك (ج١/ ٢٣١- ٢٣٢)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٩٥- ٣٩٧)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٥٢٥- ٥٢٦).

(١٤) جاوة: مدينة تقع على ساحل المحيط الهادئ في إندونيسيا، ينظر: القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٩).

غادر بحراً إلى ظفار[١]، ثم مسقط[٢]، حتى وصل بغداد في شوال سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ثم اتجه إلى مدينة الأنبار[٣]، وواصل طريقه إلى تدمر، ومنها اتجه إلى دمشق[٤].

وبعد سنوات من الترحال استقر ابن بطوطة بمدينة فاس[٥] في نهاية سنة (٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م)[٦]، حيث استدعاه حاكم فاس أبو عنان المريني، وأمر كاتبه ابن جزي الكلبي بتدوين ما يملي عليه ابن بطوطة، مما علق بذاكرته من أسفاره ورحلاته، واستعان ابن بطوطة ببعض كتب المؤلفين السابقين له كما قال ابن جزي[٧]، وقد أتم ابن جزي الكلبي كتابة رحلة ابن بطوطة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" في ثلاثة شهور، في صفر سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)[٨].

٢-الرحالة أبو البقاء البلوي (ت: بعد ٧٦٧هـ/ ١٣٦٦م):

هو خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي، من قنتورية[٩]، من

([١]) ظفار: مدينة في عُمان على ساحل المحيط الهندي؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٦٠).

([٢]) مسقط: مدينة في عاصمة عُمان على ساحل بحر العرب الذي هو جزء من المحيط الهندي؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٥٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ١٢٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٢٧٠)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ٥٥٩).

([٣]) الأنبار: مدينة في العراق؛ ينظر : الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢٥٧).

([٤]) ابن بطوطة، الرحلة (ج٢/ ٥٠٣- ٥٠٥).

([٥]) فاس: مدينتان متجاورتان مسوّرتان على سفح جبل، بينهما نهر وقناطر، وهي مدينة مشهورة كبيرة في المغرب على شاطئ البحر؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٧٩٥- ٧٩٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٣٠)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٠٢)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٠١٤).

([٦]) ابن بطوطة، الرحلة (ج٢/ ٥٤٤).

([٧]) يقول ابن جزي: "على أنه سلك في إسناد صحاحها أقوم المسالك، وخرج عن عهده سائرها بما يشعر من الألفاظ بذلك، وقيد المشكل من الأسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط، ليكون أنفع في التصحيح والضبط؛ ينظر: ابن بطوطة، الرحلة (ص١٣).

([٨]) المصدر السابق (ج٢/ ٥٤٤).

([٩]) قنتورية: بلدة جزائرية صغيرة من أعمال ولاية المرية تقع على نهر المنصورة على مقربة من بلدة المنصورية؛ ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة (ج١/ ٥٠٠).

حصون وادي المنصورة[١]، ينتمي إلى قبيلة البلويين[٢]، ولد حوالي سنة (٧١٣هـ/ ١٣١٣م)، نشأ في أسرة علمية متدينة، وتلقى تربية صالحة، أخذ عن والده، ثم رحل إلى غرناطة حيث أتم دراسته بها، كما أخذ بفاس عن عدة علماء، ثم رحل إلى المشرق، وعاد بعدها إلى الأندلس، وأصبح من رجال الفقه والعلم، تولى القضاء ثم انتقل إلى برشانة[٣]، حيث أتم كتابة الرحلة هناك[٤].

قام البلوي برحلته إلى بلاد الشام من بلدة قنتورية سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م)، قاصداً الحج لبيت الله الحرام، وطالباً للعلم، وقد اتجه إلى تلمسان، والجزائر وبجاية، وقسنطينة، إلى أن وصل مدينة تونس، ومنها سافر بحراً إلى الإسكندرية والقاهرة، قاصداً بلاد الشام، عن طريق البر، فدخل غزة في التاسع من شعبان (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)، وفي التاسع من شعبان وصل الخليل[٥]، ومكث فيها أربعة أيام، ثم وصل إلى مدينة القدس، ثم أكمل مسيره إلى مدينة الكرك[٦] قاصداً مكة المكرمة[٧].

قام البلوي بتدوين رحلته "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق"، بعد عودته إلى بلده، حيث عكف على مراجعتها وأكلها ببرشانة في اليوم الأخير من شهر ربيع الأول سنة (٧٦٧هـ/ ١٣٦٦م)، وأضاف إليها العلماء والأدباء الذين اطلعوا عليها[٨]، ثم نسخها حفيده خالد بن أحمد بن خالد البلوي، حيث أتمها في الحادي والعشرين من شهر صفر سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م)[١]، وعن استعانته بكتب من سبقه فيقول لسان الدين ابن الخطيب:

---

(١) ابن القاضي، جذوة الاقتباس (١/ ١٨٦)؛ المقري، نفح الطيب (ج٣/ ٢٨٥).

(٢) البلويين: قبيلة عربية صميمة من قضاعة اليمنية، هاجرت إلى الحجاز قبل الإسلام، وبعد انتشار الإسلام كان منهم العديد في بلاد الأندلس والمغرب؛ ينظر: البلوي، تاج المفرق (ج١/ ١٦).

(٣) برشانة: من قرى إشبيلية بالأندلس؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٣٨٤).

(٤) البلوي، تاج المفرق (ج٢/ ٢٥– ٢٧).

(٥) المصدر السابق (ج١/ ٢٣٨).

(٦) الكَرَكُ: اسم لقلعة حصينة جدّاً في الأردن من نواحي البلقاء في جبالها، بين العقبة والبحر الأحمر، وبيت المقدس، على جبل عال تحيط بها أودية؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٤٥٣).

(٧) البلوي، تاج المفرق (ج١/ ٣١٧).

(٨) المصدر السابق (ج٢/ ١٥٩).

"حج وقيد رحلته في سفر وصف فيه البلاد ومن لقيه، بفصول جلب أكثرها من كلام العماد الأصبهاني وصفوان وغيرهما"[٢].

اهتم البلوي في رحلته بذكر العلماء والرجال، فيذكرهم بأسمائهم وألقابهم ونعوتهم وتأليفهم، مع تاريخ ولادتهم، ثم يأخذ عنهم السند وينسخ من كتبهم[٣]، ففي زيارته لفلسطين أفرد جزءاً كبيراً من حديثه عن العلماء الذين التقى بهم في بيت المقدس، حيث كان لا يهتم بالآثار كجغرافي، أو الفوائد كرحالة اجتماعي، بل يذكر ذلك في رحلته ذكراً عابراً، ينقصه الوصف الدقيق[٤].

٣- لسان الدين بن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م):

هو محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله الشهير بلسان الدين بن الخطيب، وزير، ومؤرخ، وأديب، كان أسلافه يعرفون ببني الوزير، ولد ونشأ بغرناطة، واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م)، ثم ابنه الغني بالله محمد، من بعده، وعظمت مكانته، وشعر بسعي حاسديه في الوشاية به، فكاتب السلطان عبد العزيز بن علي الميني، برغبته في الرحلة إليه، فترك الأندلس خلسة إلى جبل طارق، ومنه إلى سبتة فتلمسان سنة (٧٧٣هـ/ ١٣٧٢م)، وكان السلطان عبد العزيز بها، فبالغ في إكرامه، وأرسل سفيراً من لدنه إلى غرناطة بطلب أهله وولده، فجاءوه مكرمين، واستقر بفاس القديمة[٥].

قام لسان الدين بن الخطيب بتأليف كتابه "معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار"، وهو عبارة عن وصف شامل لأهم مدن مملكة غرناطة، وأهم مدن الغرب، حيث تناول فيه النواحي الجغرافية، والتاريخية، والاجتماعية لمعظم المدن التي أوردها، حيث بدأ بجبل الفتح "جبل طارق"، وهو يومئذ ضمن مملكة بني مرين المغربية، ثم تناول المدن

---

(١) المصدر السابق (ص ١٥٨).
(٢) الإحاطة (ج١/ ٥٠٠).
(٣) البلوي، تاج المفرق (ج١/ ٥٨).
(٤) المصدر السابق (ص ٥٩).
(٥) ابن الخطيب، معيار الاختيار (ج١/ ٢)؛ الموسوعة الشعرية، معجم الشعراء العرب (ج١/ ١٩٢٨).

الأندلسية ابتداءً بمدينة إسطبونة[١]، وانتهاءً بمدينة رندة[٢]، وفي تناوله لتلك المدن لم يراع ترتيباً جغرافياً ولا تاريخياً[٣].

لقد كان لسان الدين بن الخطيب يتناول معظم ما يتعلق بالمدينة التي يصفها، حيث كان يتحدث عن موقعها الجغرافي ومكانتها التاريخية، وحالة سكانها الاجتماعية، فيعطينا صورة واضحة، ففي وصفه لمدينة قمارش في الأندلس مثلاً، فيقول "أنها مودع الوفر، ومحط السفر، ومزاحم الفرقد والغفر، حيث الماء المعين، والقوت المعين"[٤]، وقد ظفرت بعض المدن الأندلسية بعناية خاصة لابن الخطيب، كغرناطة ومالقة[٥]، ولا عجب فلكل منهما مركزها الاداري والسياسي[٦].

لقد سلك ابن الخطيب في كتابه "معيار الاختيار" المنهج القصصي، وهذا النوع عرف بين فنون النثر العربي باسم "المقامة"، متخذاً المحاورة وسيلة لتشويق القارئ والمستمع، وبخاصة في صلب الموضوع، عند وصفه للبلاد، وتجدر الإشارة إلى أن قيمة الكتاب تكمن في التعريف بالوضعية التي كانت عليها كل من مملكتي بني نصر وبني مرين في القرن الثامن الهجري، ووصف المدن الأندلسية والمغربية من مشاهدته لها، واعتمد ابن الخطيب على من سبقوه من المؤرخين والكتاب في أوصاف المدن، وسماعه من شيوخه الذين تتلمذ عليهم، مما ساعد ابن الخطيب في تأليف كتابه أنه كان وزير وأمين سر السلطان، حيث كان يطلع على كافة التقارير الرسمية، والرسائل الإدارية[٧].

ومن خلال ما سبق الواضح أن؛ نية الرحالة كانت تجمع بين العبادة وزيارة الأماكن المقدسة، وتدوين الرحلات، حيث كان الكثير من المسلمين يتجهون كل عام من شتى العالم

---

(١) اسطبونة: مدينة بالأندلس يقال لها لشبونة، قريبة من المحيط الأطلسي؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٩٥).

(٢) رندة: حصن بين إشبيلية ومالقة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٧٣).

(٣) ابن الخطيب، معيار الاختيار (ج١/ ٤٤- ٤٥).

(٤) المصدر السابق (ص ٤٥).

(٥) مَالَقَةُ: مدينة بالأندلس عامرة من أعمال ريّة سورها على شاطئ البحر المتوسط؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٤٣)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٢٢١).

(٦) ابن الخطيب، معيار الاختيار (ج١/ ٤٦).

(٧) المصدر السابق (ج٣/ ٥٩- ٦١).

الإسلامي إلى الحجاز، لتأدية فريضة الحج وزيارة قبر الرسول ﷺ، وكان الحجاج عند عودتهم إلى بلادهم يخبرون عن الطرق التي سلكوها والأحداث التي صادفوها هداية لغيرهم، وكان في غالب الأحيان الرحالة لا يكتبون أخبار رحلاتهم في مؤلفات قائمة بذاتها إلا نادراً، فمعظمهم أدمجوا حديثهم عن تلك الرحلات فيما ألفوه من كتب التاريخ وتقويم البلدان، وكثير من الرحلات التي قام بها التجار ضاعت أخبارها ولم يدونها أصحابها، وإن كان المؤرخون والجغرافيون قد نقلوا الكثير عن تلك الرحلات ووصفهم للبلاد النائية.

الفصل الثانـي

الحياة الاجتماعية في مصر والشام كما يُصورها كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

المبحث الأول: القبائل العربية في مجتمع مصر والشام.

ذكر ابن فضل الله العمري القبائل العربية التي كانت في زمانه حيث أوردها على النحو التالي:

أولاً: عرب الشام:

١. قبائل العرب في جنوب الشام:

أ- ثعلبة الشام[١]:

كان جرم الشام في بدايتهم متعاونين مع الصليبيين ضد المسلمين، فلما حرر صلاح الدين الأيوبي بلاد الشام[٢] من الصليبيين، انتقلت طائفة منهم إلى مصر ونزلوا أطراف مدينة الشرقية[٣]، ومن بطونها درما وزريق[٤]، ومنهم: بنو وهم والطيلحيون[٥]، والصبيحيون[٦]، والعليميون[٧]، حيث كان في بني زريق رجال ذو ذكر ونباهة، وقاموا بخدمة الدول، وعضدوا الملوك، وقاوموا ونصروا، وأمروا بالعلم، والمعروف من جرم أنهم من نسب قريش، وبعضهم يقول أنها ترجع إلى مخزوم، وقال آخرون من جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر، وجرم الشام وحلفائهم ومن جاورهم، وبنو جابر بدرمي من غزة، وتُعرف بالحريث وهي جماعة فهد بن بدران[٨].

ب- قبيلة بنو صخر:

من جذام العرب سكنوا الكرك وما حولها، حيث وفدت منهم طائفة على المعز

---

(١) بنو ثعلبة بن سلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طيئ؛ وهم بدو درما وزريق، ابني عوف بن ثعلبة، وقيل ابنا ثعلبة واسم درما عمرو، ودرما اسم أمه غلب عليه؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج١/ ٣٧٥).

(٢) القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ٢١٠)؛ قلائد الجمان (ج١/ ٨٤).

(٣) الشَّرْقِيّة: مدينة في جنوبي مصر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٣٧).

(٤) درما: آل غياث الجواهرة، من الحنابلة، من بني الصبيحيين، ومنهم سلامة، والأحمر، وبنو عمرو، وقصير، وأويس، وشبل، والحنابلة، والمراونة، والحيانيون؛ ينظر: القلقشندي، قلائد الجمان (ج١/ ٨٦).

(٥) دَرما وزُرَيق: انحدرت منهما قبائل عديدة؛ ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ١٩٤- ١٩٥)؛ قلائد الجمان (ج١/ ٨٥- ٨٦).

(٦) بطن من بني زريق من ثعلبة طي من القحطانية، ومنازلهم بأطراف مصر مما يلي الشام؛ ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ١٤١).

(٧) غزاة، وكانوا مجاهدين للصليبيين، سكنوا الشام من جهة مصر؛ القلقشندي، قلائد الجمان (ج١/ ٨٦).

(٨) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٥٤- ١٥٥).

أيبك بمصر، وبقيتهم بالشام، ومن بطونهم الدعجيون[١]، والصوتيون، والعطويون، وهم من أحلاف آل الفضل[٢]، ومن جذام بنو فيض وبنو مرة في القدس، وبنو نمير بن قيس من الكفرين ونمرين، وبنو أيوب بجنين[٣]، وبنو عمرو من عرب الصلت، وبالخليل[٤] العناترة[٥].

ت- **بنو مهدي:**

هي بطن من جذام من منطقة البلقاء وأطراف الكرك، وتتفرع منها بطون كثيرة، منهم المشاطبة، ومنهم أولاد ابن عسكر، والعناترة، وجماعة أولاد راشد، والسرات، واليعاقبة، والمطارنة، والعفير، والرويم، والقطاربة، وأولاد الطابية، وبنو دوس، وآل سيار، والمخابرة، والسماعة، والعجارمة من بني طريف، وكان شيخهم مسعود بن جرير ذا مكانة عند ولاة الأمور، وبنو خالد والسلمان، والفرانسية، والدرالات، والحمالات، والمساهرة، والمغتورة، وبنو عطا، وبنو مياد، وآل شبل، وآل رويم، والمحارقة، وبنو غياض، وديارهم البلقاء ولهم نسب بقبيلة بني عقبة[٦]، ووصفهم القلقشندي: "أنهم الأكثر عدداً والأوسع نطاقاً في قبائل جذام"[٧]، وكان بنو مهدي يرتبطون بالسلاطين برباط قوي، حيث كانت تربطهم علاقة بالسلطان الأشرف خليل الذين كانوا يرافقونه أثناء جولاته بالشام، ويحضرون مجالسه[٨]، وكان رسم المكاتبة من السلطان خليل بن

([١]) الدعجيون: ويقال لهم الدعاجنة، بطن من بني صخر من جذام من القحطانية، منازلهم ما حول الكرك من بلاد الشام؛ ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ١٣٢).

([٢]) ينتسبون إلى فضل بن ربيعة، وتفرع منهم عدة بيوتات؛ وهي آل عيسى وهم: بيت مهنا بن عيسى، وبيت فضل بن عيسى، وأولاد حديثة بن عيسى، وآل هبة بن عيسى؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٥٨).

([٣]) جِنينُ: مدينة بين نابلس وبيسان، شمال أرض كنعان "فلسطين؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/٢٠٢).

([٤]) الخَليلُ: مدينة فيها قبر الخليل إبراهيم عليه السلام، ومغارة أسفل منه، وبها حصن، وعمارة، وسوق جنوب بيت المقدس؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٨٧).

([٥]) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٥٥- ١٥٦)؛ القلقشندي، قلائد الجمان (ج١/ ٦٧).

([٦]) العمري، المصدر السابق (ص ١٥٦).

([٧]) صبح الأعشى (ج٤/ ٢٢١).

([٨]) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٥٦).

قلاوون إلى أمراء بني مهدي "مجلس الأمير"؛ وهي رتبة سامية[١].

ث- **قبيلة بني عقبة**[٢]:

هم من بطون جذام، وديارهم الكرك[٣] والشوبك[٤] وما حولهما إلى الشرق من البحر الميت، ويمتدون نحو مدينة تبوك[٥] جنوباً، وواحة تيماء[٦] وحتى الحريداء[٧] شرقي الحجاز، ومن أبرز أمراء هذه القبيلة الأمير عبية[٨]، ثم ابنه سابق ابن عبية[٩]، الذي كان أميراً عليها، ثم أخوه بدر الدين شطي ابن عبية[١٠]، ثم ابنه الأمير أحمد بن شطي بن عبية[١١].

ج- **قبيلة العايد:**

لم يذكر ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار عن قبيلة العايد، بينما ذكر القلقشندي؛ بأنهم قبائل منتشرة جنوب الشام وهي بطن جذام، يسكنون بين مصر وبلاد الشام والحجاز، ويمتدون إلى العقبة[١٢] والكرك من

---

(١) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف (ج١/ ١٠٥- ١٠٦)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٧/ ٢٠٧).

(٢) بنو عُقبة: هم بنو عقبة بن حرام بن جذام، وقيل من بني محرمة؛ القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ٣٣٠).

(٣) الكَرَكُ: قلعة حصينة جدّاً في الأردن من نواحي البلقاء في جبالها، بين العقبة والبحر الأحمر، وبيت المقدس، على جبل عال تحيط بها أودية؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٤٥٣).

(٤) الشَّوْبَكُ: قلعة أطراف الشام بين عمّان والعقبة والبحر الأحمر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٧٠).

(٥) تبوكُ: موضع بين وادي القرى والشام؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ١٤).

(٦) تَيْماءُ: بلد بين الشام ووادي القرى بالحجاز؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٦٧).

(٧) ذكرها العمري في كتابه "الحديداء"؛ وهذا غير صحيح، والصواب هي "حُرَيْداء": موضع صغير به كثبان رملية من بلاد بكر بن كلاب؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٢٥٠).

(٨) عبية: أمير بني عقبة في زمن الملك المنصور قلاوون؛ ينظر: ابن تغري، المنهل الصافي (ج٦/ ٣٥٥)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٢/ ٣٦٧).

(٩) سابق ابن عبية: ابن الأمير عبية، تولى الإمارة بعد أبيه سنة (٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م)؛ ينظر: المقريزي، السلوك (ج٢/ ٢٢٢).

(١٠) بدر الدين شطي بن عبية، أمير آل عقبة، من عرب البلقاء والكرك إلى تخوم الحجاز، كان وجيهاً عند ملوك مصر، توفي سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، بالقرب من المدينة المنورة؛ ينظر: الصفدي، أعيان العصر (ج٢/ ٥١٨)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج٦/ ٢٣١).

(١١) ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٢/ ٢٨٧)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج٦/ ٢٣١).

(١٢) العقبة: المعروفة بعقبة أفيق، تنزل منها إلى غور الأردن؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢٣٣).

جهة الشام، إلى بلبيس[١] من جهة مصر ويركزون في مدينة غزة[٢]، وقد خلع السلطان الظاهر بيبرس[٣] على أمرائها سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م)، واشترط عليهم خدمة البريد، وإحضار الخيل برسمه[٤]، وفي أوائل سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة، عمل على تنظيم البريد، بحيث خففت عنهم الخدمة بالبريد، وألزمتهم بواجباتهم تجاه الدولة[٥].

ح- **وبنو زهير وبنو سعيد:**

بنو زهير هم من جذام من عرب الشوبك، ومن ساحل غزة، وغزوا عسقلان أيام الملك الصالح مع بيبرس، وأقطعهم هناك، وبنو سعيد هم عرب صرخد[٦] من سعد جذام[٧].

٢. قبائل العرب وسط وشمال بلاد الشام:

أ- **قبيلة كلاب:**

عرب من أطراف حلب والروم، وهم عرب غزّ رجال حرب وأبطال قتال، يتكلمون اللغة التركية، وكانت تباع بنات الروم وأبناؤهم من سباياهم التي كانوا يجلبونها من غزواتهم وغاراتهم على الروم، حيث أفرطوا في نكايتهم في الروم، وقاموا بالإغارة على آل ربيعة؛ لأن الملك الكامل كان طلب من مانع بن حديثة وغنام بن الظاهر من كبار عرب كلاب جمالاً ليحمل عليها أغلالاً إلى خلاط[١] ليقويها بها، فاعتذر له عن ذلك، فحقد الكامل على مانع بن حديثة وغنام بن الظاهر، فخافا منه

---

(١) بِلْبيسُ: مدينة في مصر على طريق الشام؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٧٩).

(٢) نهاية الأرب (ج١/ ٨٧).

(٣) الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي؛ نسبة إلى أستاذه علاء الدين البندقدار ثم نجم الدين، رابع سلاطين المماليك، تولى السلطنة بعد مقتل قطز سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)؛ ينظر: ابن العديم، بغية الطلب (ج١/ ٢٢)؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج٢/١)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ٣٠٦)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج١/ ٢٣٥)؛ ابن إياس، بدائع الزهور (ج١/ ٣٠٨)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج٣/ ٤٤٧- ٤٦٤)، مورد اللطافة (ج٢/ ٣٣- ٣٤).

(٤) المقريزي، السلوك (ج١/ ٤٨١).

(٥) ابن الداوداري، كنز الدرر (ج٩/ ١١٤).

(٦) صَرْخَدُ: بلد ملاصق لحوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٣/ ٨٣١)؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة (ج١/ ٢٠٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٤٠١).

(٧) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٥٦).

إلى أن فتح دمشق فأتياه بأنواع الهدايا تقرباً إليه بالخدمة، وكانت بنو كلاب تخدم الملك الأشرف موسى[٢] وتصحبه لمتاخمته لبلاد الروم، وكان السلطان محمد بن قلاوون خلع عليهم أحمد بن نصير المعروف بالتتري، حيث كان يعيث في البلاد وفي قطع الطريق، فانقادوا له بنو كلاب جميعاً[٣].

ويذكر العمري أن نائب الشام الأمير علاء الدين ألطنبغا[٤] حدثه: أن بني كلاب أشد العرب بأساً، وأكثرهم ناساً، لكنهم لا يجتمعون على رجل يجمع كلمتهم، ولو انقادوا لأمير واحد لم يبق لأحد من العرب بهم طاقة[٥].

ب- بنو خالد:

عرب حمص حيث يذكر العمري أنهم يدعون النسب إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه، حيث أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض نسبه، ولعلهم من ذوي قرابته من مخزوم القرشيين[٦].

ت- آل بشار:

يذكرهم العمري بأنهم لا يجتمعون على أمير، ولو اجتمعوا لما أُمن بأسهم، ولا تجمعهم كلمة، وجماعتهم مشتتين، وقلوبهم ملأى على بعض، وبينهم دماء، ديارهم الجزيرة والأخصُّ ببلاد حلب، وهم وبنو ربيعة وبنو عجل جيران، وديارهم سنجار[٧]

([١]) خِلاطُ: بلدة ذات خيرات واسعة، وثمارها يانعة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٨٠).

([٢]) الملك الأشرف موسى بن محمد العادل ابن أبي بكر محمد بن أيوب، مظفر الدين، أبو الفتح، من ملوك بني أيوب وحكام مصر والشام، وكان شجاعاً، حازماً في حروبه وسياسته، وحكم مدينة الرها، ثم حران، مدينة نصيبين سنة (٦٠٦هـ/ ١٢١٠م)، واستولى على سنجار والخابور سنة (٦٠٧هـ/ ١٢١١م)، واتسع ملكه بعد وفاة أخيه "الملك الأوحد"، فاستولى على خلاط وميافارقين وما حولها سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٣م)، وتوفي بدمشق سنة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م)؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٢/ ١٣٨)؛ المقريزي، السلوك (ج١/ ٢٥٦).

([٣]) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٧٨).

([٤]) ألطنبغا: الأمير علاء الدين الحاجب الناصري، ولاه الملك الناصر نيابة حلب، ثم نيابة غزة، وعندما حضر تنكز أصبح نائب الشام؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٩/ ٢٠٨).

([٥]) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٧٩).

([٦]) المصدر السابق (ص ١٧٧)؛ القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ٢٤٢).

([٧]) سِنْجَارُ: مدينة في بين الجزيرة العربية الموصل؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٦٢).

وما يُدانيها إلى البازار قريب الجزيرة إلى أطراف بغداد[١]، آل بشار يعدون في حلفاء آل فضل من عرب الشام[٢].

ث- **بنو غزِيَّة[٣]**:

يذكر العمري عن تلك القبائل ؛ بأنهم بطون وأفخاد ولهم مشايخ، وهم متفرقون في الشام والحجاز وبغداد، ومن بطونهم؛ آل دعيج وكان شيخهم مانع بن سليمان، وبطون الأجود من بني غزية، وفيما بين العراق والحجاز، وشيوخها الذين في طريق بغداد إلى الحجاز، ويذكر المصادر المائية لهم فهي: مياه اليحموم[٤]، واللصف[٥]، والنخيلة[٦]، والمغيثة[٧]، ومياه الأجود لينة[٨]، والثعلبية[٩]، وزرود[١٠][١١].

ج- **عرب العارض[١٢]**:

يذكر العمري أن عرب العارض وراء الوشم[١٣]، والوشم هو الذي ينتهي إليه آل فضل إذا توسعوا في البر، وهم بنو زياد والجميلة، وعرب الخرج[١٤]، وهم العقفان

---

(١) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٧٩).

(٢) القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ١٦٥).

(٣) غزية: هم بنو غزيّة، بن أفلت، بن ثعل، بن عمرو، بن سلامان، بن ثعل، بن عمرو، بن الغوث، بن طيء؛ ينظر: القلقشندي، قلائد الجمان (ج١/ ٨٧)؛ صبح الأعشى (ج١/ ٣٧٥).

(٤) اليحموم: ماء غرب المغيثة للقادم طريق مكة من الشام؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٤٣٢).

(٥) اللصف: بركة غرب طريق مكة بين المغيثة والعقبة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ١٧).

(٦) النُّخَيْلَةُ: تصغير نخلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢٧٨).

(٧) المغيثة: موضع في طريق مكة بعد العذيب؛ ينظر: المصدر السابق، (ج٥/ ١٦٢).

(٨) لينة: موضع لقاصد مكة من واسط، بها عيون ماء طيب؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢٩).

(٩) الثَّعْلبِيَّةُ: موضع لقاصد مكة من الكوفة بعد الشّقوق؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٧٨).

(١٠) زَرُودُ: سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحائب لأنّها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق من الكوفة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ١٣٩).

(١١) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٧٩- ١٨٠).

(١٢) اسم للجبل المعترض، سمي عارض اليمامة وهو جبله؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٦٥).

(١٣) الوَشْمُ: موضع باليمامة بالحجاز يشتمل على أربع قرى؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٣٧٨).

(١٤) الخَرْجُ: واد فيه قرى من أرض اليمامة لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة من بكر بن وائل في طريق مكة من البصرة، أرضه زرع ونخل قليل؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٥٧).

والبرحان، ومن بلادهم البريك والنعام، وهما قريتان في واد منيع وإذا حُصِّن مدخله كان من أمنع بلاد الله، وهرب إلى هذا الوادي الأمير تنكز[١] حين خاف من الملك الناصر، وعليه الطريق والممر من الحسا والقطيف[٢].

ح- بنو المزايدة:

يصفهم العمري بأنهم سكنوا البخراء[٣]، وحرمة[٤]، وسبخة الدبيل[٥]، والحلوة[٦]، والهزيم[٧]، والبريك[٨]، والخرج[٩]، والنعام[١٠][١١].

خ- بنو يزيد:

يذكر العمري في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار عن تلك القبائل بأن ديارهم هي؛ قرية ملهم[١٢]، وقرية بنيان[١٣]، ومدينة حجر[١٤]، وقرية منفوحة[١٥]،

([١]) تنكز: الأمير سيف الدين أبو سعيد نائب السلطنة بالشام، قدم إلى مصر وهو صغير السن، فنشأ بها، جلبه الخواجا علاء الدين السيواسي، فاشتراه الأمير حسام الدين لاجين، ولما قتل لاجين أصبح من حاشية السلطان الناصر، وشهد معه واقعة وادي الخزندار، ثم وقعة شقحب؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٠/ ٢٦٠).

([٢]) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٨١- ١٨٢).

([٣]) البَخْراءُ: وهي بقعة ماء منتنة بين القليعة في طرف الحجاز؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٣٥٦).

([٤]) حَرْمَةُ: قرية أثرية على طريق مكة من البصرة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٢٤٥، ج٣/ ٤٥٧).

([٥]) الدبيل: هو رمال بين اليمامة واليمن؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٤٣٩).

([٦]) حُلْوَة: ماء بأسفل وادي الثلبوت في وادي الرّمّة على طريق البصرة؛ ينظر: المصدر السابق (ج٢/ ٣٩٤).

([٧]) الهُزَيْمُ: موضع منخفض به نخيل وقرى بأرض اليمامة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٤٠٦).

([٨]) بُرَيْكٌ: بلد باليمامة، وله ذكر في أيام العرب وأشعارهم؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٠٧).

([٩]) الخَرْجُ: وادي فيه قرى من أرض اليمامة، لبني قيس بن ثعلبة في طريق مكة من البصرة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٥٧).

([١٠]) نَعَامٌ: وادي باليمامة لبني هزّان، كثير الزرع والنخل؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢٩٢- ٢٩٣).

([١١]) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٨٣).

([١٢]) ملهم: من قرى اليمامة ببلاد الحجاز؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ١٩٥).

([١٣]) بُنْيَانُ: قرية باليمامة بالحجاز؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥٠٢).

([١٤]) حَجْرٌ: مدينة باليمامة وأم قراها، وبها كان يسكن الوالي؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٢٢١).

([١٥]) مَنْفُوحَةُ: قرية مشهورة من نواحي اليمامة، سميت منفوحة لأن بني قيس بن ثعلبة قدمت اليمامة بعد ما نزلها عبيد ابن ثعلبة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢١٥).

وأرض صباح[١]، وموضع البرة[٢]، وقرية العويند[٣]، وجو[٤][٥].

٣. قبائل آل ربيعة:

يذكر العمري أن آل ربيعة ينسبون لرجل اسمه ربيعة نشأ أيام أتابك زنكي[٦]، وولده نور الدين[٧]، ونبغ بين العرب، وأباه رجل من علقى، وينفي العمري أن يكون نسب آل ربيعة يرجع للبرامكة[٨]، حيث يقول: أنه أشرف لهم أن يكونوا من سلسلة بن عنين بن سلامان، من طيئ، وهم من كران العرب، وأهل البأس، وهم ملوك البر، وأمراء الشام والعراق والحجاز؛ وهم آل الفضل، وآل مرا، وآل علي[٩].

ويقول العمري: أن نسب آل ربيعة يرجع لربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل بن جراح بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن حرب بن السكن بن رفيع بن علقي

---

(١) صُباح: موضع في بلاد الحجاز: الحموي، معجم البلدان ج٣/ ٣٩١).

(٢) البرَّةُ: الموضع الذي قتل فيه قابيل هابيل، والبرّة العليا والسفلى، قريتان باليمامة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٠٦).

(٣) العُوَيْنِدُ: قرية باليمامة لبني خديج إخوة بني منقر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١٧٠).

(٤) جوّ: اسم لناحية اليمامة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ١٩٠).

(٥) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٨٣).

(٦) عماد الدين زنكي بن آق سنقر؛ أبو المظفر التركي: وقيل آق سنقر بن الترغال من قبيلة ساب يو، وكان مملوكاً للسلطان ملك شاه، ويعرف زنكي بأتابك بن قسيم الدولة، وكان عنده ولدان للسلطان محمود بالموصل يربيهما، وكان مولده بحلب في أيام ولاية أبيه في سنة (٤٨٠هـ ١٠٨٧م)، وتربى بها؛ ينظر: ابن العديم، بغية الطلب (ج٨/ ٣٨٤٥)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١١/ ٧٧٩).

(٧) نور الدين محمود زنكي: صاحب الشام، أبو القاسم محمود بن الأتابك قسيم الدولة أبي سعيد عماد الدين زنكي بن الأمير الكبير آقسنقر التركي السلطاني الملكشاهي ولد سنة (٥١١هـ/ ١١١٧م)، وينتسب إلى قبيلة ساب يو التركية؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٥/ ١٨٤)؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق (ج٢٤/ ١٢١)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٢/ ٤٢٤)؛ سير أعلام النبلاء (ج٢٠/ ٥٣١– ٥٣٨).

(٨) البرامكة: من أهل بلخ، وسموا البرامكة لأنهم سدنة البيت وحجابه، فأول ما ولوا أيام أبي العباس، ولي الخراج خالد بن برمك، إلى أيام الرشيد، وولى الوزارة يحيى بن خالد بن برمك، وولي خراسان، ثم سخط عليهم هارون فأفناهم؛ ينظر: ابن طاهر، البدء والتاريخ (ج٦/ ١٠٤)؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم (ج٣/ ٥٣٧– ٥٣٩)؛ ابن العمراني، الإنباء (ج١/ ٧٩)؛ ابن الجوزي، المنتظم (ج٩/ ١٢٦– ١٢٧)؛ ابن الأثير، الكامل (ج٦/ ٨٧)؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول (ج١/ ١٢٩– ١٣٠)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٢/ ٢٤– ٢٦)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٠/ ٢٠٤– ٢٠٦)؛ ابن خلدون، المبتدأ والخبر (ج٣/ ٢٧٩– ٢٨١).

(٩) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٥٧).

ابن حوط بن عمرو بن خالد بن معبد بن عدي بن افلت بن سلسة بن عمرو بن سلسلة ابن غنم بن ثوب بن معن بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث ابن طيء، ولربيعة أربعة أولاد وهم: فضل، ومرا، وثابت ودغفل[١]، وفي آل ربيعة أعيان لهم مكانة، فكان منهم مانع بن حديثة وغنام أبو الظاهر على أيام الملك الكامل، ثم حضر أعيانهم إلى السلاطين من دولة المعز أيبك، وإلى أيام المنصور قلاوون[٢].

أ- آل فضل:

ينتسبون إلى فضل بن ربيعة، وتفرع منهم عدة بيوتات؛ وهي آل عيسى وهم: بيت مهنا بن عيسى، وبيت فضل بن عيسى، وأولاد حديثة بن عيسى، وآل هبة بن عيسى، وهذا البيت من أسعد بيوت العرب، وأما بقية بيوت آل فضل فمنهم: آل فرج، والأمير فيهم زيد بن طاهر، وغنام بن وهيبة؛ وآل سميط، والإمرة فيهم في صافية بن حجير بن الصميد؛ وآل مسلم، والإمرة فيهم في طامي بن عباس؛ وآل عامر، والإمرة فيهم في بني عامر بن دراج[٣].

بناءً على ما سبق؛ في حديث ابن فضل الله العمري عن آل الفضل عندما يقول: "أسعد بيت في وقتنا الذي أشرقت فيه طوالع سعودهم، وأينع فيهم مخضر عودهم"[٤]؛ أن البلاد التي سكنوها بالشام تميزت أراضيها الزراعية بالخصوبة، وتوافر المياه؛ والأمر الذي جعلهم أقوى اقتصادياً، وزادهم قوة لقوتهم؛ التي جعلت لهم مكانة كبيرة بين القبائل العربية.

ب- آل علي:

يذكر ابن فضل الله العمري أن؛ آل علي جزءاً من آل فضل، إلا أنهم اختلفوا معهم سنة (٦٥٩هـ/ ١٢٦١م)، وانفصلوا عنهم، وكان أميرهم قبل ارتباط بلاد الشام بالمماليك علي بن حديثة، وامتدت أراضي آل علي في البلاد المحيطة بدمشق

---

(١) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٥٨).
(٢) المصدر السابق (ص ١٧٤).
(٣) المصدر السابق (ص ١٥٧).
(٤) المصدر السابق (ص ١٥٨).

وغوطتها[١]، وكان لهم امتداد باتجاه الجوف[٢]، والحيانية[٣]، ثم واحة تيماء[٤]، فالبراذع باتجاه الحجاز، وموقعهم هذا أعطاهم أهمية كبيرة، ومنهم: زغب، والحريث، وبنو كلب، وبعض بني كلاب، وآل بشار، وطائفة من سنبس، وسعيدة، وطائفة من فرير، وبنو خالد من الحجاز، وبنو عقيل بن كرز، وبنو رميم، وبنو حي وقمران، والسراحين، ومن عرب البرية حيث من غزية[٥]؛ غالب، وآل أجود، والبطنين، وساعدة؛ ومن بني خالد آل جناح، والصبيات من مياس، والجبور، والغم، والقرسة، وآل منيخر، وآل بيوت، والمعامرة، والعلجات؛ وهؤلاء من خالد[٦].

وكان أمير عرب الشام في دولة طغتكين صاحب دمشق، لم يعطي تقليد من السلطان لإمارة هذا البيت لأحد، إلا في أيام العادل أبي بكر أخ السلطان صلاح الدين الذي أمّر منهم حديثة، ثم إن ابنه الكامل قسم الإمارة نصفين؛ نصف لمانع بن حديثة، ونصف لغنام أبي طاهر بن غنام، ثم انتقلت الإمرة إلى أبي بكر بن علي بن حديثة، وعلا فيها قدره؛ ولكن عندما لجأ اليهم الملك الظاهر بيبرس وهو طريد مشرد، ولم يكن معه سوى فرس واحد، فسأل علي بن حديثة فرساً يركبه، فلم يعطه، فقام عيسى بن مهنا بضمه وإيوائه، وإكرامه، وأعطاه فرساً وزوده، وبالغ في احسانه، فحفظها له الملك الظاهر بيبرس، وعندما تقلد الملك انتزع الإمرة من أبي بكر بن علي وجعلها لعيسى بن مهنا[٧].

([١]) الغُوطَةُ: هي الكورة التي منها دمشق، يحيط بها جبال عالية مياهها تخرج منها؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٣/ ١٠٠٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢١٩)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٣٢).

([٢]) جَوْفٌ: موضع بالقرب من البصرة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ١٨٧).

([٣]) الحَيّانِيّةُ: موضع قرب دمشق، وهي كورة جبل جرش قرب غور الأردن؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٢٧).

([٤]) تَيْماءُ: موضع بين الشام ووادي القرى، على طريق الشام ودمشق؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٢٢)؛ البكري، معجم ما استعجم (ج١/ ٩٧، ٣٢٩- ٣٣٠)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٧٥، ٢/ ٦٧).

([٥]) غُزَيَّةُ: موضع قرب فيد في الحجاز؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٠٣).

([٦]) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٥٩).

([٧]) المصدر السابق (ص ١٦٠).

ويذكر العمري أن أمير بني علي، رملة بن جمباز بن محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة بن عصية بن فضل بن ربيعة، وقد كان جده أميراً ثم أبوه، وقد قلد الملك الأشرف جده محمد بن أبي بكر إمرة آل فضل، حين أمسك مهنا بن عيسى، ثم تقلدها من الملك الناصر أخيه حين بعث قجليس[1] في طرد مُهنا وسائر إخوته وأهله، ولما أُمر رملة كان حديث السن فحسده أعمامه بنو محمد بن أبي بكر، فقدموا على السلطان يكيدون له المكائد، ولم يستمع لهم السلطان وردهم خائبين، وبقي سيد قومه كبير المكانة والجاه، والأموال والنعم الكثيرة[2].

ت- آل مرا:

بيت الإمرة فيهم لآل أحمد بن حجي، وبقيتهم آل منيخر وأميرهم سعد بن محمد؛ وآل نُميّ، وأميرهم برجس بن سكال؛ وآل بقرة وأميرهم علوان بن أبي غراء؛ وآل شماء وأميرهم عمرو بن واصل، حيث صارت الإمرة في بيتين، في آل أحمد، فمن بيت نجاد بن أحمد قناة بن مجاد؛ ومن بيت سليمان بن أحمد شطي بن عمرو بن توبة بن سليمان، وأحمد هذا هو ابن حجي بن يزيد بن نبل بن مرا بن ربيعة، والإمرة مقسومة بين هذين الأميرين؛ ويدخل في إمرتهم حارثة، والحاصّ، ولام، وسعيدة، ومدلج، وفرير وبنو صخر، وزُبيد حوران أو زُبيد صرخد، وبنو عني، وبنو غزّ[3].

ويذكر ابن فضل الله أنه ينسب إليهم من عرب البرية آل طفير، والمفارجة، وآل سلطان، وآل غزي، وآل برجس، والخرسان، وآل المغيرة، وآل أبي فضيل، والزرّاق، وبنو حسين الشرفاء، ومطير، وخثعم، وعدوان، وعنزة، ولا يعد منهم عنترة العبسي[4]،

---

(1) قجليس: سيف الدين الناصري، السلاح دار "أمير السلاح" في مصر زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، كان خيراً، يحب العلماء ويؤثرهم وينصرهم، ومن كبار الخواص عند أستاذته المقربين، وتوفي سنة (٧٣١هـ/ ١٣٣١م)؛ ينظر: الصفدي، أعيان العصر (ج٤/ ٧٧- ٧٨)، الوافي بالوفيات (ج١٦/ ٢٤٣)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٩/ ٦١)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٤/ ٢٨٤)؛ الداوداري، كنز الدرر (ج٩/ ٢٩٨).

(2) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٧٢).

(3) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٧٣- ١٧٤).

(4) عنترة: هو عنترة بن شداد العبسي أحد شعراء العرب، وفرسانهم، وأبطالهم، ومن أصحاب المعلقات، أمه حبشية يقال لها زبيبة، وكان أخوة عنترة من أمه عبيداً، وكانت العرب لا تعترف ببني الإماء إلا إذا امتازوا=

ولا عرابة الأوسي[1]، وكانت الحرب بين أبناء الأعمام من القبائل الأخرى، ولهم الغلبة في أكثر الأحيان، ويعتبروا آل مرو "أبطال مناجيد، ورجال صناديد"، فكانت قوة بأسهم سبباً في سفك الدماء، وتشتتت كلمتهم بقسمة الإمرة؛ ولولا تلك القسمة لظل كل يوم بينهم قتيل؛ لعدم انقياد أحدٍ منهم للآخر[2].

وتوسعوا في امتلاكهم للأراضي والمراعي حتى أصبحت مكة وراء ظهورهم، والشام في وجوههم، وديارهم تمتد من بلاد الجيدور[3]، والجولان[4]، إلى الزرقاء[5]، والضليل، إلى بصرى، وشرقاً امتدت أراضيهم إلى الحّرة المعروفة؛ بحرة كشب[6]، إلى شعباء[7]، إلى نير[8] ابن مزيد إلى الهضب المعروفة بهضب الراقي[9].

ث- زُبيد الغوطة:

ذكرهم ابن فضل الله العمري بانهم؛ وهم بنو زُبيد بن معن بن عمرو بن طيئ[10]، وهم مجموعات شتى في بلاد الشام، ومنهم صرخد حوران[11]، وزبيد مرج

=على أكفائهم ببطولة، أو شاعرية، واعترف به أبوه لبسالته وشجاعته؛ ينظر: الشيباني، شرح المعلقات التسع (ج١/ ٢١٤)؛ شرح القصائد العشر (ج١/ ١٧٦)؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء (ج١/ ٢٤٣- ٢٤٥).

(1) عَرَابة الأوسي: عرابة بن أوس بن قيظي الأوسي الحارثي الأنصاري، أدرك حياة النبي ﷺ وأسلم صغيراً، وتوفي سنة (٦٠هـ/ ٦٨٠م)؛ ينظر: الطبري، المنتخب (ج١/ ٣٨)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٣/ ٢٨٦)؛ البغدادي، خزانة الأدب (ج٣/ ٣٨).

(2) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٧٣).

(3) الجَيْدُورُ: كورة من نواحي دمشق شمال حوران؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ١٩٧).

(4) الجَوْلانُ: قرية جبلية من نواحي دمشق من عمل حوران؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٢/ ٤٠٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ١٨٨).

(5) الزّرْقاء: موضع بالشام بناحية معان، وهو نهر عظيم يصبّ في غور الأردن من أعمال حلب وسلمية؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٢/ ٦٩٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ١٣٧).

(6) كشب: قرب الطائف بالحجاز على حدود اليمن؛ ينظرك الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٤٦٢).

(7) شَعْبَاء: موضع جبلي من أرض الحجاز قرب مكة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٤٦).

(8) النِّيرُ: جبل بأعلى نجد، وأسفله الأحساء بوادي ذو بحار؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٣٣٠).

(9) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٧٣- ١٧٤).

(10) القلقشندي، قلائد الجمان (ج١/ ٨٢)؛ نهاية الأرب (ج١/ ٢٤٩).

(11) حوران: مدينة بصرى من أعمال دمشق؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج١/ ٢٥٣)؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة (ج١/ ٥٢)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٤١)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١١١).

دمشق، والغوطة[1]، أن ديارهم تمتد في دمشق والغوطة بدمشق إلى أم أوعال[2]، ومهامهم نشر الدرك وحماية الأطراف، وهم مجاورين لآل ربيعة بفروعها الثلاث، ولم يبين ابن فضل الله من أي زبيد، بل اكتفى بأن قال: أن امرتهم في بني نوفل، ويتبعون لنواب الشام، وليس فيهم إمرة بل عليهم شيوخ منهم، وليس للعرب عليهم سلطة[3].

٤. قبائل عرب العشير، أو(العشران):

لم يذكر العمري في كتابه تلك القبائل مع أنها كانت معاصرة لفترته، ولكن المصادر التاريخية ذكرت أنهم؛ قبائل عربية قيسية ويمنية، استقرت حول المدن، وعملت بالزراعة، واحتفظت بالقيم والعادات والتقاليد القبلية، وأُطلق عليهم العشير، والعشران، والعشيرات[4]، ومن عشير بلاد الشام: عشير غزة، وعشير نابلس، وعشير بني اسد وبني هلال، وبني لبسة وناشئ في حوران، وعشير طرابلس وبعلبك والبقاع، وعشير عجلون ويعرفون بالمواسين، وكانت السمة الغالبة عليهم العشير، قطع الطرق والاعتداء على من المارين، مما دفع الدولة إلى محاربتهم وأسر زعمائهم[5].

ويذكر المقريزي: أنه في سنة (٥٧٠هـ/ ١٣٤٩م)، ثار العشير على عادتهم، وطالت حروبهم لاشتغال الدولة عنهم، فعظم فسادهم وقطعهم الطرقات على المسافرين، فبعث إليهم نائب الشام الأمير أرغون شاه؛ ابن صبح مقدم الجبلية في عدة من الأمراء فلم يظفر بهم، وأقام بالعسكر على اللجون[6]، وأخذ العشير الإغارة على بلاد القدس، والخليل، ونابلس، فكتب نائب غزة؛ بمساعدة العسكر، واشتدت الفتنة في بلاد الكرك بين بني نمير وبني ربيعة، فكان الملك الناصر محمد بن قلاوون أعياه أمرهم، وتحصنهم

---

(1) الغُوطَةُ: هي الكورة التي منها دمشق، يحيط بها جبال عالية، ومياهها خارجة منها؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٣/ ١٠٠٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢١٩)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٣٢).

(2) أُم أَوْعَال: هضبة معروفة قرب برقة؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج١/ ٢١٢)؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة (ج١/ ١٤٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢٤٩)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ١١٤).

(3) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٧٤).

(4) ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٣/ ٣٣٥).

(5) المقريزي، السلوك (ج٣/ ٤١٧).

(6) اللجون: عمل من أعمال الشام؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٥٤).

بجبالهم المنيعة، فأخذ بالحيلة عليهم وتقدم إلى شطي أمير بني عقبة، وإلى نائب الشام، ونائب غزة، ونائب الكرك، بأن يدخلوا إلى البرية كأنهم يصطادون ويوقعون بهم، فقبضوا على الكثير، وقتلوا منهم في جبالهم خلقاً كثيراً، وحبسوا من تبقى حتى ماتوا[1].

٥. قبائل خارج حكم العرب:

يسرد العمري قبائل الشام الذين قد خرجوا عن حكم العرب، وأصبحوا بها أهل حضارة، فمدينة غزة، وبلد الخليل عليه السلام بها معمور بني تميم الداري، وبوادي بني زيد فرقة من بني جعفر بن أبي طالب، وفرقة من بني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بالقدس، وبجنين[2]؛ أقوام من حارثة، ومن بكر بن وائل، وبنابلس[3] كثير من قحطان وطائفة من مضر بن نزار، وبجبل عاملة[4] صليبة عاملة، وبالأغوار أخلاط من الموالي، وبعجلون[5] والبلقاء[6] فرقة من بني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن بني أمية، ومن غسان، وفي بلد بصرخد[7] من عامر بن هلال، ويدعون أنهم من بني جعفر بن أبي طالب، وبعثليث[8] وما ينضم إليها من بني أسد، وبزرع[9] وبصرى[10] أقوام من

([1]) السلوك (ج٤/ ١٠٢).

([2]) جِنينُ: مدينة بين نابلس وبيسان شمال فلسطين؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٢٠٢).

([3]) نَابُلُسُ: مدينة بفلسطين بين جبلين، وبها جبل ذكروا أن آدم عليه السلام سجد فيه، وتعتقد اليهود أن إسحاق عليه السلام ذُبح عليه؛ ينظر: البكري، المسالك (ج١/ ٤٦٥)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢٤٨).

([4]) جبل عاملة: من نواحي حلب، وذو بساتين ومياه جارية؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٤٧٠)

([5]) عجلون: مدينة وقلعة، ويشقها نهر ماؤه عذب، من أعمال الأردن؛ ينظر: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج١/ ٧٦)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٥٦).

([6]) البلقاء: من أعمال دمشق، بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمّان وفيها قرى كثيرة؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (١/ ٢٧٥)؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة (ج١/ ٥٣)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٨٩).

([7]) صَرْخَدُ: بلد ملاصق لحوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٣/ ٨٣١)؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة (ج١/ ٢٠٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٤٠١).

([8]) عَثْلِيثُ: حصن بسواحل الشام، فتحه الملك الناصر يوسف بن أيوب سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٨٥)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٥٧- ١٥٨).

([9]) زرع: بلدة من بلاد حوران لها عمل مستقل من أعمال الشام؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ١٣٥).

([10]) بصرى: موضع من أعمال دمشق، وهي مدينة حوران؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج١/ ٢٥٣)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٤١)؛ القلقشندي، صبح الأعشى(ج٤/ ١١١).

تغلب ومن الأزد، وقوم من بني جمح من قريش بأذرعات[١]، وفي بعض قراها قوم يدعون أنهم من بني جعفر بن أبي طالب[٢].

ويسرد العمري عن تلك الأقوام فيذكر أن باليرموك[٣] صليبة من غسان، وبنوى[٤] قوم يذكرون أنهم من بني المنذر بن ماء السماء، وبالشعرا[٥] من بني أُمية، وقوم ينتسبون إلى كندة باللجون[٦]، وبمرج دمشق أخلاط من طوائف العرب، وبحمص قوم من غسان، وبحماة أقوام من عبد الدار ومن جهينة وشداد من الأنصار، وبشيزر[٧] قوم من بني كلب وفرقة من بني مازن، وبالجبل المعروف بالظنيين[٨] فرقة من همدان، وبسلمية[٩] من بني الحسين بن علي، وبالمعرة[١٠] صليبة تنوخ، وبحلب وبلادها من بني بني الحسين بن علي، ومن بني عقيل ومن بني كلاب وكلب، وبالقريتين[١١] نفر من

([١]) أَذْرِعاتُ: بلد في أطراف الشام، بجوار البلقاء وعمّان، ينسب اليه الخمر؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج١/ ١٣١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٣١)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٠٩).

([٢]) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٨٥).

([٣]) اليرموك: موضع في الشام، التقى فيه الروم، والمسلمون؛ البكري، معجم ما استعجم (ج٤/ ١٣٩٣).

([٤]) نوى: مدينة صغيرة أثرية من أعمال دمشق، وبها قبر أيوب النبيّ عليه السلام؛ ينظر: الزمخشري، الجبال والأمكنة (ج١/ ٣١٥)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٠٨).

([٥]) الشعرا: من أعمال دمشق، وهي شرق جنوب بانياس؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٠٨).

([٦]) اللَّجُونُ: بلد بالأردنّ، وبه صخرة مدورة في وسط المدينة، عليها قبة زعموا أنها مسجد إبراهيم عليه السّلام، وتحت الصخرة عين غزيرة الماء، ذكروا أن إبراهيم عليه السّلام، دخل هذه المدينة في وقت مسيره إلى مصر ومعه غنم له، وكانت المدينة قليلة الماء، فسألوا إبراهيم أن يرتحل عنهم لقلة الماء فيقال إنه ضرب بعصاه هذه الصخرة فخرج منها ماء كثير فاتسع على أهل المدينة، فيقال إن بساتينهم وقراهم تسقى من هذا الماء والصخرة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ١٣)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٦٠).

([٧]) شَيْزَر: قلعة بالشام قرب المعرّة، في وسطها نهر الأردن، أوله من جبل لبنان، وتعدّ في كورة حمص وهي قديمة؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٣/ ٨١٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٨٣).

([٨]) الظنّيين: من أعمال الشام، وهي كورة بين مصياف وفامية؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٥٣).

([٩]) سَلَمْيَةُ: بلد من أعمال حماة، وكانت تعدّ من أعمال حمص؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٣/ ٧٥١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٤٠)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١١٧).

([١٠]) المعرّة: عمل من أعمال الشام، وهي مدينة من جند حمص؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج١٤/ ٤٢٧).

([١١]) القريتان: قرية كبيرة من أعمال حمص، وأهلها نصارى؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٣٣٦).

بني تغلب، وبالرحبة[١] المعروفة بمالك بن طوق قوم من بكر بن وائل ورجال من مُضر ومن ربيعة، وعامة أهلها من أبناء اليهود[٢].

ويتضح مما سبق؛ أن القبائل الشامية التي عاصرت دولة المماليك؛ كانت بحكم ثقلها السكاني ومواقعها الحيوية، قوة مؤثرة ومتأثرة لم تتجاهلها دولة المماليك، التي أخذت بالتعاون مع تلك القبائل تارةً، والتحالف تارةً، والعداء المؤقت تارةً.

ثانياً: عرب مصر:

١. عرب جذام:

يذكر ابن فضل الله عن تلك القبائل؛ بأنهم أول من سكنوا مصر، حيث جاءوا مع عمرو بن العاص، وأُقطعوا فيها بلاداً بقيت بأيدي أبناءهم إلى زمانه[٣]، وسمو بعرب الحوف[٤]، وجذام من كهلان من اليمن، ويذكر أنه قيل أن عرب جذام من ولد يعفر بن مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام، ويذكر أيضاً أنه قيل: جاء وفد على رسول الله ﷺ من جذام فقال: "مرحباً بقوم شعيب وأصهار موسى"[٥]، ومن إقطاعهم هربيط[٦]، وتل بسطة[٧]، ونوب[٨]، وأم رماد[٩]، ويعتبر إقطاع ثعلبة كان من مناشير جذام من زمن عمرو بن العاص، وقام السلطان صلاح الدين بتوسيع بلاد جذام لثعلبة[١٠].

---

(١) رحبَةُ مالك بن طَوْقٍ: تقع بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج٢/ ٦٥٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٤)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٧٤).

(٢) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٨٥- ١٨٦).

(٣) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٨٦).

(٤) الحَوْفُ: بمصر؛ حوف شرقي من جهة الشام ، وحوف غربي قرب دمياط، وبهما قرى كثيرة؛ ينظر: البكري، المسالك والممالك (ج٢/ ٦١٠)، معجم ما استعجم (ج٢/ ٤٧٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٢٢).

(٥) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٤).

(٦) هربيط: موضع في الشرقية بمصر يعرف بالأحرارة؛ ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ٢٣٤، ٢٤٧).

(٧) بسطة: مدينة خراب، عرفت بعدها بتلّ بسطة من عمل الشرقية بمصر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٢٢)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٣/ ٤٣٧)

(٨) نوب: موضع من بلاد الشرقية بمصر؛ ينظر: القلقشندي، قلائد الجمان (ج١/ ٦٠).

(٩) أم رماد: اقطاع من بلاد الشرقية؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥٨).

(١٠) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٤).

وكان لزيد بن حرام بن جذام أولاد وهم: سويد، وبعجة، وبرذعة، ورفاعة، وناتل، ومن هؤلاء بطون كثيرة فمنهم: هلبا بن مالك – ومالك هو ابن سويد–، ومنهم الحسنيون، والغوارنة؛ وهم أولاد الحسن والغور ابني بكر بن موهوب بن عبيد بن مالك بن سويد، ومنهم بنو أسير؛ وهو ابن عبيد الله بن مالك بن سويد، ومنهم العقيليون ؛ وهم بنو عقيل ابن قرة بن موهوب بن عبيد بن مالك بن سويد، ومن بطونهم اللبيديون، ومنهم البكريون، ومن أحلافهم؛ أولاد الهويرية، والردالين، والحليفيين، والحُصينيين، والربيعيين، ويعرفون ببني الوليد، وهم أولاد شريف النجابين، ونسبهم في قريش إلى عبد مناف بن قصي[١].

ومنهم الحيادرة من ولد حيدرة بن معروف بن حبيب بن الوليد بن سويد؛ وهم طائفة كبيرة، وبنو عمارة بن الوليد؛ ومنهم البيروم، والحيّيون من بني حية بن راشد بن الوليد، وأولاد منازل؛ ومنهم معيد بن منازل، وهلبا سويد؛ ومنهم العطيون، والحميديون، والجابريون، والغثاورة، ويقال لهم أولاد طراح المكوس، أما حمدان، ورومان، وحمران، وأسود؛ فيعرف هؤلاء بالأخيوة، واللكين، والقتلان، أما الحميديين فمن بطونهم أولاد راشد، ومنهم؛ البراجسة، وأولاد سرير، والجواشنة، والكعوك، وأولاد غانم، وآل حمود، والأخيوة، والزرقان، والأساودة، والحماديون، أما من بني راشد فيذكر العمري أنهم الحراقيص، والحنافيش، وأولاد غالي، وأولاد جوّال، وآل زيد، ومن النجابية؛ أولاد نجيب، وبنو فضل[٢].

ويسرد العمري عن تلك القبائل؛ أن من ولد مالك بن هلبا بن مالك بن سويد أبو خثعم، حيث أُقطع خثعم وأُمر، وكان له عدداً من المماليك الأتراك والروم وغيرهم، وكان له منزلة عظيمة عند الملك الصالح أيوب[٣]، وحصل على درجة رفيعة عند الملك المعزّ، وقدمه على عرب مصر، إلى أن قتل على يد أحد غلمانه، فجعل المعزُّ ابنيه سلمى ودغش خلفاً له، ثم ذهب دغش دمشق فأمّره الملكُ الناصر، وأمّر المعزّ أخاه سلمى فلم

([١]) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٥).

([٢]) المصدر السابق (ص ١٩٥).

([٣]) أيوب السلطان الملك الصالح نجم الدين ابن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب، ولد بالقاهرة سنة (٦٠٣هـ/ ١٢٠٧م)، وتوفي سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، ولاه أبوه حكم مصر عندما كان حاكماً لدمشق، آخر سنة (٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م)، ولما استولى الكامل على حران وحصن كيفا وسنجار ولاه تلك البلاد؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٠/ ٣٥– ٣٦)؛ ابن حجر، نزهة الألباب (ج١/ ٤٢١).

يرضَ حتى يؤمرَ مفرج بن سالم بن راضٍ مثله؛ فأمّره، ثم أمّر مزروع بن نجم[١].

ويذكر العمري أن منهم الشواكرة؛ نسبةً لشاكر بن راشد بن عقبة بن محرية، ولهم شنبارة بني خصيب، ومن أولاد العجار أدلاء الحاج، من زمن السلطان صلاح الدين إلى زمانه، ومنهم حميدة بن صالح بن أسد بن عقبة، حيث يوجد فرقة منهم بالحجاز من واصل بن عقبة، ويقول أيضاً: إن عمرو بن مالك بن الضبيب، وعسرة، وزهير، وخليفة، وحصن، من أحفاد بن الضبيب، وأن بني خليفة وحصن قد انضافوا إلى بني عبيد بالحلف، ولهم موضعٌ من حقوق هربيط يعرف بالأحراز، وأما زهير فأكثرهم بالشام، والذين بمصر امتزجوا بأولاد زيد، وهم بحريّ الحوف إلى أشموم[٢]، ومنهم بنو عرين[٣].

ومن بني جذام بنو سعد، وفي جذام خمسة سعود؛ سعد بن إياس بن حرام بن جذام، وسعد بن مالك بن زيد بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جُذام، وإليه ينسب أكثر السعديين، وسعد بن مالك بن حرام بن جُذام، وسعد بن أبامة بن عنيس بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جُذام، والخمسة اختلطوا بمصر، وأكثرهم مشايخ بلادهم وكبراؤها، ولهم مزارع، ومآكل، وكان فسادهم كثير، ومنهم شاور الوزير العاضديّ، وإليه ينسب بنو شاور كبار منية غمر[٤]، ويذكر ابن خلكان أنه من سعد حليمة مُرضعة النبي ﷺ[٥].

ويذكر العمري عشائر بني سعد فمنهم؛ بنو شاس، وجوشن، وعلان، وفزارة بني سعد تل طنبول إلى نوب طريف، ومنهم بدقدوس، ودمريط، ووليه، ولسوس، وديارهم ضواحي القاهرة إلى أطراف الشرقية[٦]، ومن جذام ولخم أقوام، وهم ذوو عدد وعدة وأهل

---

(١) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٥- ١٩٦).

(٢) أُشْمُوم: مدينة بمصر قرب دمياط، وهي مدينة الدّقهلية؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢٠٠)؛ العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٥٠١).

(٣) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٦- ١٩٧).

(٤) المصدر السابق (ص ١٩٧).

(٥) وفيات الأعيان (ج٢/ ٤٣٩).

(٦) الشَّرْقِيّة: مدينة في جنوب مصر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٣٧).

شجاعة؛ وفي بلدة رشيد[1] بني مزديش[2]، وبالغربية والبحيرة[3] والغربية؛ طوائف من مزاتة، وبقليوب[4]؛ طوائف من فزارة، ومنهم بنو بعاية، وفيهم أعيان ودارهم أطراف الشرقية وما أخذ شرقاً وقبلة، بالإسكندرية[5]؛ القراططة، ومصفونة، ومن العائذ: عائذ جذام في مصر، وعائذ ربيعة بالحجاز، وعائذ فرير؛ حيث ادّعوا أنهم ينتمون إلى ثعلبة بعد التنافر الذي حصل بين ثعلبة وجذام[6].

أما حرام ففي جذام، وقليل من عرب مصر يعرفها، وفي الخزرج حرام، ولا يعرف أيهما التي بمصر، وفي خندف حرامٌ، وفي تميم حرامٌ، وحرام القاطنة بمصر من الخزرج، وهم بنو حية، وبنو ذبيان، وهم أشتات في مصر، وفيهم مشايخ بلاد، وقضاةُ، وفقهاء، وعدول، وليست لهم دار خاصة ولا مكان معروف[7].

٢. ثعلبة مصر:

يذكر العمري أنهم؛ مثل ثعلبة أهل الشام، فهم من طيء، وخندف، وقيس، ومراد، ويمن، وكانوا معاونين للصليبيين قديماً، ثم أصبحوا مجاهدين لهم بعد ذلك، وهم بطنان؛ درما، وزريق – ابنا عوف بن ثعلبة–، واسم درما عمرو؛ إنما يغلب عليه اسم أمه درما، ومن أفخاد درما مصر؛ سلامة، والأحمر، وعمرو، وقصير، وأويس، ومن أفخاد زريق؛

---

(1) رَشيدُ: مدينة على ساحل البحر المتوسط و نهر النيل، قرب الإسكندريّة، ينظر: المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٨٩)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/٣٤٣– ٣٤٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٤٥).

(2) القلقشندي، قلائد الجمان (ج١/ ١٧٥).

(3) البحيرة: وهي بحيرة تنيس؛ بمصر بين بور سعيد ودمياط؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٦٢١– ٦٢٣)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ١٠٢– ١٠٣)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٥١).

(4) قليوب: قرية بمصر شرق النيل؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٥٠١)؛ العجمي، ذيل لب اللباب (ج١/ ٢٠٣).

(5) الإسكندرية: مدينة بناها الاسكندر المقدوني على البحر المتوسط، وكان بها ملكه ومستقره، وبها الجوامع والمساجد، والربط والخوانق، والفنادق، والأسواق، ومعامل القماش والطرز، إليها تهوى التجار براً وبحراً؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٦٢٨– ٦٣٥)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٩١– ١٠٤)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ١١– ١٧)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٨٢– ١٨٨)؛ العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٤٩٠).

(6) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٧).

(7) المصدر السابق (ص ١٩٩).

أشعث، ولبني، يذكر أن ثعلبة، وعنين، ونيل، ثلاثة أخوة أولاد سلامان[١].

ويسرد العمري نسلهم فيذكر: أن درما البقعة، وسبل؛ أولاد نافع قروان، والحنابلة وجدهم حسين، والمراونة جدهم مروان، والحيانيون من أولاد حيّان بن درما، ومن زريق بنو وهّم، والطلحيون، والصبيحيون، والعقيليّون، والمساهرة، والجحافرة، ومن ثعلبة أيضاً الجواهرة جماعة سنجر بن عمرو بن هندي[٢].

والطحيون فيهم آل حجاج، وآل عمران، وآل حصيناة، والمصافحة، وكبيرهم سقير بن جرجي، وأمر بالبوق والعلم، والصبيحيين منهم: الغيوث، والرموث، والروايات، والنمول، والسحميين، والسعالي، وهم بنو حصن، والرمالى، والوريثيين، والسنديين، والبجابجة، والعليميون كان كبيرهم عمرو بن عسيلة وأمر بالبوق والعلم، وفي العلميين القمعة، والرياحين بني مالك، والفرقة المعروفة بالأشعث بن زريق[٣].

٣. بنو هلال:

يرجعون بنسبهم إلى عامر بن صعصعة من قيس عيلان، وكان أهل بلاد الصعيد كلها إلى عيذاب[٤]، وبنو عمرو، بطونهم بنو رفاعة وبساقية قلتة[٥]، وبنو قرة بإخميم[٦]، وبنو حجير، وبنو غرير، وبنو عقبة وبنو جميلة بأصفون[٧] وإسنا[٨]، ومن بنو جميلة نجم الدين

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٨).

(٢) المصدر السابق (ص ١٩٨).

(٣) المصدر السابق (ص ١٩٨).

(٤) عيذاب: مدينة على ضفة البحر الأحمر، وهي مرفأ الحجاج ومن سلك إلى اليمن وغيرها؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٦١٩- ٦٢٠)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٣٢)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١٧١).

(٥) قُلْتَةُ: قرية تعرف بسواقي قلتة بصعيد مصر من شرق نهر النيل؛ ينظر: الحموي، المصدر السابق (ج٤/ ٣٨٧)؛ القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ٧٢، ٣٦٢).

(٦) إِخْمِيم: بلد بصعيد مصر على نهر النيل؛ ينظر: البكري، المسالك (ج١/ ٥١٩- ٥٢٠)، ومعجم ما استعجم (ج١/ ١٢٥)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٢٥- ١٢٦)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٨٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٢٣)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٣٩)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٢٧).

(٧) أَصْفُونُ: قرية بصعيد مصر على غرب شاطئ نهر النيل؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢١٢).

(٨) إِسْنَا: مدينة بأقصى صعيد مصر، وليس وراءها إلا أدفو وأسوان ثم بلاد النوبة، غرب نهر النيل؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٢٩)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٨٩).

الأصفونيّ الوزير[1]، الذي قتل على يد الشجاعيّ[2].

٤. بنو بلي:

يذكر العمري أنهم من قضاعة، وكانوا مفرقين، فاتفقت هي وبنو جهينة أن لبلي من جسر سوهاي[3] غرباً إلى قريب قمولة[4]، وصار لها من الشرق من عقبة قاو الخراب[5] إلى عيذاب[6]، ومن أصول بليّ بن عمرو: بنو هنيًّ، وبنو وهم، وبنو سوادة، وبنو خارفة، وبنو رايس، وبنو ناب، وبنو شادٍ، وبنو عجيل بن الذيب وهم العجلة وفيهم الإمرة، ويقول: أن بني شادٍ من بني أيمة، ومنهم بطوخ، وهذيل، وبنو حماد، وبنو فضالة بمنفلوط[7]، وبنو خيار بفرشوط[8]، ويذكر أن قوماً زعموا أن بني شادٍ من بني العجيل بن الذيب وهم إخوتهم، وينفي العمري تلك الرواية قائلاً: أن العجيل تزوج أخت إبراهيم بن شادٍ؛ فولدت منه ولداً سمته شادياً، فوهم الجهلة ذلك، وينفي أيضاً العمري الرواية التي تقول: أن عجيل بن الذيب من ولد الشمر قاتل الحسين رضي الله عنه[9].

---

(1) عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن علي؛ أبو القاسم نجم الدين الأصفوني: من فقهاء الشافعية، من أهل أصفون بصعيد مصر، ولد سنة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)، توفي سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م)؛ ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٢/ ٣٥٠)؛ السيوطي، حسن المحاضرة (ج١/ ٤٢٨)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٦/ ١٦٧).

(2) سنجر بن عبد الله الجاولي: أبو سعيد، من أمراء الجند بمصر، ولد بآمد سنة (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م)، وكان من مماليك جاول أحد أمراء الظاهر بيبرس، وخرج في أيام الأشرف خليل بن قلاوون إلى الكرك، وعاد إلى مصر في أيام العادل كتبغا، فكان نائب غزة، وبنى فيها مسجد يعرف بالجاولية؛ ينظر: ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج١٠/ ١٠٩)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٢/ ١٧٠)؛ السيوطي، حسن المحاضرة (ج٢/ ٢٢٢).

(3) سُوهَاي: قرية بمصر من قرى إخميم؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٨٦).

(4) قَمُولَةُ: بلدة بأعلى الصعيد من غربي النيل، كثيرة النخل والمزروعات؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٢٩)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٣٩٨).

(5) قاو: قرية بالصعيد على شاطئ النيل الشرقي تحت إخميم، وعندها يفترق النيل فرقتين؛ ينظر: الحموي، الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٤).

(6) عيذاب: مدينة على ضفة البحر الأحمر بين مصر والسودان؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٣٢)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٤١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١٧١).

(7) مَنْفَلُوطُ: بلدة بالصعيد غرب نهر النيل؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢١٤) ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٢٦).

(8) فِرْشَوْطُ: قرية كبيرة غرب نهر النيل من الصعيد؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٥١).

(9) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٨٩).

٥. بنو جهينة:

يذكر العمري أنهم من قضاعة، وهم أكثر عرب الصعيد، وكانت مساكنهم قريش، فأخرجتهم قريش بمساعدة عسكر الخلفاء المصريين، وأصبحوا ببلاد إخميم[١]، ويقول أنه روي أن بلياً وبطونها كانت بهذه الديار، وجهينة بالأشمونين جيراناً بمصر كما هم بالحجاز، فوقع بينهم فتنة، فجاء العسكر المصريُّ لإنجاد قريش علي جهينة، فخافت بلي وهربت إلى أعلى الصعيد، إلى أن ملكت قريش جهينة، ولم يعودوا إلى مساكنهم إلا بعدما تم الصلح وزالت الشحناء، ومن الأمثال المشهورة عنهم، "**وعند جُهينة الخبر اليقين**"[٢].

٦. عرب قريش:

يذكر صاحب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار؛ أن قريش منهم الجعافرة، وهم من الزيانبة، ومنهم الشريف تغلب صاحب ذروة سربام[٣]، ومسكنهم من بحريّ منفلوط إلى سملوط[٤] غرباً وشرقاً، ولهم حدود ببلاد أخرى، وبحرجة منفلوط قومٌ من بني الحسن بن علي، وفي سيوط[٥] أناسٌ من أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق، يعرفون بأولاد الشريف قاسم، ومن بطون الجعافرة؛ بنو أيمن وهم الحيادرة نسبةً إلى جدهم حيدرة، ومنهم السلاطنة أولاد أبي جحيش، والإمرة فيهم في بني تغلب، وسمت نفوسهم للمُلك وخصوصاً الشريف حصن الدين، في إمارة المعزّ ودولة المماليك البحرية، وكاتب الملك الناصر ابن العزيز[٦]؛

---

(١) إخْمِيم: بلد قديم على شاطئ النيل بصعيد مصر؛ ينظر: البكري، المسالك (ج١/ ٥١٩- ٥٢٠)؛ معجم ما استعجم (ج١/ ١٢٥)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٢٥- ١٢٦)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٨٤)؛ الحموي، معجم البلدان (١/ ١٢٣)؛ القزويني، آثار البلاد (١/ ١٣٩)؛ ابن بطوطة، الرحلة (١/ ٢٢٧).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٨٩).

(٣) سَرَبام: قرية كثيرة البساتين والنخل، أنشأ فيها الشريف بن ثعلب جامعاً على فم المنهي؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٤٥٣).

(٤) سَمَلُّوطُ: قرية بصعيد مصر غرب النيل من الأشمونين؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٥١).

(٥) سَيُوطُ: بلد بصعيد مصر؛ ينظر: السمعاني، الأنساب (ج١/ ٢٥٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٠١).

(٦) الملك الناصر أبي المظفر يوسف الملقب صلاح الدين بن الملك العزيز بن الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين؛ صاحب حلب؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٦/ ٢٥٩)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٤/ ٣٦١).

فأرسل إليه جيوشاً لمحاربته، فقبض عليه الظاهر بيبرس وشنقه بالإسكندرية[1].

وهذا ما ذكره العمري عن أخبار الأشراف بالصعيد، وحدود بلادهم، وبلاد مواليهم وأتباعهم وحلفائهم من بلاد الأشمونين بالصعيد.

٧. ومن غير الأشراف من قريش فمنهم ما يلي[2]:

أ- بنو طلحة:

فمنهم طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهم وأقرباؤهم ثلاثُ فرقٍ، وأطلق على الكلّ اسم بني طلحة؛ فالأولى بنو إسحاق، وإسحاق ليس جدهم، ولكنه موضع تحالفوا عنده سموهُ إسحاق كنايةً، حيث كلما تحالفت الأزد عند أكمةٍ سموها مذحجاً، والثانية قضا طلحة وهم؛ بطون كثيرة وأكثرهم أشتات في البلاد، والثالثة يعرفون ببني محمد من ولد محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما؛ ومنازل بني طلحة بالبرجين[3]، وسفط سكرة، وطحا المدينة[4].

ب- بنو الزبير:

منهم بنو عبد الله بن الزبير؛ وهم بنو بدر، وبنو مصلح، وبنو رمضان، ومنهم بنو مصعب بن الزبير؛ ويعرفون بجماعة محمد بن رواق، وبنو عروة بن الزبير؛ وهم بنو غنيّ في البهنسا[5] وما يليها، وهم ذوو معايش وأهل فلاحة وزرع وماشية[6].

ت- بنو مخزوم:

يذكر العمري أنهم يدّعون أنهم من ذرية خالد بن الوليد، كما ادَّعى بنو خالد بالحجاز، وبنو خالد بحمص، ويجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبه[7]،

---

(1) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٨٩- ١٩٠).

(2) المصدر السابق (ص ١٩٠).

(3) البرجين: قرية شرقها النيل، وغربها أسوان؛ ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ٣٢٤، ٣٩٣).

(4) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٠).

(5) بهنسا: هي بلدة بصعيد مصر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٦١).

(6) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٠).

(7) كُثر أولاد خالد بن الوليد حيث بلغوا نحو أربعين رجلاً، وكانوا كلهم بالشام؛ ثم انقرضوا في طاعون عمواس؛ ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب (ج١/ ١٤٨)؛ القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ٢٤٢).

ولعلهم من سواهم[1]، فهم من أكثر قريش بقية وأشرفهم من الجاهلية، وبلادهم متاخمة لما بينهم، وفيهم بأس ونجدة[2].

ث- بنو شيبة:

يذكرهم العمري بأنهم يعرفون بجماعة نهار، وهم جماعة شيبة بن عبد الدار، وديارهم نواحي سفط[3] وما يليها ويقاربها ويدانيها[4].

ج- بنو أمية:

يذكر العمري أنهم من بني خالد بن يزيد بن معاوية، وبني مسلمة بن عبد الملك، وبني حبيب بن الوليد بن عبد الملك، وبني أبان بن عثمان بن عفان[5]، وديارهم تندة[6] وما حولها، ويذكر أن المراونة منهم من ولد مروان بن الحكم، ولهم قرابات في الأندلس وأشتات غي المغرب، وحين كانت الدولة الفاطمية تحكم مصر ظلوا مكانهم ولم يخرجوا منها[7].

ح- بنو سهم:

فيذكر العمري أنهم من ولد عمرو بن العاص، تفرقوا في الصعيد، ولهم في وقف عمرو بن العاص بمصر منذ بنائه للفسطاط، ويذكر العمري عن القضاعيُّ في

---

(1) القلقشندي، قلائد الجمان (ج١/ ١٤٥)؛ العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩١).

(2) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٠- ١٩١).

(3) سَفْطُ القُدورِ: قرية بأسفل مصر، ينسب إليها عبد الله بن موسى السفطي مولى قريش؛ ينظر: السمعاني، الأنساب (ج٧/ ١٤٨)؛ الهمداني، الأماكن (ج١/ ٥٤٣)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٢٤)؛ ابن الأثير، اللباب (ج٢/ ١٢١)؛ السيوطي، لب اللباب (ج١/ ١٣٧).

(4) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩١)؛ القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ٣١٠).

(5) أبان بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمه أم عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة بن الحارث بن رفاعة بن سعد بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن غنم بن دهمان بن منهب بن دوس، فولد أبان بن عثمان سعيداً، وبه كان يكنى، ولد وتوفي سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٤م؛ ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى (ج٥/ ١٥١)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج١/ ٤٥٠- ٤٥١)؛ ابن منجويه، رجال صحيح مسلم (ج١/ ٦٩)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٦/ ١٤٧- ١٤٨)؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق (ج٣/ ٣٤٠- ٣٤١)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٢/ ١٦- ١٩)؛ ابن قليج، إكمال تهذيب الكمال (ج١/ ١٣٦).

(6) تَنْدَةُ: قرية كبيرة في غرب نهر النيل من الصعيد الأدنى؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٤٨).

(7) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩١)؛ القلقشندي، قلائد الجمان (ج١/ ١٥٢).

كتابه "خطط مصر" عن دور بني سهم حول المسجد في الفُسطاط[١]، وهو موضعُ المحراب وما يليه من جانبيه إلى حيث السوراي القبلية[٢].

خ- بنو الأنصار:

فيذكر العمري أن محمداً منهم، وبنو عكرمة بحريّ منفلوط، وبني محمد من بني حّسان بن ثابت رضي الله عنه، وبني عكرمة ينتمون إلى سيّد الأوس سعد بن معاذ رضي الله عنه[٣].

د- بنو عوف:

فهم من بني سليم، وفي سليم عوف أخرى، ومنهم في صعيد مصر، والفيوم[٤]، وفي البحيرة[٥] أناس كثير منهم، وفي برقة[٦] إلى الغرب منهم أعداد كثيرة[٧].

ذ- عرب المرتاحية:

يقول العمري: يسكنون الدقهلية[٨]، وبأنهم يدعون الجمارسة، ومن نسب قريش، وهم بنو عذرة نسبة إلى كنانة بن عذرة، ومنهم بنو شهاب، وبنو زيدة، والرواشدة –ليس

---

(١) الْفسْطَاط: مدينة بمصر سميت الْفسْطَاط؛ لأن عمرو بن العاص ضرب فسطاطه بهذا المكان حتى فتح مصر، ثم بنى المدينة في ذلك الموضع؛ الاصطخري، المسالك والممالك (ص ٤٨)؛ ابن حوقل، صورة الأرض (ج١/ ١٤٥- ١٥٣)؛ البكري، المسالك والممالك (ج٢/ ٦٠٢- ٦٠٩)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٧٨- ٨٢)؛ الحموي، المصدر السابق (ج٤/ ٢٦١- ٢٦٤)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٣٦- ٢٣٧)؛ ابن الأثير، اللباب (ج٢/ ٤٣٢)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢١٠)؛ العجمي، ذيل لب اللباب (ج١/ ٢٢٣).

(٢) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩١).

(٣) المصدر السابق (ص ١٩١).

(٤) الفَيُّوم: مدينة بمصر؛ أرضها منخفضة، كان لا يوجد ماء، فقام يوسف الصديق عليه السّلام، لما ولي مصر حفر نهر وساقه من النيل إلى الفيّوم؛ ينظر: القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٣٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٨٦)؛ ابن الأثير، اللباب (ج٢/ ٤٥٣)؛ السيوطي، لب اللباب (ج١/ ٢٠١).

(٥) البحيرة: هي بحيرة تنيس؛ بمصر بين بور سعيد ودمياط؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٦٢١- ٦٢٣)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ١٠٢- ١٠٣)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٥١).

(٦) بَرْقَةُ: مدينة في كبيرة ليبيا، واسم مدينتها انطابلس؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٤٦- ٤٧)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ١٤٣)؛ الهمداني، الأماكن (ج١/ ١١٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٣٨٨).

(٧) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٢).

(٨) الدقهلية: هي بلدة بمصر، يقال لها أشموم طّناح؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢٠٠).

رواشدة هلبا سويد-، وبنو عصا، وبنو محمد، وبنو سنان، وبنو حمزة، وبنو فراس؛ وهم بمنية محمود، ومنية عدلان، وبنو لأم -وليسوا بلأم الحجاز-، وبنو شمس، والفضليون؛ وهم بكوم الثعالب[١] وما دناها، والحصنيين، ورذالة، والأحامدة -ليسوا بأحمدة هلبا-، والحمارنة؛ وهم بنو حمران، وبعضهم أصحاب إقطاع، وبنو زهير من بني عزيز، وبني شبيب، وبني عبد الرحمن، وبني مالك، وبني عبيد، وبني عبد القوي، وبني شاكر -غير شاكر عقبة-، وبني حسن، وبني شمّاء -غير شماء آل ربيعة-[٢].

٨. بنو فزارة:

من سعد بن قيس عيلان، ومنهم جماعةٌ بالصعيد وجماعةٌ بضواحي القاهرة في قليوب[٣] وما حولها، وبهم عُرفت البلد المسماة بخراب فزارة[٤][٥].

٩. بنو لَوَاتَة:

يذكرهم العمري أنهم من قيس بن غطفان بن سعد بن قيس، وأنهم من ولد بر من ولد قيذار بن إسماعيل؛ كان قد ارتكب معصية، فطرده أبوه؛ فذهب إلى فلسطين، وتزوج امرأة من العماليق، فأنجب منها أولاد منهم لواتة، ومزاتة، وزُنّارة، وهوارة، وزويلة، ومغيلة، ومليمة، وكتامة، وغمارة، ونفوسة، وكانوا من ذوي جالوت، فلما قتل دخلوا المغرب، وقيل أن البربر من ولد فقط بن حام؛ وبنو لواتة هم بنو بلار وحدو خاص، وبنو مجدول، وبنو حديدي، وقطوفة، وبركين، ومالو، ومزورة، وبنو حديدي مجمع أولاد قريش، واولاد زعازع أشهر من في الصعيد، وقطوفة؛ وتجمع مغاغة وواهلة، وبركين؛ تجمع بني زيد وبني روحين، ومزورة؛ وتجمع بني وركان وبني عرواس، وبني جماز، وبني الحكم، وبني الوليد، وبني الحجاج، وبني المحربية[٦].

---

(١) كوم الثعالب: موضع بمصر؛ القلقشندي، قلائد الجمان (ج١/ ٤٩)؛ نهاية الأرب (ج١/ ١٥٥).

(٢) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٩).

(٣) قليوب: قرية بمصر شرق النيل؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٥٠١)؛ العجمي، ذيل لب اللباب (ج١/ ٢٠٣).

(٤) خَراب فزارة: من بلاد القليوبية بمصر؛ ينظر: القلقشندي، قلائد الجمان (ج١/ ١١٤).

(٥) العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٢).

(٦) المصدر السابق (ص ١٩٢)؛ القلقشندي، قلائد الجمان (ج١/ ٣٤).

١٠. بنو بلار:

يذكر العمري أن بنو بلار فرقتان؛ فرقة بالهنساوية[١] وهم بنو محمد، وبنو عليّ، وبنو نزار، ونصف بني ثهلان، ويقال عنهم البلارية ومنهم مغاغة، ولهم من سملوط[٢] إلى الساقية[٣]، وفرقة بالجيزة؛ ويطلق عليهم "**حدو خاص**"، وهم بنو مجدول، وسفارة، وبنو أبي كثير، وبنو الجلاس، ونصف بنو ثهلان، ولهم سفط بوجرجة[٤]؛ ومنهم بنو محمد وبنو عليَّ وأمراؤهم بنو زعازع، ومزورة بنو وركان، وبنو عراوس، وبنو جماز، وبنو الحكم، وبنو الوليد، وبنو الحجاج، وبنو المحربية، ويذكر العمري أن بني الحجاج من بني حماس؛ ولهذا يؤدون معهم القطائع، وبني نزار في إمارة بني زعازع؛ وهم من بني زربة، ومنهم نصف بني عامر، ومنهم الحماسنة، والضباعنة [٥].

١١. عرب لخم:

يذكر العمري أنهم من صعيد مصر، سكنوا بالبرَّ الشرقي، ومنهم؛ بنو سماك ومنهم بنو مُرّ، وبنو مليح، وبنو نبهان، وبنو عبس، وبنو كريم، وبنو بكر، وديارهم طارف ببا[٦] إلى منحدر دير الجميزة من البر الشرقي، ومنهم؛ من بني حدّان بنو محمد، وبنو علىّ، وبنو سالم، وبنو مدلج، وبنو عبس؛ وديارهم من دير الجميزة من البر الشرقي إلى ترعة صول[٧]، ومنهم من بني راشد بنو معمر، وبنو واصل، وبنو مرا، وبنو حبّان، وبنو معاذ، وبنو البيض ولهم الحيّ الصغير، وبنو حجرة، وبنو سنوة ولهم من ترعة شريف إلى معصرة

---

(١) البهنساوية: بلاد في مصر في الوجه القبلي؛ ينظر: القلقشندي، قلائد الجمان (ج١/ ١٧٢)؛ نهاية الأرب (ج١/ ١١٦).

(٢) سَمَلُّوطُ: قرية بصعيد مصر غرب النيل من الأشمونين؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٥١).

(٣) ساقية: من الأعمال الأخميمية شرق النيل بمصر؛ ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ٢٢٨، ٢٦٤).

(٤) بوجرجة: من الأعمال الأخميمية شرق النيل بمصر؛ ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب (ص ٤٤١).

(٥) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٣).

(٦) بَبا: مدينة بصعيد مصر، غرب النيل من كورة البهنسا؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٣٣٣)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٢٣).

(٧) صَوْلُ: قرية على النيل، في أول صعيد مصر؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٣٠)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٤٣٥)؛ السيوطي، لب اللباب (ج١/ ١٦٣)،

بوش[1]؛ وديارهم من مسجد موسى إلى أسكر، ونصف بلاد أطفيح[2][3].

ويذكر العمري في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار؛ أن منهم من بني جعد بنو مسعود، وبنو جرير، وبنو زبير، وبنو نمال، وبنو نصار؛ ويسكنون ساحل أتفيح، ومنهم من بني عديّ بنو موسى، وبنو محرب؛ ومساكنهم بالقرب منهم، ومن بني بحر بنو سهل، وبنو معطار، وبنو فهم، وبنو عشير، وبنو مسند، وبنو سباع؛ ومسكنهم الحيّ الكبير[4]، ومنهم قسيس؛ ومساكنهم بلاد الأسكر، ولبني غنيم العدوية[5] ودير الطين[6] إلى جسر مصر[7]، ومنهم بنو عمرو؛ ومساكنهم من الرستق إلى نصف حلوان[8]، والنصف الآخر من حلوان، ونصف طرا[9]؛ لبني حجرة[10].

من خلال ما سبق؛ ذكر ابن فضل الله العمري القبائل المصرية والشامية، التي عاصرها وكانت تعيش تحت سلطة المماليك في فترة حكم أسرة قلاوون، وتناولها بكثير من التعمق والشمول، من خلال ذكره إلى القبائل وكيف انتقل الحكم إلى أبنائهم وغيرهم، وعلاقة تلك القبائل بالسلطة الحاكمة، إلا أنه لم يذكر بعض القبائل؛ كقبائل "العشران" الذين استقروا في غزة، ونابلس، وطرابلس، وبعلبك، والبقاع، ويبدو أن العمري لم ينسى ذكرهم، ولكن أهملهم قصداً؛ لأن تلك القبائل كانت سيرتها سيئة بين القبائل، حيث غلبت عليهم قطع الطرق، والاعتداء على يمر من خلال تلك البلاد التي سكنوها، والسبب الآخر؛

---

(1) بوش: ترعة شريف ومعصرة؛ بصعيد مصر في بني سويف؛ ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ٣٠٨).

(2) أطفيح: في مدينة الجيزة بمصر من الأعمال الأطفيحية؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢٢٨).

(3) مسالك الأبصار (ج٤/ ١٩٣- ١٩٤).

(4) الحيّ الكبير: قرى على نيل مصر بصعيد، ولها أحياء بني الخزرج، وهو الحيّ الكبير، والحيّ الصغير؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١١٨).

(5) العَدَوِيّةُ: قرية ذات بساتين قرب مصر على شرق شاطئ النيل باتجاه الصعيد؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٩٠)؛ القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ٣٩٠)؛ السيوطي، لب اللباب (ج١/ ١٧٧).

(6) دَيرُ الطِّينِ: على شاطئ نيل مصر طريق الصعيد قرب الفسطاط؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٥٢٠).

(7) جسر مصر والرستق: من الأطفيحية في الجيزة بصعيد مصر؛ القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ٤٠٣).

(8) حلوان: قرية بصعيد مصر على النيل، اختطها عبد العزيز بن مروان لما، وضرب بها الدنانير؛ ينظر: الهمداني، الأماكن (ج١/ ٣٨٠)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٢٩٢)؛ السيوطي، لب اللباب (ج١/ ٨٢).

(9) طُرَا: قرية شرق النيل قريبة من الفسطاط من صعيد مصر؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٤).

(10) العمري، مسالك الأبصار (٤/ ١٩٤).

لقرب العمري من السلطان محمد بن قلاوون الذي كان كاتب سره، ومحاربة الدولة لهم في أكثر من موضع واعتقال زعمائهم، جعل العمري يهمل هؤلاء القبائل باعتبارهم خارجين عن حكم السلطان، وعادات العرب، وتعاليم الإسلام.

المبحث الثاني: العادات والتقاليد في المجتمع.

أولاً: عادات السلطان:

١. هيأته في مجلس المظالم:

كان السلطان محمد بن قلاوون[١] يجلس يوم الاثنين والخميس بالقلعة، ومجلسه هذا هو إيوان بظاهر قصره قريباً من بابه، ويسمى "دار العدل"[٢]، حيث متسع على مرتفع أمامه مساحة فسيحة، ويتم فيه مقابلة رسل الملوك، والخدمة للعامة، وإذا جلس للنظر في المظالم جلس على كرسي تكون رجليه لا تكاد تلمس الأرض، حيث نصب الكرسي على جانب المنبر الذي هو تخت الملك، ويجلس عن يمينه قضاة المذاهب الأربعة، ثم الوكيل عن بيت المال، ثم ناظر الحسبة، ويجلس عن يساره كاتب السر، وأمامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين مشكلين بذلك حلقة دائرية[٣].

وإذا كان وزير من أرباب الأقلام موجوداً، جلس بينه وبين كاتب السر، وإن كان الوزير من أرباب السيوف؛ يبقى واقفاً على بعد مع بقية أرباب الوظائف، وإذا كان نائب فيقف مع أرباب الوظائف، ويجلس عن يمينه ويساره ذوو السن ومن أكابر أمراء المشورة، ويليهم من أسفل منهم أكابر الأمراء واقفين، وبقية الأمراء واقفين وراء أمراء المشورة، ويقف وراء السلطان صفان من المماليك عن يمينه وعن يساره من السلاح دارية[٤] والجمدارية[٥]

([١]) محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي، حيث كان يعرف بالألفي لأن الملك الصالح اشتراه بألف دينار ذهباً، وله سيرة كريمة، وفضائل عظيمة؛ ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٤/ ١٦٢).

([٢]) أنشأه السلطان المنصور قلاوون، ثم جدده ابنه الملك الأشرف خليل، وقام بهدم هذا الإيوان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م)، وأعاد بناءه ووضع به عمداً عظيمة نقلها من معابد الصعيد سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م)؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٣/ ٣٩٦)؛ المقريزي، الخطط (ج٣/ ٣٦١).

([٣]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٩٢).

([٤]) السلاح دارية: هم حملة السلاح للسلطان في المجامع، أو الأمير الذي يتولى السلاح خاناه؛ ينظر: النويري، نهاية الأرب (ج٨/ ٢٢٧)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٩).

([٥]) الجمدار: هو الذى يتولى إلباس السلطان أو الأمير ثيابه، مركب من كلمتين فارسيتين "جاما"؛ بمعنى الثوب، و"دار" بمعنى؛ ممسك، وأكثر ما يكون الجمدارية من الصبيان الملاح، ويتحلون بالملابس المزركشة أكثر مما تتحلى النساء؛ ينظر: النويري، نهاية الأرب (ج٣٢/ ٢٨)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٦٢).

والخاصكية[1]، وأرباب الوظائف ويقف خلف الحلقة المحيطة بالسلطان الحاجب والدوادارية لقراءة قصص الناس وإحضار المساكين، فما احتاج إلى مراجعة القضاة راجعهم فيه، وما يختص بالعسكر تحدث مع الحاجب وكاتب الجيش فيه[2].

٢. هيأته أيام الأسبوع:

يخرج السلطان في باقي الأيام من قصوره الداخلية إلى قصره الكبير الخارجي، وكان لا يسمع القصص، ولا للقضاة وكاتب الجيش والموقعين، إلا اذا عرضت حاجة إلى أحد منهم، وقصره هذا يطل على اصطبلاته[3]، وفي صدره تخت الملك الذي يجلس عليه تارةً، ويجلس على الأرض تارة أخرى، ويبقى الأمراء وقوف، أما أمراء المشورة والقرباء منه لا يحضرون هذا المجلس، ولا يحضر من الكبار إلا من دعت الحاجة لحضوره، وفي ثلث النهار يدخل إلى قصوره الداخلية التي بها حريمه ونسائه، ثم يخرج في آخر النهار إلى قصوره الداخلية، ويدخل عليه أرباب الوظائف لعرض الأشغال المتعلقة بأمور الدولة[4].

٣. هيأته في الأسفار:

يسير السلطان محمد بن قلاوون في موكب السفر وحوله مماليكه ورئيسهم وأستاذدار، وأمامهم الخزائن والجنائب والهجن، ويركب معه كثير من الأمراء الكبار والصغار من الغرباء والخواص ، ولا يضع الرقبة[5]على فرسه، وعندما يحل الليل تحمل أمامه فوانيس[6]،

---

(1) الخاصكية: هم حرس السلطان الخاص، وهم من المماليك السلطاني ويتم جلبهم صغار، وكانوا يلازمون السلطان في خلوته وأينما يذهب؛ ينظر: المقريزي، السلوك (ج١/ ٦٤٤).

(2) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٩٣).

(3) الإصطبلات: هي أماكن توضع بها الخيول والبغال، وكانت أسفل القصر، وأول من استجدّها الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان كثير الشغف بالخيول العربية التي جلبها من عرب آل مهنا، وآل فضل وغيرهم؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٣/ ٤٢٧، ٥٤٨)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٣/ ٣٩١).

(4) العمري، مسالك الأبصار (ص ٢٩٣– ٢٩٤).

(5) الرّقبة: وهي لباس لرقبة فرس السلطان من حرير أصفر، مطرزة بالذهب، تُشد على رقبة فرس السلطان في المواكب العظام لتكون فرس السلطان مميزة عن باقي الموكب؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٢/ ١٤١).

(6) الفوانيس: وهي آلة مدورة ذات أضلاع من حديد، مغطاة بقطعة من رقيق الكتّان الصافي البياض، يتخذ للاستضاءة بغرز الشمعة في أسفله ليوزع الضوء، ويُحمل منها اثنان أمام السلطان أو الأمير في السفر في الليل؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٢/ ١٤٦).

ومشاعل[1]، وعند قربه من مكان تخييمه، تضاء الشموع المركبة في الشمعدانات المكفتة[2]، وتصيح الجاويشية بين يديه، ويمشي خلفه حملة السلاح، والأوشاقية[3]، ومشت الطبرادرية[4] حوله حتى يدخل إلى خيمته المستديرة الواسعة، وبداخلها شقة مختصرة، ثم إلى لاجوق[5]، وحول كل خيمة من جوانبها الداخل سور خركاه[6] من خشب، وفي صدر ذلك اللاجوق قصر صغير من الخشب ينصب له للمبيت فيه، وينصب له حمام بقدور الرصاص، وله حوض على هيئة حمام المدن ولكن بشكل مختصر[7].

ويذكر العمري أنه؛ عندما ينام السلطان محمد بن قلاوون يبدأ المماليك بالطواف دائرة بعد دائرة حول خيمته، ومن حولهم يطوف جميع الحرس، وتدور الزفة حول الخيمة في كل ليلة مرتين: الأولى عندما يأوي إلى النوم، والثانية عندما يصحو من النوم، وكل زفة يدور بها أمير جاندار؛ من أكابر الأمراء، وحوله الفوانيس والمشاعل والطبول[8] والبياتة، وينام على باب الخيمة النقباء والخدم، ويحضر معه مارستان لكثرة من معه من الأطباء وأرباب الكحل والجراح والأشربة والعقاقير، وحين يمرض أحدٌ منهم يوصف له ما يناسبه من الدواء،

([1]) المشاعل: جمع مشعل؛ وهي آلة من حديد كالقفص مفتوح الأعلى، وفي أسفله خرقة لطيفة، توقد فيه النار بالحطب فيضيء؛ ويحمل أمام السلطان ونحوه في السفر ليلاً؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٢/ ١٤٦)

([2]) الشمعدانات: هي مشاعل من النحاس والفضة؛ ينظر: المقريزي، الخطط (ج٢/ ١٠٨).

([3]) الأوشاقية: أو "الجاوقية" والأوجاقي؛ هو لقب من يتولى ركوب الخيول لتسير المواكب السلطانية والرياضة؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٥/ ٤٢٧).

([4]) الطّبردار: وهو الذي يحمل الطّبر حول السلطان عند ركوبه في المواكب وغيرها؛ وهو مركّب من لفظين فارسيين: أحدهما طبر؛ ومعناه "الفأس"، والثاني دار؛ ومعناه "ممسك"، فيكون المعنى "ممسك الطّبر"؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٥/٤٣٠).

([5]) اللاجوق: مكان في الخيمة السلطانية مقابل مبيت السلطان؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٥٠).

([6]) خركاه: لفظ فارسي معناه الخيمة الكبيرة، أو البيت من الخشب يصنع على هيئة مخصوصة، ومغطى بالجوخ، يحمل في السفر ليكون في الخيمة للمبيت شتاءً؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٢/ ١٤٦).

([7]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٩٤– ٢٩٥).

([8]) الطّبول: ويقال لها؛ الدّبادب، والبوقات، والزمر المعروف بالصهان الذي يضرب به عشيّة كل ليلة بباب السلطان وخلفه إذا ركب في المواكب ونحوها، وهي المعبر عنها بالطّبلخاناه، وهي من شعار الملك القديم؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٢/ ١٤٢).

ويُصرف من الشرابخاناه[١] أو الدواخاناه المحمولة في الركب[٢].

٤. عادته في صلاة الجمعة:

يخرج السلطان محمد بن قلاوون أيام الجمعة إلى الجامع المجاور لقصره في القلعة ومعه خاصة الأمراء، ويأتي بقية الأمراء من باب آخر، ويصلي السلطان في مقصورة خاصة على يمين المحراب، ويجلس عنده أكابر خاصته، ويصلي معه الأمراء خاصتهم وعامتهم خارج المقصورة عن يمينها ويسارها على مراتبهم، وعند انتهاء الخطبة والصلاة يدخل السلطان إلى قصوره ودور خدمته وحرمه، ويتفرق الناس كل واحد إلى مكانه[٣].

٥. الموائد السلطانية:

يذكر العمري أن من عادات السلطان محمد بن قلاوون مد السماط[٤] طرفي النهار في كل يوم لعامة الأمراء البرانيين[٥]، حيث في باكورة النهار يمد السماط الأول ولا يأكل منه السلطان، ثم ثانٍ بعده يسمى الخاص؛ قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل، ثم ثالث يسمى الطارئ ومنه مأكول السلطان، وفي آخر النهار يمد سماطان: الأول والثاني المسمى بالخاص، ومن عادته أن يبيت قريب مبيته في كل ليلة أنواع من أطباق المطجنات والبوارد والفطر والقشطة والجبن المقلي والموز، وأطباق الحلويات والماء المبرد، موزعة على المتناوبين بالليل حتى ينشغلوا بالأكل والشراب ولعبة الشطرنج عن النوم، والليل مقسوم بينهم على ساعات الرمل، وتوضع المصاحف الكريمة للقراءة[٦].

---

(١) الشراب خاناه: أو الدواخاناه، هم من يحملون الدواء والعقاقير، وهو بيت يشتمل على أنواع المشروب من المياه على اختلافها، والسكّر والأشربة والدّرياقات والسّفوفات والمعاجين والأقراص والأقسما، والفقّاع، والبلح، والأبقال، والحلويّات، والجوارشات، والفواكه؛ وأمر هذا البيت الخاصّ؛ مسئول عنه أمير مجلس، والعامّ؛ بأستاذ الدار؛ فيحتاج مباشر هذه الوظيفة الى ضبط ما يصل إليه من جميع هذه الأصناف؛ ينظر: النويري، نهاية الأرب (ج٨/ ٢٢٤)؛ المقريزي، الخطط (ج٣/ ٣٥٠)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٩).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٩٥).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٩٦- ٢٩٧).

(٤) السماط: موائد سلطانية يمد الطعام والشراب لجميع الناس؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٥٧).

(٥) الأمراء البرانيين: هم الأمراء الذين يخدمون السلطان خارج القصر، أما الأمراء الذين يخدمون السلطان داخل القر يسموا بالجوانية أو الخاصكية؛ ينظر: المقريزي، السلوك (ج١/ ٤٦٥).

(٦) مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٩٦).

٦. عادته في تلقي الأخبار:

يقوم نواب السلطان محمد بن قلاوون باطلاعه على ما يتجدد عندهم من الأمور، وتأُخذ أوامره وتعود أجوبته عليهم بما يراه، وبين السلطان وجميع ممالكه مراكز حيث بين المركز والآخر أميال، وفي كل مركز عدة خيل بريد[١]، وله جند بريدية في كل بلد لحمل الكتب والاسراع بأجوبتها، فإذا ورد بريد بلد من بلاد حكمه، أحضره جاندار والدودار، وكاتب السر بين يديه، فيقبل الأرض ثم يأخذ الداودار الكتاب فيمسحه بوجه البريدي، ثم يعطيه للسلطان محمد بن قلاوون فيفتحه، ويجلس كاتب السر فيقرأه عليه ويأمر فيه بأمره[٢].

ومن البريد ما يكتب ورق خفيف صغير، ويحمل على الحمام الأزرق، وللحمام مراكز كل مركز لا يمكنه تجاوزه، فإذا حمل الكتاب يوضع له علامة ليتم معرفته فلا يعترضه أحد، فإذا وصل إلى المركز الآخر أخذ عنه ونقل إلى حمام غيره من ذلك المركز[٣].

٧. عادته في العيدين:

في يوم العيدين يدخل السلطان محمد بن قلاوون المدينة واضعاً على رأسه مظلة، وهو الجتر[٤]، وهو أطلس أصفر مزركش على أعلاه قبة وطائر من فضة مذهبة، ويحملها بعض أمراء المئين الأكابر وهو راكب فرسه إلى جانبه، وخلفه أرباب الوظائف والسلاح، وحوله

---

(١) يعتبر كاتب ديوان الانشاء المتولّي لأمر البريد وتنفيذ أموره في الإيراد والإصدار، وللبريد ألواح من فضّة مخلّدة بديوان الإنشاء تحت أمر كاتب السّرّ بالأبواب السلطانية، منقوش على وجهي اللّوح نقشاً مزدوجاً ما صورته: "لا إله إلا الله محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون؛ ضرب بالقاهرة المحروسة"، ويعلق اللوح به حبل من حرير أصفر ذات بندين، يجعلها البريديّ في عنقه، بإدخاله رأسه بين البندين، ويصيّر اللوح أمامه تحت ثيابه، والشّرّابة خلفه من فوق ثيابه، فإذا خرج بريديّ إلى جهة من الجهات، ويذهب إلى جهة قصده؛ فكلّ من رأى تلك الشّرّابة خلف ظهره علم أنه بريديّ. وبواسطة ذلك تذعن له أرباب المراكز بتسليم خيل البريد، ولا يزال كذلك حتّى يذهب ويعود، فيعيد ذلك اللّوح إلى ديوان الإنشاء؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج١٤/ ٤١٦- ٤١٧).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٩٧).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٩٧).

(٤) الجتر: هي المظلّة، وهي قبة من حرير أصفر، تحمل على رأس الملك، على رمح بيد أمير يكون راكباً بمحاذات الملك، يظلّه بها من الشمس في المواكب؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٢/ ١٤١).

وأمامه الطبردارية[١] مشاة وبأيديهم الأطبار[٢] مرفوعة إلى الأعلى[٣].

ويصف العمري عادة السلطان أنه يركب من باب قصره بقلعة الجبل، وينزل إلى منفذة من الإصطبل إلى ميدان العيد الملاصق له، فيصلي ويسمع الخطبة، ثم يركب ويعود إلى الإيوان الكبير[٤]، ويُمد به السماط ويخلع على حامل الجتر، والسلاح، وأستاذدار، والجاشنكير[٥]، وكثير من الأرباب الذين لهم خدمة في العيد، كنواب أستاذدار، ونقيب النقباء[٦]، وناظر البيوت[٧]، وصغار الجاشنكير[٨].

٨. عادته بالعطايا والاحسان:

ولهذا السلطان[٩] عادة أن يبقي بابه سوقاً ينفق فيه على كل محتاج، ويحضر إليه الناس من كل قطر حتى كاد هذا ينهك المملكة ويودي بوارداتها عن آخرها، وهو بذلك يُتعب من يجيء بعده لكثرة هذا الإحسان، وإذا خرج الولاة ومن لهم في خدمة الصيد فيعطى لهم من ذلك الصيد، واذا خرج أحدٌ لصيد الوحش وصاد الغزلان والنعام فيعطى بما يناسب صيده

([١]) أمير طبر: من يحملون الأطبار حول السلطان في المواكب؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٢٣، ج٥/ ٤٣٤).

([٢]) الطبر: هو بالفارسية الفأس؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٢/ ١٥٠، ج٥/ ٤٣٠، ٤٣٤).

([٣]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٨٩- ٢٩٠).

([٤]) الإيوان الكبير: أو "دار العدل"، وهو مرتفع الأبنية، واسع الفناء، شبابيكه من حديد محكمة؛ وبصدره سرير الملك، وهو منبر من رخام مرتفع، يجلس عليه السلطان في أيام المواكب العظام لقدوم رسل الملوك وغيرهم؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٣/ ٤٢٥).

([٥]) الجاشنكير: هو الذي يتذوق الأكل والشراب قبل السلطان أو الأمير؛ خوفاً من أن يدسّ فيه سمّ ونحوه، وهو مركّب من لفظين فارسيين: أحدهما "جاشنا" ومعناه الذّوق، والثاني "كير" وهو بمعنى المتعاطي، فيكون المعنى "الذي يذوق"؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٥/ ٤٣٢).

([٦]) نقابة النّقباء: وهما نقيبان؛ نقيب للميمنة ونقيب للميسرة؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٩٤).

([٧]) نظر البيوت والحاشية: وهو نظر جليل، وكلّ ما يتحدّث فيه الأستادار له فيه مشاركة في التحدّث فيه؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٣١- ٣٢).

([٨]) العمري، مسالك الأبصار (٣/ ٣٢٠- ٣٢١).

([٩]) محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي، حيث كان يعرف بالألفي لأن الملك الصالح اشتراه بألف دينار ذهباً؛ ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٤/ ١٦٢).

من العطايا، وكذلك البازدارية[1] وحملة الجوارح ومن يساعدهم ينعم عليهم عند كل صيد إنعامات، ولغلمانه عوائد سنوية زمن الصيد جارية تعطى لهم بسخاء؛ لجميع غلمانه من الطاشتخاناه[2]؛والشرابخانات[3]، والفراشخانات[4] لا تنقطع[5].

ولكل من يتصل بخدمة هذا السلطان، ومن يرد عليه أو يهاجر من مملكة أخرى، يعطى أنواع من العطايا والأرزاق والأنعام أكثر مما يعطى الناس الذين يعيشون في ظل مملكته، وكذلك يعطى التجار الذين يبيعون في مملكته رواتب دائمة من الخبز، واللحم، والتوابل، والحلوى، نظير كل ما يبتاع عليه من المماليك الرقيق والجواري، وإذا باعوا عليه رأساً واحداً من الرقيق، يعطى مالاً غير ثمنه أضعافاً، وينعم على بعضهم من مال السلطان على سبيل القرض ليتاجر به[6].

وله من الصدقات الجارية والرواتب التي على شكل أرض من بلاد، أو مبلغ وغلة وخبز ولحم وزيت وكسوة، والزيت والكسوة قليل ونادر لمن يحصل عليها، فأما الأرض والمبلغ والغلة والخبز فكثيرة جداً ومتسع أمره، وفي الغالب يتوارثه الأبناء عن الآباء، والأخ عن الأخ، وابن العم عن ابن العم، فعندما يوقف مرتبه يحضر قريب ذلك المتوفي ويعرض شكواه للحصول على ما كان يصرف لقريبه، فإن ثبتت أولويته لذلك تعطى له[7].

([1]) البازدارية: الذين يحملون الطيور الجارحة التي تستخدم للصيد؛ ينظر: ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج١٠/ ١١)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٨/ ٧٤).

([2]) الطاشتخاناه: هي لفظ فارسي طشت خانه، والطشت إناء مصنوع من معدن، وتغسل فيه الأيدي والملابس؛ ينظر: العمري، مسالك الابصار (ج٣/ ٤٧٢)؛ القلقشندي، المصدر السابق (ج٤/ ٩).

([3])الشراب خاناه: أو الدواخاناه، هم من يحملون الدواء والعقاقير، وهو بيت يشتمل على أنواع المشروب من المياه على اختلافها، والفواكه؛ وأمر هذا البيت الخاصّ؛ مسئول عنه أمير مجلس، والعامّ؛ بأستاذ الدار؛ ينظر: النويري، نهاية الأرب (ج٨/ ٢٢٤)؛ المقريزي، الخطط (ج٣/ ٣٥٠)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٩).

([4]) الفراشخانات: لفظ فارسي بمعنى؛ بيوت الفراش، وتشتمل على الفرش من البسط والخيام؛ ولها مهتار يعرف بمهتار الفراش خاناه؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٤٧٢)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٠).

([5]) العمري، مسالك الابصار (ج٣/ ٣٢١).

([6]) المصدر السابق (ص ٣٢٢).

([7]) المصدر السابق (ص ٣٠٢).

٩. زي السلطان في المراسيم:

عادة السلطان محمد بن قلاوون عند دخول مدينة يحبها، أو يوم العيد، وأيام ركوبه إلى ميدان لعب الكرة؛ يلبس رقبة مزركشة بالذهب على أطلس أصفر، ويعمل على رقبة الفرس من تحت أذنيه إلى نهاية العرف، ويكون أمامه اثنان من أوشاقيته[١] راكبين على حصانيين أشهبين برقبتين نظير ما هو راكب كأنهما معدان لأن يركبهما، وعلى الوشاقين قباوان أصفران من حرير بطرازين من زركش من ذهب، وعلى رأسيهما قبعان مزركشان، وغاشية السرج محمولة أمامه، وهي أديم مزركشة بذهب يحملها بعض الركاب دارية[٢] أمامه وهو يمشي وسط الموكب، ويكون أمامه فارس يعزف بشبابة لمهابة سامعه، ومن خلفه الجنائب[٣]، وعلى رأسه العصائب السلطانية الصفراء المطرزة بالذهب لقبه واسمه[٤].

١٠. عادة السلطان في العلامة السلطانية:

من عادة السلطان محمد بن قلاوون؛ أن يكتب بخطه على كل ما يأمر به، أما الوثائق المكتوبة للأمراء والجند، وكل من له طائع؛ فإنه يكتب عليه علامته، وكانت تكتب كالتالي[٥]:

السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبي المعالي محمد ابن الملك المنصور قلاوون خلد الله دولته؛ الله أملي

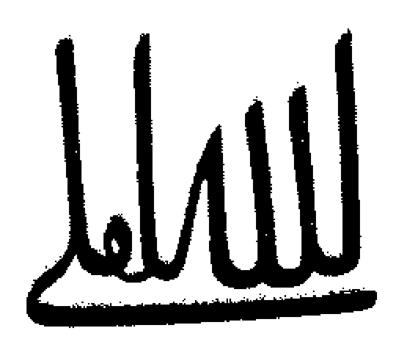
([١]) الأوشاقية: أو "الجاوقية" والأوجاقي؛ الذي يتولى ركوب الخيول لتسير المواكب السلطانية والرياضة؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٥/ ٤٢٧).

([٢]) الركاب دارية: ومعناها بيت الركاب، بها الخيل المسروجة، واللجم، والكنابيش، وعبي المراكيب، والعبي الإصطبلات، والأجلال، والمخالي؛ وفيها من السّروج المغشّاة بالذهب والفضة المطلية والساذجة والكنابيش المتخذة من الذهب المزركش، والعبي المتّخذة من الحرير والصوف، ولها متسلم يسمى بمهتار الركاب خاناه؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٢).

([٣]) الجنائب: هي الخيل المنقادة يجرّها أناس مشاة وهي مسرجة ملجمة وعلى السروج براقع حرير منسوج بالذهب، مخروزة بالذهب خرزاً شبيها بالزّركش، وركابها ذهب مسبوك زنة ركابي السرج ألف مثقال ذهباً؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ٢١٧)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٥/ ٢٠١).

([٤]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٨٩)؛ القلقشندي، المصدر السابق (ج٤/ ٤٨)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٣/ ٣٥١).

([٥]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٩٩).



وأما تقليد النواب[1]، وتواقيع[2] أرباب المناصب؛ من القضاة، والوزراء، والكتاب، وبقية أرباب الوظائف، وتواقيع الرواتب والإطلاقات[3]؛ فإنه يكتب عليها اسمه واسم أبيه، كالآتي[4]:

"محمد بن قلاوون"

وأما كتب البريد، وخلاص الحقوق والتظلمات؛ فإنه يكتب عليها اسمه، وربما كرم من يكتب إليه من ذوي السيوف؛ فيكتب له:

"والده محمد بن قلاوون"

وأما من يريد تكريمه من ذوي العمائم المدورة؛ القضاة والوزراء، كتب له أخاه:

"أخاه محمد بن قلاوون"

فأما الإقطاعات فالرسم فيها يكتب:

---

(1) تقليد: يقال: قلّدته أمر كذا إذا ولّيته إيّاه، وهو مأخوذ من القلادة في العنق، إن كان المكتوب له التقليد هو النائب الكافل، كتب في طرّة تقليده: "تقليد شريف" بأن يفوّض إلى المقرّ؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج١١/ ١٠١).

(2) التواقيع: مفرد توقيع؛ ومعناه في اللغة التأثير الخفيف، على أنموذج التفاويض، وعنوانها "توقيع شريف لفلان"؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج١١/ ١١٤).

(3) الإطلاقات: إمّا تقريراً لما قرّره غيره من الملوك السابقة، وإمّا ابتداءً لتقرير ما لم يكن مقرّراً قبل، وإما زيادة على ما هو مقرّر؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج١٣/ ٤٣).

(4) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٩٩).

"خرج الأمر الشريف"

وأما الوظائف والرواتب والإطلاقات فالرسم يكتب:

"رسم بالأمر الشريف"

وفي المكاتبات السلطانية عادةً ما يكون مفتتح بخطبة أولها بـ"الحمد لله"، ثم ما تفتتح خطبة أولها "أما بعد حمداً لله"؛ حتى تأتي بعدها: "خرج الأمر في المناشير"، أو "رسم بالأمر في التوقيع"، ثم بعد ذلك أُنزل الرتب وهو أن يفتتح المناشير "خرج الأمر"، وفي التوقيع "رسم بالأمر"[(1)]؛ وتمتاز تلك المناشير المفتتح في خطبها بـ"الحمد لله" بألقاب السلطان "كالسلطان الملك الناصر وناصر الدنيا والدين، محمد ابن السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون، وتحتها "خلد الله سلطانه"[(2)].

١١. عادة السلطان في الإقطاع[(3)]:

من عادة السلطان محمد بن قلاوون في الإقطاعات للجند، أن يتولى توزيعه السلطان بنفسه، فإذا جاءه من يطلب الإقطاع؛ وأمر كاتب الجيش بالكتابة له؛ فيكتب ورقة مختصرة تسمى "المثال"[(4)] ومضمونها: "حر فلان كذا، ثم يكتب فوقه رسم المستقر له، ويناولها السلطان ويكتب عليها بخطه، ويكتب ويعطيها الحاجب لمن رسم له، فيقبل الأرض، ثم يعاد لديوان الجيش فيحفظ شاهداً عندهم، ثم تكتب "مربعة" مكملة بخطوط جميع مباشري

---

(1) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٩٩- ٣٠٠).

(2) القلقشندي، صبح الأعشى (ج١٣/ ١٦٦- ١٦٩).

(3) الإقطاع: نوعان؛ إقطاع استغلال، وإقطاع تمليك؛ فالتمليك ينقسم إلى موات وعامر، والعامر ضربان: ما يتعين مالكه، ولا نظر للسلطان فيه، إلا بتلك الأرض في حق لبيت المال إذا كانت في دار الإسلام، فإن كانت في دار الحرب حيث لم يثبت للمسلمين عليها يد، فأراد الإمام أن يقطعها ليملكها المقطع عند الظفر بها، فإنه يجوز فقد سأل تميم الداري، رسول الله ﷺ أن يعطيه عيون البلد الذي كان منه قبل أن يفتح الشام ففعل؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج١٣/ ١٢٠- ١٢١)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج١/ ١٨٣).

(4) المثال: أول ما يكتب لمنح الإقطاع، ويكتب ناظر الجيش في نصف قائمة شاميّ، بعد ترك الثلثين من أعلاها بياضاً؛ للتفاصيل أكثر عن الإقطاع؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج١٣/ ١٥٩- ١٦١).

ديوان الإقطاع، وهم كُتاب ديوان الجيش وعلائمهم، ثم يؤخذ عليها خط السلطان، ثم تحمل إلى ديوان الإنشاء والمكاتبات فتكتب المناشير، ثم يضع السلطان عليها علامة، ثم يكمل ذلك المنشور بخطوط ديوان الإقطاع بعد المصادقة على صحة أصله، وذلك في مصر[١]، وكان الملك الناصر أيضاً يخيّر الشيخ المسنّ بين الإقطاع والراتب، فيعطيه ما يختاره، ولم يقطع في هذا العرض إلا العاجز عن الحركة، فيرتّب له ما يقوم به عوضاً عن إقطاعه[٢].

أما في بلاد الشام؛ فليس للنواب مدخل في تأمير أمير عوض أمير مات، بل إذا مات أمير – سواءً كان كبيراً أو صغيراً – طولع السلطان بموته، فأمر من أراد عوضه، إما ممن كان في حضرته ويخرجه إلى مكان الخدمة، أو ممن هو في مكان الخدمة، أو نقل إليه من بلد أخر، أما من جند الحلقة إذا مات أحد منهم استخدم النائب عوضه، وكتب على نحو من ترتيب السلطان "المثال" ثم "المربعة"، وتجهز "المربعة" مع البريد إلى حضرة السلطان فيقابل عليها في ديوان الإقطاع، ثم يُكتب عليها من ديوان الإنشاء كما في الجند الذين بالحضرة[٣].

فأما من مات من الأمراء والجند؛ قبل استكمال مدة الخدمة يتم محاسبة ورثته على الاستحقاق، إما يأخذ منهم أو يترك لهم؛ على قدر حصول العناية بهم، وإقطاعات الأمراء والجند منها ما هو بلاد يستغلها كيف شاء، ومنها ما هو مقابل نقدي على جهات يتناولها[٤].

ثانياً: عادات طبقات المجتمع:

١. القضاة والعلماء:

يركبون البغلات بسروج غير مفضضة، والسروج عرقشينات[٥]، وهي شبيه بثوب السرج مصنوع من قماش الجوخ، وقد يكون من الأديم[٦]، ويشق ويعمل بين السرج وظهر الدابة

([١]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٠٠- ٣٠١).

([٢]) المقريزي، السلوك (ج٢/ ٥٠٨- ٥٠٩)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٩/ ٥٢).

([٣]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٠١).

([٤]) المصدر السابق (ص ٣٠١- ٣٠٢).

([٥]) عرقشينات: نوع من اللباس تحت السرج لامتصاص العرق؛ ينظر: العمري، المصدر السابق (ج٣/ ٤٤٩).

([٦]) الأديم: نوع من القماش المشبه بالطائفي؛ ينظر: ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٤/ ٤٥).

وهذا للعلماء، أما القضاة يعملون بدلاً من ذلك الكنبوش الزناري[1]، وهو من الجوخ شبيه بالعباءة المحجومة الصدر مستدير من وراء الكفل، لا يعلوه ذنب ولا قوش، ولجام بغالهم كبار ثقال الوزن[2]، ويأخذ القضاة أرزاقهم من السلطان وتقدر بنحو خمسون ديناراً في كل شهر، ولهم مدراس ينتفعون من أوقافها، حيث كان في دمشق بالإضافة إلى مال مسجدها الجامع وقف لمصلحة القضاة والمسلمين، أما العلماء فليس لهم رواتب باستثناء ايرادات مدارسهم، وقليل منهم من يأخذ راتب[3].

ويصف ابن فضل الله العمري زي القضاة والعلماء بأنهم يلبسون الدلق[4] وهو متسع بغير تفريج، يوجد على كتفه فتحة وشاش كبير من ذؤابة بين الكتفين طويلة، ويلبس بعضهم الفرجية[5] التي أكمامها طويلة بغير تفريج ولا ذؤابة، أما زهادهم فيقصرون الذؤابة ويميلها إلى الكتف الأيسر على المسنون[6]، ولا يلبسون الحرير، وبعضهم يلبس الطيلسان[7]، فأما قاضي القضاة الشافعية فيمتاز بوضع الطرحة[8] غيراً عن القضاة[9].

---

(1) الكنبوش: هو ما يستر به مؤخر الفرس وكفله؛ ويكون من الذهب المزركش، أو من الفضة الملبّسة بالذهب، أو من الصوف؛ وبه يركب القضاة وأهل العلم؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٢/ ١٤٤).

(2) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٠٣- ٣٠٤).

(3) المصدر السابق (ص ٣٠٢).

(4) الدلق: ملابس خاصة بالعلماء متسع الأكمام طويلة، مفتوحاً فوق كتفيه بغير تفريج، سابلاً على قدميه؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٤٤).

(5) الفرجية: ثوب متسع يلبس فوق الدلق، ويصنع من الصوف أو الجوخ؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ٣٠٣).

(6) المسنون: هو سنة رسول الله ﷺ؛ عن ابن عمر قال: "كان النبي ﷺ إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه" وقال نافع: وكان ابن عمر يسدل عمامته بين كتفيه، قال عبيد الله: ورأيت القاسم، وسالماً يفعلان ذلك؛ [الترمذي: سنن الترمذي ٢٧٧/٣: رقم الحديث ١٧٣٦].

(7) الطيلسان: يشبه الطرحة، من قماش مقور يلبس فوق الصدر والظهر ويلبس فوق العمامة كالطرحة، وكان الطيلسان المقور زي القضاة في عصر الخليفة الفاطمي المستنصر؛ فقد خلعه على أمير الجيوش بدر الجمالي بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق، وزيد له الحنك، مع الذؤابة المرخاة؛ ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٢/ ٣٤٧)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج١/ ٤٨٧).

(8) يتميز قضاة القضاة الشافعيّ والحنفيّ بلبس طرحة تستر عمامته وتنسدل على ظهره، وكان قبل ذلك مختصّاً بالشافعيّ؛ ينظر: المقريزي، السلوك (ج٥/ ٦٧)؛ السيوطي، حسن المحاضرة (ج٢/ ٣٠٤).

(9) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٠٣- ٣٠٤).

أما هيئة الخطباء فلباسهم أسود كشعار العباسيين، وينصب على المنبر علمان أسودان مكتوبان بأبيض أو بذهب، ويخرج المؤذن أمام الخطيب وفي يده سيف، ولباسه يشبه لباس الخطيب ماعدا وجود الطرحة، فإذا صعد الخطيب على المنبر أخذ المؤذن السيف منه، وهذا الزي يصرف من خزانة في المساجد تلبس في صلاة الجمعة، واذا تلفت تلك الخلعة أعيدت إلى الخزانة وصرف بدلاً منها[١].

٢. الوزراء والكتاب:

يركب الوزراء والكتاب ما هو أشبه بالجند، ولباسهم في بلاد الشام أجمل مما هو عليه أهل مصر، ويكون زيهم من الفرجيات المفرجة من الصوف، ومن المحبرات[٢] التي تصنع بالإسكندرية، والنصافي[٣] البياض، ويعمل أكابرهم الباذهنجات[٤] في الأكمام ويلبس البغلطاق[٥] من تحت فراجيهم، ويلبسون غالباً الجباب المفرجة من ورائها[٦].

وخلعهم عبارة عن كنجي[٧] أبيض مطرز برقم حرير ساذج وسنجاب وقندس، ويبطن القندس بالسنجاب وتُملأ به الأكمام، وتحته كنجي أخضر وبقيار[٨] كتان من دمياط مرقوم وطرحة، أما عندما تكون الرتبة أقل درجة لا يبطن القندس بالسنجاب ولا يوضع على الأكمام، الرتبة التي دونها تترك الطرحة، ودونها من الرتبة يكون التحتاني مجوماً، ودون

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٢٠).

(٢) المحبرات: مفردها الحبير من البرود، ما كان موشياً مخططاً، ثوب من القطن أو الكتان مصبوغ قرمز، ويقال برد حبير، وبرد حبرة، وهو بُرد يمان، والجمع حبر وحبرات، كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ أن يلبسها "الحبرة"؛ ينظر: ابن الأثير، معجم النهاية (ج١/ ٣٢٨)؛ ببطال، معجم النظم المستعذب (ج١/ ١١٦)؛ الكجراتي، معجم مجمع بحار الأنوار (ج١/ ٤٣٤).

(٣) النصافي: نوع من القماش المصقول يلبس في الصيف؛ ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٣/ ٣٧٨)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٤٢).

(٤) الباذهنجات: فتحات للتهوية؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار (ج٤/ ٣٠٤).

(٥) البغلطاق: من الملابس الفوقانية ذات الأكمام الضيقة، واستجد الأمير سلار في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون؛ القباء الذي عرف بعد ذلك بالسلاري؛ ينظر: المقريزي، صبح الأعشى (ج٣/ ١٧٩).

(٦) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٠٤).

(٧) الكنجي: قماش مصنوع من القطن والحرير؛ ينظر: المقريزي، السلوك (ج٣/ ٣٠٥).

(٨) البقيار: لباس للرأس خاص بالقضاة والعلماء؛ ينظر: المقريزي، السلوك (ج٤/ ٢٠١).

ذلك من الرتبة يكون الفوقاني من نوع الكنجي لكنه غير أبيض، ثم تحته عتابي طرح[1].

أما صاحب حماة[2] فخلعته من أرفع هذه الخلع، حيث يوضع بدل الشاش اللانس مع شاش، الذي يُصنع بالإسكندرية من الحرير ويموج بالذهب ويعرف بالمتمر، ويعطى بعض الفرسان مثلهم، ويكون كنبوشه[3] زناري أطلس أحمر، وما يزيد عليه نائب الشام أنه يكون مزركش بالذهب دائرة بالقباء الفوقاني[4].

٣. الأمراء والعساكر:

من عادة الأمراء في ركوب الدواب؛ أن يركب وخلفهم جند، أما كبير الأمراء يركب بجنبين من الجند، ويكون لكل منهم مماليكه الذين معه، وأمامهم خزانة محمولة للطبلخان[5]، على جمل واحد يجره راكب آخر على جمل، ويوضع المال على جملين وربما أكثر، وأمام الخزانة عدة جنائب يجرها مماليك راكبين خيول وهجن[6]، ومجموعة من العرب على هجن، وأمامها الهجن قطاراً واحداً، ويكون عدد الجنائب في كثرتها وقلتها حسب رأي الأمير[7].

أما العساكر فعادتهم الركوب يومي الاثنين والخميس في موكب السلطان، وهو مكان فسيح في كل المدن يوجد به العساكر مع نائب السلطان أو الحاجب، وإن لم يكن موجود نائب ينادون على الخيل بينهم، وعلى آلات الجند والخيم والخركاوات والأسلحة، وإن كان ذلك بمصر يطلعون إلى الخدمة السلطانية بالقلعة، ويؤذن لهم بالانصراف بعد أكل السماط،

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣١٩- ٣٢٠).

(٢) حَماةُ: مدينة كبيرة محاطة بسور، بها أسواق، وجامع مشرف على نهر العاصي، عليه نواعير للماء تسقي بساتينها، وبطرف المدينة قلعة حصينة حفر خندقها للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب؛ ينظر: التطيلي، الرحلة (ج١/ ٢٣٠)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٢٠٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٠٠)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/٤٢٤)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٦٧).

(٣) الكنبوش: هو ما يستر به مؤخر الفرس وكفله؛ ويكون من الذهب المزركش، أو من الفضة الملبّسة بالذهب، أو من الصوف؛ وبه يركب القضاة وأهل العلم؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٢/ ١٤٤).

(٤) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣١٨)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٥٤)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٣/ ٣٩٦).

(٥) الطّبلخاناه: هي قرع الطبول، والدّبادب، والبوقات، والزمر المعروف بالصهان الذي يُضرب به كل ليلة بباب الملك وخلفه في المواكب؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٢/ ١٤٢).

(٦) الهجن: هي الخيل المهجنة من أب عربي، وأم عجمية؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٢/ ٢٢).

(٧) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٩٠).

وإن كانوا بغير مصر ذهبوا إلى خدمة النائب في مكان سكنه "دار السلطنة"، ويجلس النائب وتُقرأ عليه القصص لإنصاف المظلومين، ثم يمد السماط لعامة الأمراء والجند ليأكلوا ثم ينصرفوا، ويركب عساكر الشام ونوابهم، ويضاف إلى ذلك اليومين يوم السبت، تقرأ القصص في الأيام الثلاثة(١).

وأما لباس أكابر المئين منهم الأطلس الأحمر الرومي، وتحته الأطلس الأصفر الرومي، وعلى الفوقاني طرز مزركش بالذهب، وتحته سنجاب وله سجف من ظاهره مع القباء قندس(٢) وكلوته زركش مذهب، وكلاليب(٣) ذهب وشاش لانس رفيع بين طرفيه حرير أبيض مختوم بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون، وتختلف أحوال كل منطقة بحسب قَدْرِهم: حيث أعلاها يعمل بين عمدها بواكر وسطى ومجنبتين مرصعة بالبلخش(٤) والزمرد واللؤلؤ، ثم ببيكارية(٥) واحدة مرصعة، وأخرى من غير ترصيع، أما من تقلد ولاية كبيرة يزداد سيفاً محلى بالذهب، وفرساً مسرجاً ملجماً بكنبوش مذهب(٦).

ودون هذه المرتبة يلبسون خلع تسمى الطرد وحش(٧) حيث يصنع بدار الطرز بالإسكندرية ودمشق، وهو من الجوخ كتب عليه ألقاب السلطان، وجاخات طرد وحش أو طير، وجاخات ألوان ممتزج بأقصاب مذهبة وتفصل بين هذه الجاخات نقوش وطراز، وبعضهم يضع طرازاً مزركشاً بالذهب وعلى فرو السنجاب والقندس، وتحته قباء من المفرج الإسكندراني الطرح، وكلدته زركش وكلاليب وشاش، وحياصة ذهب تكون ببيكارية وغير

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٩٨).

(٢) قندس: حيوان قارض من الفصيلة القندسية كثيف الْفراء له ذيل قوي مفلطح، وغشاء بين أَصابِع رجليه يساعده على السباحة؛ ينظر: المعجم الوسيط (ج٢/ ٧٦٢).

(٣) الكُلاب: هو مشبك يستخدم في الكلوتة ليزيدها جمالاً؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣١٨).

(٤) البلخش: هو البدخش نوع من الزمرد؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٤٦٧).

(٥) البيكارية: رقيقتان مستطيلتان من المعدن عليهما نصوص منقوش عليها اسم الأمير الذي صنعت لأجله؛ العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٤٦٧).

(٦) العمري، مسالك الأبصار(ج٣/ ٣١٧- ٣١٨)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٥٤)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٣/ ٣٩٥).

(٧) جاخات طرد وحش: ملابس خاصة بالصيد ومطاردة الوحوش؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٤٦٨).

ببيكارية تارة أخرى، وهذه لصغار أمراء المئين ومن يلحق بهم[١].

ودون ذلك من الرتبة يلبسون كسابقيهم ولكن الكمخا عليها نقشٌ من لونٍ آخر غير لونه، وتحته سنجاب مقندس، وتكون الكلوتة[٢] خفيفة الذهب وجانباها يكونان خاليين بالجملة، ولا يوجد حياصة له، أما الأدنى من هذه الرتبة يضاف عن سابقيهم مُجوم لون، دون الكلوتة والكلاليب، ودون ذلك الرتبة يضاف مُجوم وقندس وتحته قباء بجاخات من أحمر وأخضر وأزرق، أو غيره من الألوان، وسنجاب وقندس وتحته قباء ملون إما أزرق أو أخضر، وشاش أبيض بالأطراف[٣].

٤. عامة الناس والتجار:

يصف ابن فضل الله العمري ملابسهم بأنها؛ تختلف أحوال عامة الناس والتجار في ملابسهم وأزيائهم، حتى أن الفقراء وإنْ جَمَعُهم زيَّ الفقر ولباس التصوف، فإنهم تتباين حالاتهم في الملابس وأطوارهم بالتشكيلات، ويضاهي أهل الشام ومصر بعضهم البعض في الملابس الفاخرة، والسروج المحلاة، والعدد الفاخرة، حيث يمتاز زيهم بالأقبية التترية[٤] والتكلاوت[٥] فوقها، والقباء الإسلامي فوقها، وتشد عليه المنطقة والسيف، ويعتبر لبسهم ظريف ونفيس، وملبوسهم مُنَّوع من الكمخا[٦] والخطاني والكنجي[٧]، والمخمل والإسكندراني

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣١٩).

(٢) كلوتة: هي غطاء للرأس، تلبس بالعمامة أو بدونها، مصنوعة من الصوف والقطن، استحدثها سلاطين الأيوبيين بمصر؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٣٩).

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٣١٩)،

(٤) الأقبية: لفظ فارسي؛ وهو ثوب واسع مضموم وَسطه، ينظر: الفارابي، معجم الصحاح (ج٦/ ٢٤٥٨)؛ العسكري، معجم التلخيص (ج١/ ١٤٥)؛ الميورقي، معجم الغريب (ج١/ ٢٧٦)؛ الرازي، مختار الصحاح (ج١/ ٢٤٧)؛ الجياني، إكمال الإعلام (ج٢/ ٤٩٣)؛ الفيروز أبادي، القاموس المحيط (ج١/ ١٣٢٣).

(٥) التكلاوات: كلمة فارسية مُعرَّبة، معناها: قلنسوة، غطاء، واقٍ وقد أُطلقت في العصر المملوكي على نوع من اللباس يرتدى في الهند وفى مصر من قبل الأمراء؛ ينظر: المعجم العربي لأسماء الملابس، (ج١/ ٩٤- ٩٥).

(٦) الكمخا: الثياب الحريرية المنقوشة المزركشة؛ وقد كانت مدينتا نيسابور والخنسا مشهورتين بصناعة الكمخا؛ وتحمل منها إلى الهند؛ "ومدينة الخنسا مدينة عظيمة كبيرة تصنع بها ثياب الكمخا والأطلس"؛ ينظر: ابن بطوطة، الرحلة (ج٢/ ١٩١)، (ج٤/ ٧، ١٣٤)؛ المعجم العربي لأسماء الملابس، (ج١/ ٤٣٦).

(٧) كنجي: قماش مصنوع من القطن والحرير؛ ينظر: المقريزي، السلوك (ج٣/ ٣٠٥).

والأصواف[1].

ومن الحقائق التي نود أن نؤكد عليها؛ أن المماليك في فترة حكمهم لمصر والشام بقوا أغراب عن البلاد وأهلها؛ لأنه تم جلبهم رقيق من مختلف الأقطار لخدمة سادتهم بني أيوب، وعندما صعدوا للسلطة والحكم، بقيت تلك الحقيقة ماثلة في العلاقة بين حكام المماليك وفئات الشعب في مصر والشام، مما جعلها تنعكس كثيراً على تلك العلاقة، حيث تودد بعض حكام المماليك لكل فئات وعناصر المجتمع، لتقوية حكمهم والتصدي للفتن والاضطرابات والقلاقل نتيجة الصراع السياسي بين المماليك أنفسهم على السلطة.

(1) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٩٠- ٣٠٤)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٤١)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٣/ ٣٧٨).

الفصل الثالث

المدن والتقسيمات الإدارية في مصر والشام كما يُصورها كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

المبحث الأول: المدن وأعمالها وجهاتها.

تمهيد:

يمتاز العصر المملوكي في مصر والشام بالتقدم الإداري، فقد كان الفكر الإداري في العصر المملوكي؛ يهدف أساساً إلى إحكام السيطرة على الأقاليم عامةً، والمدن المصرية والشامية خاصةً، فكانت الإدارة المملوكية تتمثل في مجموعة من الإجراءات والوظائف التي تضمن لها السيطرة على ممالكها، وتحقق أهداف الدولة ونظمها، وبالرغم من أن المماليك أصلهم عبيد جُلبوا من بلاد الترك، فكانت اللغة من العقبات التي كانت تواجههم، وكثرة الفتن والثورات التي كانت في صفوف المماليك أنفسهم بالتناحر على السلطة؛ إلا أنهم كانوا لا يولون المناصب العسكرية والإدارية؛ إلا من يثقون في ولائه لهم، فوضع أهل الثقة وتوارى أهل الخبرة.

رغم بعض الانحرافات والأخطاء التي استشرت في أنظمة الدولة الإدارية؛ إلا أن الإدارة في الدولة المملوكية بهياكلها المختلفة حققت نجاحات كثيرة في المؤسسات الإدارية، فقد كانت تتألف الدولة المملوكية من عدة أقطار وهي: مصر، والشام، والحجاز، واليمن، وبعض بلاد الجزيرة العربية؛ وما يهمنا في هذا المقام مملكتي مصر والشام وتنظيماتها الإدارية.

أولاً: مدن مصر:

يذكر العمري؛ أن مبانيها أكثرها من الطوب، وأفلاق النخيل والجريد، وخشب الصنوبر المجلوب لها من بلاد الروم في البحر ويسمى عندهم النقي، أما مباني الحجر فقليل، ويذكر ما بها من المدارس، والخوانق، والربط، والزوايا، والترب الضخمة، والعمائر العالية، والأماكن التي لا مثيل لها؛ المفروشة بالرخام المنقوش، والأخشاب المدهونة بالأصباغ الملمعة بالذهب واللازورد، ومنهم حيطانها ما هو موزر بالرخام؛ وتختلف المباني بحسب اختلاف أصحابها(1).

تشمل مصر على ثلاث مدن عظام: الفسطاط، والقاهرة، وقلعة الجبل، وقد اتصل بعض هذه

(1) مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٨١).

المدن الثلاث بسور بناه قراقوش[1]؛ إلا أنه تقطع الآن في بعض الأماكن، وبها المارستان المنصوري[2]، عظيم البناء، وكثير الأوقاف، ويتميز بسعة أنفاقه، وتنوع الأطباء، وأهل الكحل والجراح، ويصفه العمري بالقول:" جليل المقدار جميل الآثار، جزيل الإيثار"؛ أوقفه السلطان المنصور محمد بن قلاوون[3]، وبها البساتين الجميلة، والمناظر الخلابة، والأدوار المطلة على البحر، وعلى الخلجانات الممتدة منه أوقات مدها[4].

وعن آثارها القديمة يصفها العمري؛ بأنها تدل على حكمة بانيها كالأهرامات، وأشهرهما الهرمان الكبيران بالجيزة، وهياكلها يرجع لبعض الكواكب، وبرابي[5] إخميم[6]، وبها الصنم المقارب للهرمين المسمى "بأبي الهول"؛ وهو صنم كبير لا يظهر منه إلا نصفه رأسه وعنقه، ويذكر العمري بأن حكيم دمشقي قال له: "أنه رآها وأجاد تأملها فوجدها مشتملة على جميع

([1]) قراقوش: أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي، الملقب بهاء الدين، كان خادم صلاح الدين، وقيل خادم أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين، فأعتقه، ولما استقل صلاح الدين بمصر جعله زمام القصر إليه، ثم نائباً عنه في مصر، فقام بناء السور المحيط بالقاهرة، وقلعة الجبل، والقناطر بالجيزة، ثم ولاه صلاح الدين مدينة عكا بعد أخذها من الصليبيين، وتوفي سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) بالقاهرة؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٤/ ٩١- ٩٢)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٢/ ١١١٨)، سير أعلام النبلاء (ج٢١/ ٣١١)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٤/ ١٠٠- ١٠١)، الوافي بالوفيات (ج٢٤/ ١٦٦).

([2]) المارستان المنصوري الكبير: كان قاعة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معدّ، ثم عرف بدار الأمير فخر الدين جهاركس بعد زوال الدولة العبيدية، وبدار موسك، ثم عرف بالملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وصار يقال لها الدار القطبية، ولم تزل بيد ذريته إلى أن أخذها الملك المنصور قلاوون من ابنته مؤنسة خاتون؛ ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٤/ ٢٦٨).

([3]) محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي، حيث كان يعرف بالألفي لأن الملك الصالح اشتراه بألف دينار ذهباً، وكان له من حسن السيرة؛ ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٤/ ١٦٢).

([4]) مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٨٣).

([5]) البرابي: أبنية عجيبة فيها تماثيل وصور، ونسب إليه من القدماء؛ ذو النون المصري الإخميمي الزاهد، وأبوه يسمى إبراهيم، كان نوبياً، من موالي قريش، ويكنى أبا الفيض، وله أخ يسمى ذا الكفل؛ ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض (ج١/ ١٥٩)؛ المقدسي، أحسن التقاسيم (ج١/ ٢١١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٢٤)؛ ابن الباد، الإفادة والاعتبار (ج١/ ٢٨)؛ القزويني، آثار العباد (ج١/ ١٣٩).

([6]) إِخْمِيم: بلد بصعيد مصر على نهر النيل، وفي الغرب منه جبل صغير؛ ينظر: البكري، المسالك (ج١/ ١٢٥)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٢٥- ١٢٦)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٣٣- ٣٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٢٣- ١٢٤)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٢٧).

أشكال الفلك، وأن الذي ظهر له أنه لم يعملها حكيم واحد، ولا ملك واحد؛ بل تولى عملها قوم بعد قوم حت تكاملت في دور متكامل، وهو ستٌ وثلاثون سنة؛ لأن مثل هذه الأعمال لا تعمل إلا بالأرصاد، وما يكتمل رصد المجموع في أقل من هذه المدة"(١).

فأما بقية ما يذكر من البرابي والملاعب بالأشمونين(٢)، البيت الأخضر بمضرب يوسف عليه السلام، وقد غيَّر الدهر معالمها، وطمس آثار غالبها، وأنصِنَا(٣)، وقِفْط(٤)، ومنارة الإسكندرية، وعين شمس(٥)، وشرع الخراب بالهرمين الكبيرين والبرابي بإخميم؛ لأخذ حجارتها(٦).

وعن كُوَرُ الديار المصرية وأعمالها، فيذكرها العمري بأنها وجهان: وجه قبلي، ووجه بحري؛ جملتها خمس عشرة ولاية:

١. **الوجه القبلي:** "وهو أكبرهما وهو تسعة أعمال" وهي(٧):

أ- عمل "قوص"(٨): شرق النيل، وتعتبر أسوان(٩) نهاية المملكة من الجنوب، وعرب

---

(١) مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٨٣- ٢٨٤).

(٢) أُشْمُون: مدينة أثرية، وهي قصبة من كور صعيد مصر غرب نهر النيل ذات بساتين ونخل كثير، سميت باسم عامرها وهو أشمن بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢٠٠).

(٣) أَنْصِنَا: مدينة أثرية بصعيد مصر شرق النيل؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج١/ ١٩٩)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٨٥)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٢٤- ١٢٥)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢٦٥).

(٤) قِفْطٌ: مدينة أثرية، قريبة من مدينة قوص، وسميت بذلك نسبةً لقفط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح، وأخو قفط لما حاز مصر بن بيصر على مصر، وكثر ولده أقطع ابنه قفط من الصعيد إلى أسوان فبنى مدينة قفط؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٢٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٣٨٣).

(٥) عَينُ شَمس: مدينة فرعون مصر زمن موسى عليه السلام، قريبة من الفسطاط، وبين بلبيس من ناحية الشام قرب المطرية؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٢٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١٧٨- ١٧٩).

(٦) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٢٨٣).

(٧) المصدر السابق (ص ٣٤٤).

(٨) قُوصُ: مدينة كبيرة بصعيد مصر، شديدة الحرّ، تقع شرق النيل؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٦١٨)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٨٥- ٨٦)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٢٨)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٣٦- ٣٧)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٤١٣)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٢٨).

(٩) أُسْوَانُ: مدينة كبيرة بصعيد مصر وأول بلاد النوبة شرق النيل؛ ينظر: المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٨٧)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٩- ٤٠)؛ الهروي، الرحلة (ج١/ ٤٥)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٩١).

قمولة[1].

ب- **عمل** "**أخميم**"[2]: وهي شرقي النيل.

ت- **عمل** "**سيوط**"[3].

ث- **عمل** "**منفلوط**"[4].

ج- **عمل** "**الأشمونين**"[5]؛ وبها الطحاوية.

ح- **عمل** "**البهنسا**"[6]؛ ومنه الغرابي[7]، وهو قرى عرى المنهى[8] الممتد إلى الفيوم.

خ- **عمل** "**الفيوم**"[9]؛ وهو منقطع.

د- **عمل** "**أطفيح**"[10]، وهو شرقي النيل.

ذ- **عمل** "**الجيزة**"[11].

---

(1) قَمُولَةُ: بلدة بصعيد مصر غرب النيل كثيرة النخل والخضرة؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ص١٢٩)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٣٩٨- ٣٩٩).

(2) إِخْمِيم: بلد بصعيد مصر شاطئ النيل؛ ينظر: البكري، المسالك (ج١/ ١٢٥)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٢٥- ١٢٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٢٣- ١٢٤)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٢٧).

(3) سَيُوطُ: كورة من صعيد مصر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٠١).

(4) مَنْفَلُوطُ: بلدة بصعيد مصر على الضفة الغربية لنهر النيل؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢١٤).

(5) أُشْمُون: مدينة أثرية من كور صعيد مصر غرب نهر النيل ذات بساتين ونخل كثير، سميت نسبةً لأشمن بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢٠٠).

(6) البهنَسَا: مدينة بصعيد مصر غرب النيل، مشهورة بنسيج الأقمشة؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٣٠)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥١٦).

(7) الغُرَابيّ: موضع كثيف الرمال بطريق مصر بين قطية والصالحة صعب المسلك؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١٩٠).

(8) المَنْهَى: وهو نهاية النهر الذي حفره يوسف عليه السلام إلى الفيوم منبعه من النيل؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٢٧)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢١٧).

(9) الفَيُّوم: مدينة بمصر؛ أرضها منخفضة، قليلة الماء فحفر يوسف عليه السّلام حفر نهر وساقه إليها؛ ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض (ج١/ ١٤٧- ١٤٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٨٦)؛ ابن الأثير، اللباب (ج٢/ ٤٥٣)؛ السيوطي، لب اللباب (ج١/ ٢٠١).

(10) إِطْفِيحُ: بلد بصعيد مصر شرق النيل، وفيه مقام موسى بن عمران عليه السلام، وموضع قدمه؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان(ج١/ ٢١٨).

(11) الجِيزَةُ: بلدة في غرب الفسطاط بمصر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٢٠٠).

٢. **الوجه البحري:** وهو ستة أعمال وهي[١]:

أ- **عمل** "**البحيرة**"[٢]: وهو متصل البر بالإسكندرية وبرقة[٣].

ب- **عمل** "**الغربية**": جزيرة واحدة تشتمل ما بين البحرين؛ البحر المار ومصبه عند دمياط، المسمى "بالشرقي"، والبحر الثاني ومصبه عند رشيد والمسمى "بالغربي"[٤].

ت- **عمل** "**قيلوب**": شرقي النيل[٥].

ث- **عمل** "**الشرقية**": متصل البر ببر الشام، والقلزم[٦]، والحجاز، وكذلك أشموم[٧]، ويعرف بأشموم طناح[٨].

ج- **عمل** "**الدقهلية**" **و**"**المرتاحية**"[٩]: وفيه موقع ثغر البُرُلُّس[١٠]، وموقع ثغر رشيد[١١]، والمنصورة[١٢]؛ المبنية زمان حصار دمياط[١٣].

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٤٥- ٣٤٦).

(٢) البحيرة: كورة من كور مصر، وبها قرى كثيرة؛ ينظر: ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ١٦٩).

(٣) بَرْقَةُ: مدينة في ليبيا كبيرة، واسم مدينتها انطابلس؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٤٦- ٤٧)؛ الهمداني، الأماكن (ج١/ ١١٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٣٨٨).

(٤) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٤٥).

(٥) المصدر السابق (ص ٣٤٥).

(٦) القلزم: هي مدينة السويس على البحر الأحمر، ومنها تحمل حمولات مصر والشام إلى الحجاز واليمن؛ ينظر: الحموي، معجم البدان (ج٤/ ٣٨٨)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ١٦٦، ج٣/ ١١١٧).

(٧) أُشْمُوم: اسم لبلدة قرب دمياط، وهي مدينة الدّقهلية؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢٠٠).

(٨) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٤٥).

(٩) المُرْتاحية: من كور مصر البحرية؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ١١٦).

(١٠) بَرَلُّسُ: بلد على النيل قرب البحر من جهة الإسكندرية؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٠٢).

(١١) رَشيدُ: مدينة على ساحل البحر المتوسط و نهر النيل، قرب الإسكندريّة، ينظر: المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٨٩)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/٣٤٣- ٣٤٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٤٥).

(١٢) المنصورة: بلدة أنشأها الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب بين دمياط والقاهرة، ورابط بها في وجه الصليبيين عندما احتلوا دمياط سنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢١٢)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٣٢٢).

(١٣) دِمْيَاطُ: مدينة أثرية بين تنّيس ومصر على زاوية بين البحر المتوسط ونهر النيل، بها البرزخ، وهو مجمع البحرين؛ البحر المتوسط وخليج العقبة؛ ينظر: الهروي، الاشارات (ج١/ ٤٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٤٧٢- ٤٧٣)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٩٣)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٥٣٦).

ويذكر العمري المدن المصرية الكبيرة؛ وهي:

١. مدينة القاهرة:

من كبرى المدن المصرية، بناها جوهر[١] لمولاه المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي[٢]، فيذكرها العمري باسم "القاهرة المعزية" وهي مبنية في بقعة نائية عن دورة دورة الجبل، وأرضها رملية تعجل فساد مبانيها، ويبلغ بعضها أربع طبقات، في كل طبقة مساكن كاملة بمنافعها، ومرافقها، وسطح متقطع لها من الأعلى؛ بهندسة مُحكمة، وصناعة عجيبة، وقصورها عالية، ومنازلها واسعة، وبها الأسواق، والمدارس، والخوانق، والربط، والزوايا، وشوارعها فسيحة، مزدحمة بالناس، ويذكر العمري أن شخصاً قال له: أنه ما رأى مدينة اجتمع فيها الناس؛ كمصر والقاهرة وحواضرها[٣].

٢. قلعة الجبل:

بناها قراقوش للسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، ولم يسكنها حتى ملك أخوه الملك العادل أبو بكر فسكنها، وهي مبنية على مرتفع يسمى الجبل الأحمر من أرض جبل المقطم، ترتفع عنه في موضع، وتنخفض في آخر، ويحيط بها سور من الحجر وبأبراج ينتهي إلى القصر الأبلق الناصري[٤]، ثم تتصل في دور الملك؛ وليست على أوضاع أبراج القلاع، ويُدخل إلى القلعة من بابين: الأول؛ الباب الأعظم المواجه

([١]) جوهر: هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله، مولى المعزّ لدين الله أبى تميم معدّ العبيدي، وكان من كبار قوّاده؛ ثم جهّزه المعزّ إلى أخذ مصر بعد موت كافور الإخشيدي؛ وتسلّم مصر سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)؛ ينظر: ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٤/ ٢٨– ٣٣).

([٢]) هو أبو تميم معدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدىّ عبيد الله العبيدي؛ الملقّب بالمعزّ لدين الله الفاطمي، والذي تنسب إليه القاهرة المعزّيّة، ومولده بالمهديّة سنة (٣١٩هـ/ ٩٣١م)، وبويع بالخلافة في المغرب سنة (٣٤١هـ/ ٩٥٢م)، بعد موت أبيه؛ ينظر: ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٤/ ٧٠).

([٣]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٣٤).

([٤]) القصر الأبلق: بناه السلطان محمد بن قلاوون، سنة (٧١٣هـ/ ١٣١٣م)، فوق الإسطبل السلطاني، على غرار قصر الظاهر بيبرس بدمشق،؛ ينظر: ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٩/ ٣٧)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٩٧)؛ المقريزي، السلوك (ج٢/ ٤٨٩– ٤٩٠)؛ المواعظ والاعتبار (ج٣/ ٣٦٦).

للقاهرة، والثاني؛ يُنفذ إلى القرافة[1]، وبينهما ساحة واسعة في جانبيها قبلة بشرقها، وشمالاً بغربها بيوت، وبالقبلي سوق للمآكل[2].

وينتهى من الساحة إلى مجلس للأمراء؛ حتى يؤذن لهم بالدخول، وفي وسطها باب القُلَّة[3]، يدخل منه في ممرات واسعة إلى البيوت والمساكن، وإلى المسجد الجامع[4]، المتسع الأرجاء، ومرتفع البناء، وأرضه مفروشة بالرخام، وأسقفه مبطنة بالذهب، وفي وسطه قبة عالية، يليها المقصورة المغطاة وهي؛ الرواقات بالشبابيك الحديد المُحكمة الصناعة، وحوله رواقات من كل جهاته، ويمشى من ممرات باب القُلَّة في مداخل أبواب إلى فناء واسع في صدرها الإيوان الكبير؛ المعد للجلوس أيام المواكب، وإقامة دار العدل، وبجانبها بيوت جميلة، وعلى جنبه ممر إلى باب القصر الأبلق، تليه رحبة صغيرة يجلس بها خواص الأمراء قبل دخولهم الخدمة الدائمة[5].

ومن باب القصر يمشى في ممرات إلى قصر كبير، بإيوانين: أعظمهما الشمالي؛ يُطل منه على الإصطبلات السلطانية، ويمتد النظر إلى سوق الخيل، ومدينة القاهرة إلى بحر النيل، والجيزة وقُراها، والإيوان الثاني القبلي؛ له باب خاص لخروج السلطان وخواصه إلى الإيوان الكبير أيام الموكب، ويُدخل من هذا القصر إلى ثلاثة قصور داخلية؛ واحد مساوي للقصر الكبير، واثنان مرفوعان يُصعد إليهما بدرج[6].

([1]) القَرَافَةُ: بالفسطاط، وهي مقبرة أهل مصر، وبها أبنية، ومشاهد للصالحين والأكابر مثل ابن طولون والماذرائي؛ ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم (ج١/ ٢٠٩)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٢٢)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٣١٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٠٧٢)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٠٥).

([2]) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٣٠- ٣٣١).

([3]) باب القلة: عرف بذلك لأنه كان هناك قلة بناها الملك الظاهر بيبرس، وهدمها الملك المنصور قلاوون سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، وبنى مكانها قبة، ثم هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون وجدّد باب القلة، وعمل له باباً ثانياً؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٣/ ٤٢٤)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٣/ ٣٧١).

([4]) جامع الخطبة: جامع كبير ملاصق للقصر السلطاني؛ في وسطه قبة يليها مقصورة يصلّي فيها السلطان يوم الجمعة؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٣/ ٤٢٤).

([5]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٣١).

([6]) المصدر السابق (ص ٣٣١).

وفي هذه القصور مجاري للماء[1]؛ مرفوعة من النيل بدواليب تديرها الأبقار من مكان إلى آخر تنتهي بالقلعة، ثم تدخل إلى القصور السلطانية، ومساكن أكابر الأمراء المجاورين للسلطان، فيجري في مساكنهم وحماماتهم؛ وهو من عجائب الأعمال لارتفاع مجاريه، ويُدخل من القصور الداخلية إلى بيوت الحريم، وأبواب الستور السلطانية[2].

وجميع هذه القصور مبنية بالحجر الأسود والأصفر، مزخرفة من داخلها بالرخام، المُذَّهب والمُشَّجر بالصَدَف، والمعجون والمطرقات وأنواع الملونات، والسقوف المبطنة بالذهب واللازورد، ويخترق الضوء في جدرانها بفتحات من الزجاج القبرسي الملون كقطع الجواهر، وجميع الأرض مفروشة بالرخام المنقول إليها من أقطار عدة[3].

وينُزل من جانب إيوان القصر إلى الإصطبلات السلطانية، ثم إلى ميدان مزروع بالنخيل الأخضر، فاصل بين؛ الإصطبلات، وبين سوق الخيل، ويركب السلطان من درج يلي قصره الداخلي، وينزل إلى الإصطبل الخاص راكباً، وخواص الأمراء في خدمته لعرض الخيول أمامه، وإطعام الطير، وفي هذا الميدان أنواع من الحيوانات المتوحشة الجميلة المنظر، وتربط بها الخيول الخاصة للتفسح، ونزوله إليه وطلوعه منه يكون من باب خاص من ممرات في القصر غير هذا المعتاد، ويذكر العمري: أن للسلطان محمد بن قلاوون عدة أبواب سرية تسير به إلى القرافة وغيرها؛ ولا يذكرها نظراً لسريتها وقليل من يعلم تلك الأبواب، ولكنه بحكم قربه من السلطان وكاتب السر له؛ يعلم تلك الأبواب، واكتفى بالقول: "لا حاجة بنا إلى ذكرها"[4].

---

(1) مجاري الماء: أنشأها السلطان محمد بن قلاوون سنة (٧١٣هـ/ ١٣١٣م)، فترفع المياه من النيل بدواليب تديرها الأبقار إلى موضع ثم إلى آخر حتى ينتهي الماء إلى القلعة، ويدخل إلى القصور السلطانية، وإلى مساكن الأمراء الخواص المجاورين للسلطان لحماماتهم، ويدخل إلى مساكن الحريم، وفي سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، أمر بحفر خليج صغير يخرج من البحر ويمرّ إلى حائط الرصد، وينقر في الحجر تحت الرصد عشرة آبار يصبّ فيها الخليج، ويركّب على الآبار السواقي لتنقل الماء إلى القناطر العتيقة التي تحمل الماء إلى القلعة؛ ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٣/ ٣٦٧-٤٠١).

(2) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٣٢).

(3) المصدر السابق (ص ٣٣٢).

(4) المصدر السابق (ص ٣٣٣).

وأما القصور السلطانية من الداخل؛ بها بساتين، وأشجار، وساحات للحيوانات البديعة، والأبقار والأغنام، والطيور، والدواجن، وبداخل القُلَّة المماليك السلطانية، وخواص الأمراء، ونسائهم وحريمهم ومماليكهم، ودواوينهم وطشت خاناتهم[1]، وشراب خاناتهم[2]، ومطابخهم ووظائفهم، والقلعة مساكن مقسمة؛ لأكابر الأمراء، والزردخاناه[3]، ومن كبر من أمراء الطلبخانات والعشرات، أو من خرج عن حكم الخاصكية إلى طبقة البرانيين، ودار الوزارة، ودار كاتب السر، وديوان الإنشاء، وديوان الجيوش، وديوان الأموال، والنقباء، وفيها المساجد والحوانيت والأسواق[4].

٣. مدينة الفسطاط:

بناها عمرو بن العاص، وتسمى عند عامة أهل مصر "مصر العتيقة"[5]، وهي مبنية على ضفة النيل الشرقية، وبني قبالتها في الجزيرة أبنية كثيرة صارت كأنها فُرقة من مصر، والنيل يجري بينهما، في منظر يجذب القلوب ليلاً، ومبانيها عالية يبلغ بعضها أربع طبقات في كل طبقة مساكن بكامل مرافقها، وسطح مقطع لها من الأعلى بهندسة محكمة، ومع أن البيوت بعضها تحت بعض لا يرى مثل صناعها[6].

وحواضرها ذات القصور والديار والمنازل الواسعة، والأسواق الكبيرة، والمدارس، والخوانق، والربط، والزوايا، وشوارعها مزدحمة بالناس، ويذكر العمري أن شخصً قال

---

(1) الطاشتخاناه: لفظ فارسي طشت خانه، والطشت إناء مصنوع من المعدن، وتغسل فيه الأيدي والملابس؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٤٧٢)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٩).

(2) الشراب خاناه: أو الدواخاناه، من يحملون الدواء والعقاقير، وهو بيت يشتمل على أنواع المشروب من المياه، والسكّر، والسّفوفات، والمعاجين، والأقراص، والبلح، والأبقال، والحلويّات، والجوارشات، والفواكه؛ ينظر: النويري، نهاية الأرب (ج٨/ ٢٢٤)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٩)؛ المقريزي، الخطط (ج٣/ ٣٥٠).

(3) الزردخاناه: الزردكاشية أو أمير سلاح؛ وهو مقدّم السلاحدارية، والمتولي لحمل سلاح السلطان، وهو المتحدّث في السلاح خاناه وما يستعمل بها وما يقدم إليها ويطلق منها؛ ينظر: النويري، نهاية الأرب (ج٨/ ٢٢٧)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١١)؛ المقريزي، الخطط (ج٣/ ٣٨٧).

(4) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٣٢- ٣٣٣).

(5) المصدر السابق (ص ٢٨١).

(6) المصدر السابق (ص ٣٣٤).

له؛ إنه ما رأى مدينة اجتمع فيها الناس؛ ما اجتمع في مصر والقاهرة وحواضرها[١].

ويقول العمري: أن مجد الدين إسماعيل السلامي[٢] ذكر له؛ وقد سأله عن بغداد وتوريز، وهل يجمعان مثل مصر؟ فقال: "في مصر خَلْقٌ يعادل كل من في جميع البلاد منها إلى توريز[٣]، وأغلبها من العامة، والباعة، وأهل المهن والصنائع"، ويذكر أن القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني[٤] قال: أهل مصر على كثرة عددهم، ووفرة المال في بلدهم؛ إلا أنهم مساكين يعملون في البحر بكد وجهد[٥].

وعندما أقام العمري بمصر صحب السلطان محمد بن قلاوون إلى أغلب بلادها، فيقول: رأيت خلقاً ممن عليهم أرض مسجلة؛ قد سكنوا البيوت المنخفضة، ويقف كل اثنين على مستنقع ماء وبأيديهم وعاء في أذنيه خيط، وهما يترفان الماء بها ضرباً باليد إلى ورائهما في مقررة محفورة، يجتمع ما ينزح منها، ثم يصرف في مجاري إلى الأماكن العالية، والتي لم يصلها الماء يسقوها، وهم في جهد جهيد، وأمرٍ شديد؛ ويرجع بالقول: "فعلمت أن هؤلاء الذين أراد القاضي الفاضل بقوله: مجاهيد يعملون في البحر"، فهم ملزمون بدرهم معين وإدرب معين[٦].

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٣٤).

(٢) مجد الدين السلامي: إسماعيل بن محمد بن ياقوت هو الخواجا مجد الدين السلامي، ولد سنة (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، كان رجلاً عظيماً وذا عقل، وهو كان السبب في الصلح بين المسلمين والتتار أيام القان بو سعيد وكانت له وجاهة زائدة عند السلطان الملك الناصر، وتوفي سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م): ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٩/ ١٣٢)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج١/ ٤٥٤).

(٣) توريز: هي مدينة تبريز من أشهر مدن أذربيجان، وهي ذات أسوار محكمة، وفي وسطها عدة أنهار جارية، وكثيرة البساتين، وهي كثيرة الخيرات والأموال والصناعات؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ١٣)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٣٣٩)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢٥٢)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ١٢٦).

(٤) القاضي الفاضل: عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن المفرج بن أحمد القاضي الفاضل محيي الدين أبو علي ابن القاضي الأشرف أبي الحسن اللخمي البيساني الأصل العسقلاني، ولد بمصر، صاحب ديوان الإنشاء ووزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ولد سنة (٥٢٥هـ/ ١١٣١م)، وتوفي سنة (٥٩٥هـ/ ١١٩٩م) رحمه الله؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٨/ ٢٠٢- ٢٢٢)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٦/ ١٩٤).

(٥) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٣٥).

(٦) المصدر السابق (ص ٣٣٥).

ويصف العمري الريفّ في مصر؛ بأنه ممتد بين حاجزين، وأعقبه رملٌ مفصل بالقرى مبنية بالطوب، مظهرها من السواد، ويحيط بها نخل يقل في أماكن ويكثر في بعضها، وكلها على أنموذج واحد، من رأى واحداً منها فكأنما رآها كلها[١]، وريفها يوجد في أوله بأعلى الصعيد جبلان متضايقان، ثم يأخذ بالتقليص إلى الجزيرة وتنفرج وتتسع حتى انقطع بالبحر المتوسط إلى آخر الأعمال[٢].

ويسرد العمري مدن مملكة مصر؛ بعدما ذكر مدنها الكبيرة، فيذكرها كما يلي:

١. مدينة الإسكندرية:

يذكر العمري أنها مدينة قديمة، كانت في القدم أكبر مما هي في زمانه، وأعظم في كثرة الأهل والبنيان، وجميع بناء تلك المدينة من الحجر، والكلس مبيضة للبيوت من الداخل والخارج، وهي ذات شوارع واسعة، كل خط بذاته، ويحيطها أسوار وأبراج محصنة، عليها سهام ومجانيق، وبها عسكر لحمايتها، ويذكر العمري أنه ليس في مصر مدينة حاكمها مرسوم بنيابة السلطنة سوى الإسكندرية، وأهلها على يقظة تامة خوفاً من مهاجمة العدو[٣].

وبها المساكن، والجوامع، والمساجد، والربط، والخوانق، والمشاهد، والفنادق، والرباع، والأسواق الكبيرة، والإسكندرية مزار الغرب والأندلس، وجزائر الصليبيين، وبلاد الروم، وإليها تجلب بضاعتها، ولها بحر خليج[٤] من النيل، تصل فيه المراكب من منها وإليها، وأثناء فيضان النيل يمتلئ هذا الخليج، ويمتد إلى صهاريج داخل المدينة؛ المعدة

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/٣٣٥).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٤٣).

(٣) المصدر السابق (ص ٣٣٧).

(٤) خليج الإسكندرية: يقال؛ أن كليوباترا الملكة، هي التي ساقت مياه خليج الإسكندرية حتى أدخلته إليها، ولم يصلها الماء، وبلطت قاعه بالرخام؛ وهو خليج مخرجه من غرب النيل عند قرية تسمّى العطف، تقابل فوّة، مدينة المزاحمتين، ويميل غرباً حتّى يتصل بجدران الإسكندرية، وتدخل منه قناة تحت الأرض إلى داخلها، ويتشعب منها شعب كثيرة تدخل من بيت إلى بيت، ويختلط بآبارها فيحلو ماؤها وتملأ منها صهاريجها، وفوّهة هذا الخليج عند قرية الظاهرية، وكان يمرّ على دمنهور مدينة البحيرة؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٣/ ٣٣٤)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج١/ ٣١٤– ٣١٧)؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٩/ ٢١٨– ٢١٩).

لاختزان الماء بها لشرب أهلها، وتمر من بعض البيوت إلى بعض، ويمكن النازل إلى صهريج منها الصعود من أي بيت، وتحت تلك الصهاريج نبع الآبار بالماء المالح؛ فهي طبقات ثلاث: طبقة الآبار، وفوقها طبقة الصهاريج، وعليها طبقة البناء، ويذكر العمري: أن أهل الإسكندرية لا يهتمون ببناء مبانيهم طبقات؛ لقوة الأمطار بها، وعن جمالها يصفها؛ بأن بها كثيرة البساتين، والغيطان، القصور، والجواسق العالية محصنة جميعها بإحكام البناء خشيةً من الصليبيين، وبعض العرب(١).

وينقل ابن فضل الله عن التيفاشي(٢) في كتاب [سرور النفس بمدارك الحواس الخمس](٣)، أنه ذكر أحمد بن مطرف(٤) في كتابه "الترتيب": أن الذي بنى الإسكندرية أول أمرها جبير المؤتفكي(٥)، عندما غزا بعض النساء اللواتي ملكن مصر، وكان اسمها حوريا بنت ألبرت، وأنه لما طال بينهما الحرب، أرسلت إليه تعرض عليه الزواج؛ ويصبح ملكهما واحداً، فأعجبه ما قالت واستجاب لها، فأشارت عليه على أن يتم بناء مدينة جديدة لتكون لهما، فاختارت موضع الإسكندرية(٦).

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٣٧- ٣٣٨).

(٢) شرف الدين التيفاشي: أحمد بن يوسف بن أحمد؛ اشتغل بالأدب وعلوم الأوائل وبرع بها، وقدم مصر وهو صغير، فقرأ بها وتعلم على العلامة موفق الدين عبد اللطيف أبي يوسف البغدادي، ورحل إلى دمشق، ثم رجع إلى مصر والشام، ولد بتيفاش في سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، وتوفي سنة (٦٥١هـ/ ١٢٥٣م)، بالقاهرة؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ١٨٨)؛ ابن فرحون، الديباج المذهب (ج١/ ٢٤٧).

(٣) كتاب التيفاشي الذي قام بتأليفه هو؛ "فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب"، وليس كما ذكر العمري، واختصر هذا الكتاب ابن منظور صاحب كتاب "لسان العرب"، والذي سماه "سرور النفس بمدارك الحواس الخمس"؛ ابن منظور، سرور النفس (ج١/ ١)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ١٨٨)؛ ويبدو أن العمري نقل من هذا الكتاب المختصر لابن منظور، وليس من كتاب التيفاشي "فصل الخطاب".

(٤) أحمد بن مطرّف أبو الفتح العسقلاني: تولى القضاء بدمياط، وتوفي سنة (٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، وكان أديباً، وله كتب كثيرة في الأدب، واللغة، وديوان للشعر؛ ينظر: الحموي، معجم الأدباء (ج٢/ ٥١٩)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ١١٨).

(٥) جبير: هو جيرون بن سعد بن عاد بن إرم ابن سام بن نوح، ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٦٣٣)؛ معجم ما استعجم (ج٢/ ٤٠٨- ٤٠٩)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٧١- ٧٢)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ١٩٩)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج١/ ٢٧١- ٢٧٣)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ٥٤).

(٦) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٣٩).

فشرع جبير ببناء المدينة، وكلما بني بناء هدمته المخلوقات البحرية وعبث به، فأقام زماناً ونفذت أمواله، فاستعان بالسحرة فكتبوا إليه بعض أسحارهم، ووضعها في أواني زجاجية كالتوابيت؛ فنفرت مخلوقات البحر، وتم بناء المدينة بعد زمان طويل، ثم زاد بنائها بعد ذلك الملك الإسكندر، وجعل فيها مرآة[١] كان يرى منها مراكب العدو عن بعد، فإذا أصبحت مقابلة لشعاعها؛ أحرقتها، فسميت بالإسكندرية منذ ذاك الوقت، وكان اسمها قبل ذلك رقودة، كما في كتب القبط القديمة[٢].

وعن منارة الإسكندرية[٣] فيذكر العمري؛ أنها ثلاث طبقات، ومساحتها مائة وخمس وسبعون متراً، فالطبقة الأولى؛ مربعة ومساحتها مائة متر، والطبقة الثانية؛ مثمنة إحدى وستون متراً، والطبقة الثالثة؛ مستديرة اثنان وعشرون متراً، وأصبحت المنارة آثر بعد عين، فلم يبقَ منها إلا دون الخمسة عشر متراً، وأمر السلطان محمد بن قلاوون ببنائها، فبنى منارة الناظور على مكان عالٍ داخل السور؛ يعرف بكوم معلى، وأما عمود الصواري؛ فباقٍ ويبعد مسافة واحد وأربعون كيلو متر عن برقة[٤].

٢. مدينة دمياط:

مبنية على ضفة البحر المتوسط عند مصب أحد فرعي النيل، ويطوف بها جسر النيل إلى مصبه، وهي موضع غرة للعدو من قبل البحر، فيذكر العمري؛ أنها مدينة لطيفة فيها مدرسة واحدة، وأسواق قليلة، ومنها الذهاب إلى بحيرة تنيس[٥]، ويذكر

---

(١) أنشأت المرآة وتماثيل من النحاس؛ فمنها تمثال قد أشار بسبّابة يده اليمنى نحو الشمس حيثما كانت من مغرب أو مشرق أو أفق، وتمثال يشير بيده إلى البحر، فإذا دنا منه أحد سمع له صوت هائل، وتمثال كلّما مضى من الليل والنهار ساعة سمع له صوت مطرب؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٦٣٣).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٤١).

(٣) منارة الإسكندرية: مبنيّة مربّعة شبيهة بالحصن، وفيها ركناً وقد تهدّم فدعمه الملك الصالح ابن رزيك أو غيره من وزراء المصريين، وأصبح أحكم وأعظم من القديم، وهي حصن عالٍ على جبل مشرف على البحر في طرف جزيرة بارزة في ميناء الإسكندرية، والمنارة مربّعة البناء ولها درج واسع؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٨٧– ١٨٨)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٤٦)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج١/ ٢٩٠– ٢٩٣).

(٤) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٤١).

(٥) بحيرة تنيس: بمصر بين بور سعيد ودمياط؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٦٢١– ٦٢٣)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ١٠٢– ١٠٣)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٥١).

العمري نقلاً عن التيفاشي أن" تنيس[١] ودمياط والفرما[٢]؛ ثلاث مدنٍ ملكها أخوة ثلاث، وسمى كل واحد منهم مدينته باسم نفسه، وكانت تنيس يقال لها "تنيس الأخصاص"، ويذكر أن المسيح قد دخلها فأكرمه أهلُها، فدعا أن يبارك الله لأهلها فيها، وأن يأتيها الرزق من كل مكان لما رآها وسط بحيرة، ولم يدخل دمياط[٣].

٣. مدينة برقة:

يذكرها العمري؛ بأنها سلطنة لم يكن يمكن لها استقلال؛ لأن العرب استولت عليها، وكان سريرها قديماً في مدينة طبرق[٤]، وليس لها سلطان؛ وسكانها من العمد[٥]، وهي أقرب للمغرب العربي أكثر من مصر، وكان ما دون العقبة إمرتها لصاحب مصر[٦].

ويقول العمري أن الأمير الفاضل ناصر الدين محمد بن المحسني[٧]؛ عندما كان والياً عليها يقول: أنها بلاد كثيرة الماء سيئة الهواء، وخالية من السكان، وأرضها معادن، ووعرة، وبها المروج والأشجار الكثيرة، ومدنها قوية البناء، وقصورها عالية،

---

(١) تنيس: مدينة كبيرة لها مسجد جامع وأسواق، وأهلها ذوو يسار وثروة وأكثرهم حاكة، وثيابها الشروب لا يصنع مثلها في الدنيا، وهي جزيرة في البحر بين بورسعيد ودمياط؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٦٢٣)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٨٧– ٨٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٥١)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٧٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢٧٨).

(٢) مدينة الفرما: مدينة بمصر قريبة من العريش، وهي قديمة على ساحل البحر المتوسط ، ويعتبر نخلها من عجائب الدنيا فنخلها يثمر حين ينقطع الرطب من جميع البلاد، فيكون بكانون الأول/ يناير؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٦٢٥)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٨٩)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٥٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٠٣١).

(٣) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٤٢).

(٤) طبرق: مدينة ليبية بها نهر كبير، ويحيط بها البحر المتوسط من كل جهة إلا طريق واحد، وبها تبنى السفن لغزو بلاد الروم، ويخرج منها المرجان؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٧٢٠)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ١٢٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٨٧٨).

(٥) العمد: معناه الوتد، أي من ضرب وتداً من أهل العمد؛ أي أهل الخيام؛ ينظر: سيده المرسي، المحكم والمحيط (ج٢/ ٢٣٥)؛ المخصص (ج١/ ٩٧)؛ ابن منظور، لسان العرب (ج٤/ ٦٢١).

(٦) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٤٦).

(٧) الأمير ناصر الدين بن المحسني؛ تولى في الخامس من ذي الحجة سنة (٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م)، ولاية القاهرة، وقد نقل إليها من ولاية المنوفية عوضاً عن عز الدين الزراق؛ ينظر: المقريزي، السلوك (ج٣/ ١٣٣).

وأهلها أصحاب ماشية ودواب؛ فهي كثيرة الإبل والأغنام، وبعضهم يزرع من أرضها فتخصب زروعها، ولكنهم أهل بادية لا عناية لهم بالعمارة ولا بالزراعة(١).

ويذكر العمري أنه حدثه واحد مما دخلها من العسكر المصري؛ أن برقة شبيهة بأطراف الشام، وجبال نابلس في أشجارها وأرضها، وأنها لو عُمرت بالسكان وتم زراعتها؛ لكانت إقليماً كبيراً يقارب نصف الشام، ويذكر أن الأمير فائد بن مقدم السلمي؛ المُأمر على برقة، أنها من أفضل البلاد مرعى للدواب، وخيلها من أقوى الخيول بناءً، ولها حوافر صلبة، واستعملها جند مصر وجلبوا الكثير منها، ويذكر أن طولها أربعة آلاف وثمانون كيلومتر، وتعتبر مدينة أنطابلس(٢) هي قاعدتها، بها الرخام الكثير، ومن مدنها طبرق، ولبدة(٣)، وسرت(٤) من أشهر مدنها(٥).

ونقل العمري عن ممن زار مدينة برقة فقال: أنها أصبحت خراباً، ليس فيها إلا بادية العرب، وقصورها أصبحت مخازن لأغلالهم، وليس بها آثار عمران لذكر أخبارها، وأهلها لا يتبايعون، فمن يكون معه دراهم يعرضها للبيع فليس عندهم نقداً ولا معاملة(٦).

٤. مدينة قوص:

مدينة شرق نهر النيل، في أعلى الصعيد، وواقعة بين المباني، ذات مباني جميلة، وفنادق، ورباع، وحمامات، ومدارس، يرغب زيارتها التجار والعلماء، وذوي الأموال، وهي أول محط ركاب تجار الهند، والحبشة، واليمن، والحجاز؛ الواصلين من

---

(١) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٤٦).

(٢) أَنْطَابُلُس: وهي مدينة طرابلس الليبية، بين الإسكندرية وبرقة؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج١/ ٢٠٠)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢٦٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ١٢٤).

(٣) لَبْدَةُ: مدينة ليبية بين برقة والمغرب العربي، كثيرة العمارات والخيرات؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٠٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ١٠)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١١٩٦).

(٤) سُرْتُ: مدينة ليبية كبيرة على البحر، عليها سور طوب وبها جامع وحمّام وأسواق، ولها ثلاثة أبواب: قبلي، وجوفي، وباب صغير إلى البحر؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٢/ ٦٥١)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ١٠٩)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٠٦- ٢٠٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٧٠٤).

(٥) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٤٧).

(٦) المصدر السابق (ص ٣٤٧- ٣٤٨)

البحر المتوسط من صحراء عيذاب[1]، وبها المكاسب، والبساتين، والحدائق، ومنابت البقول والخضروات، لكنها شديدة الحر[2].

ومن مدينة قوص المرور إلى مدينة أسوان[3]، ومن أسوان المدخل إلى بلاد النوبة[4]، ومن أسوان شعبة إلى الصحراء إلى عيذاب على ساحل البحر الأحمر يُجتاز منه إلى ميناء جدة إلى مكة المكرمة، ومن هذا البحر مسالك للتجار إلى عدن، ثم إلى الهند واليمن والحبشة، ذكرها العمري دون سواها من الصعيد؛ لأنها مدينة حضارية[5].

ويذكر العمري باقي مدن مصر؛ فيذكر الجفار فيقول: أنها خمس مدن؛ الفرما[6]، والبقارة[7]، والورَّادة[8]، والعريش[9]، ورفح[10].

---

(1) عيذاب: مدينة على ضفة البحر الأحمر، وهي مرفأ الحجاج ومن سلك إلى اليمن وغيرها؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٦١٩- ٦٢٠)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٨٧)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٣٢)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٤١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١٧١).

(2) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٣٥).

(3) أُسْوَانُ: مدينة كبيرة بصعيد مصر، أول بلاد النوبة شرق النيل، وفي جبالها مقطع الأعمدة التي بالإسكندرية؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٦١٩)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٨٧)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٩- ٤٠)؛ الهروي، الإشارات (ج١/ ٤٥)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٩١).

(4) بلاد النوبة: أرض جنوب مصر شرق النيل وغربه، وأهلها أغلبهم نصارى؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٣٠٩)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٤)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٣٩٤).

(5) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٣٦).

(6) مدينة الفرما: مدينة بمصر قريبة من العريش على البحر المتوسط ، ومن عجائبها يثمر نخلها حين ينقطع الرطب من جميع البلاد، بكانون الأول/ يناير؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٢/ ٦٢٥)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ٨٩)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٥٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٠٣١).

(7) البقارة: قرية بالعريش بمصر؛ ينظر: اليعقوبي، البلدان (ج١/ ١٦٨).

(8) الوَرّادَةُ: موضع وسط الرمال في طريق القادم لمصر من الشام، وبها منازل لسكانها، ومسجد، وبرج للحمام الزاجل يرسل إلى مصر بالوارد والصادر، وكانت قديماً مدينة فيها سوق وجامع وفنادق؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٣٦٩- ٣٧٠)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٤٣١).

(9) العريش: مدينة أول مصر من ناحية الشام على ساحل البحر المتوسط في وسط الرمل؛ ينظر: البكري، المسالك (ج١/ ٥١٧)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١١٣)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٢١).

(10) رَفَحٌ: مدينة في طريق قاصد مصر من الشام، قريبة من غزة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٥٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٦٢٣)؛ وهي على الحدود المصرية الفلسطينية.

والجفار كله رمل؛ وسمي جفاراً؛ لمشقته على الناس والدواب في المشي ومن كثرة الرمال، والجفار تحفر فيه الإبل وغيرها فتهلك فاتخذ له هذا الاسم، أما البقارة؛ نسبةً إلى البقر، ومدينة الورادة من الورود، والعريش؛ أخذ من العُرش، وهو نهاية التخوم من الشام، وإليه ينتهي رعاة إبراهيم عليه السلام بمواشيه، واتخذ به عريشاً كان يجلس فيه، وكانت مواشيه تُحلب بين يديه فسمي بذلك، ومدينة رفح؛ نسبة إلى رجل اسمه رفح[١].

وهذه هي جملة المدن المصرية وأعمالها وجهاتها، كما ذكرها ابن فضل الله العمري في كتابه؛ إما بمشاهدته لتلك المدن أو المكوث بها، أو النقل عن ممن زار تلك المدن.

ثانياً: مدن الشام:

يذكر العمري؛ أن بلاد الشام يقال لها "أرض كنعان"، ثم جاء بنو إسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها، وبقيت الشام لبني إسرائيل إلى أن غلبت عليهم الروم وانتزعوها منهم، وأجلوهم إلى العراق إلا قليل منهم، وجاءت العرب فغلبوا على الشام، ويذكر ابن فضل الله عن كتاب التيفاشي [سرور النفس][٢]: عن الشريف الإدريسي في كتابه حدود الشام؛ أن الجزيرة العربية بينه وبين العراق من المشرق، وسميت الجزيرة لأنها بين نهر دجلة والفرات، وهي أدنى الأرض التي ذكرها الله عز وجل في سورة الروم[٣]، ومن بلاد الجزيرة مدينة نينوى[٤]، وقاعدتها مدينة

([١]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٤٢- ٣٤٣)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج١/ ٣٤٩).

([٢]) كتاب التيفاشي الذي قام بتأليفه هو؛ "فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب"، واختصر هذا الكتاب ابن منظور صاحب كتاب "لسان العرب"، والذي سماه "سرور النفس بمدارك الحواس الخمس"؛ ابن منظور، سرور النفس (ج١/ ١)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ١٨٨)؛ ويبدو أن العمري نقل من هذا الكتاب المختصر لابن منظور، وليس من كتاب التيفاشي "فصل الخطاب".

([٣]) يقصد بالآية: غُلِبَتِ الرُّومُ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴿٤﴾؛ [الروم: ٢- ٤].

([٤]) نِينَوَى: قرية يونس عليه السّلام بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين، رضي الله عنه؛ ينظر: البكري، المسالك (ج١/ ٢٦٨)؛ الهروي، الاشارات (ج١/ ٦٣)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٣٣٩)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٤٧٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٤١٤).

الموصل، ومنها مدينة الرقة[١]، ومدينة نصيبين[٢]، وديار ربيعة[٣]، وبني تغلب[٤][٥].

والجزيرة هي؛ التخوم الفاصلة بين الشام والعراق، وحدودها النهران: دجلة والفرات، وحدود الشام من الجنوب وادي القرى، ومن الغرب عسقلان، والحاجز الذي بين البحرين؛ مدائن لوط عليه السلام، وطولها أكثر من ألفان وأربعمائة وتسعون كيلو متر، والتوجه في قبلته إلى الميزاب[٦] حيث بلاد الشام من جهة الشرق، وأكثر أهله من اليمن وفيهم معدنه[٧].

ويذكر العمري؛ أن الشام وجهان ويجوز أن يكون أصل التسمية مأخوذ من اليد الشؤمى، أو اليسرى، ويجوز أن يكون الشؤم، وسميت الشام لأنها على شمال الكعبة، وكان اسم الشام أول الأمر سدرية، كما سمى اليمن؛ لأنه على يمين الكعبة[٨].

---

(١) الرقة: مدينة شرق الفرات، بالقرب من حرّان، ويقال لها الرقة البيضاء، وهي من الشام، وبها حصن، وأسواق واسعة، وفواكه كثيرة؛ ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم (ج١/ ٣٧٥)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٢٠٠)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٥٨- ٥٩)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٦٢٦).

(٢) نَصِيبِين: مدينة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل من الموصل إلى الشام، كثيرة البساتين، وعليها سور بناه الرومان؛ ينظر: البكري، المسالك (ج١/ ٢٨٥)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢٨٨)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٤٦٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٣٧٤)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج٢/ ٨٤- ٨٥).

(٣) آل ربيعة: بطن من طي من القحطانية، مساكنهم الشام؛ وهم بنو ربيعة بن حازم بن علي بن الفرج بن ذهل بن جراح بن شبيب بن مسعود بن حرب بن السكن بن الربيع بن غلقي ابن حوط بن عمرو بن خالد بن سعيد بن عدي بن أفلت بن سلسلة بن شغل ابن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن بن عتود بن عنين بن سلامان بن شغل بن عمرو بن الغوث بن طي؛ ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ١٠٠).

(٤) بنو تغلب: بطن من قضاعة من القحطانية، وهم بنو تغلب حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة؛ ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ١٨٧).

(٥) (ج٣/ ٣٤٨).

(٦) الميزاب: حجر في الكعبة المشرفة في داخل مكان يسمى الحطيم، وفيه موضع يقال أنه مستجاب الدعاء، وفيه قبر إسماعيل، وقبر أمه هاجر عليهما السلام؛ ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم (ج١/ ٧٢)؛ البكري، المسالك (ج١/ ٣٩٣)؛ المراكشي، الاستبصار (ج١/ ١١- ٢٣)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٥٣- ٧١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٢٧٣)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١١٤، ٤٩٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٤١١)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٣٧٣).

(٧) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٤٨).

(٨) المصدر السابق (ص ٣٥٠).

ومن المرجح؛ أن يكون الشام سميت شام؛ لأنها على شمال الكعبة، وليس من الشؤم أو اليد الشؤمى.

ويذكر العمري جملة المدن الشامية وأعمالها على النحو التالي:

١. مدينة دمشق:

يصفها العمري بأنها؛ مدينة عظيمة، وقلعتها كبيرة، ويحيط بها أسوار عالية، وبها خندق يطوف به الماء من القلعة، ويسير الماء إلى الخندق المحيط بالمدينة، ودمشق على بقعة مستوية من الأرض، بارزة عن الوادي عند نهاية الجبل، مكشوفة الجوانب لممر الهواء، إلا من الشمال فإنه محجوب بجبل قاسيون(١)، – وبهذا تعاب – ولولا جبلها الغربي المكتسي بالثلوج صيفاً شتاءً؛ لكان أمرها أشد وأشقى على سكانها(٢).

ودمشق مدينة مرتبة المباني، مبانيها من الحجر والخشب الملبن، وهو من خير أخشاب الأرض ويسمى "الحور"، حيث ينصب في بساتينها، ويربى ويقطع وفي انتهائه يعطى الليان، فإذا انكسر عود منها؛ يبقى مكانه متماسكاً عدة سنين وأكثر، وحواضر دمشق؛ فسيحة من جهاتها الأربع، والماء يحيطها من جميع نواحيها بإتقان محكم(٣).

ومبانيها جميلة، مذهبة السقوف، مفروشة بالرخام، وجدرانها مؤزرة بالرخام المنوع المفصل بالصدف والذهب، وبها البرك التي يجري بها الماء في البيوت في أماكن مخصصة، وبها الطباق الرفيعة، والأفنية الواسعة، والأسواق الحسنة الترتيب، والقياسر الحصينة، وبساتينها تتخللها الجداول، والعمائر الضخمة، والجواسق العالية، والبرك العميقة، وبحيراتها عليها عرش مظللة لها، تتقابل بها الأواوين والمجالس، ودمشق مقسمة على جوانب الجامع لا على واسطتها من كل الجهات، فبينه وبين نهاية

---

(١) قَاسِيُونُ: جبل مشرف على مدينة دمشق، وفيه سفحه عدّة آثار الأنبياء ومقبرة للصالحين، به مغارة الدم قتل بها قابيل هابيل، وبه مغارة آدم عليه السلام التي سكن بها، وبه مغارة الجوع؛ ينظر: الهروي، الاشارات (ج١/ ٢٠)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٢٢١– ٢٢٢)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٩٥)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٨٩)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٠٥٧)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٣٢٧– ٣٢٨).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٥٦).

(٣) المصدر السابق (ص ٣٥٦).

المدينة من القبلة، وما بينه وبين نهاية المدينة من الشرق؛ وأوسع مدى ما بينه إلى نهاية المدينة من الجانبيين الشمالي والغربي، وأشرف ما بالمدينة قرب جامعها[1].

وبها سفح قاسيون الصالحية ممتدة في سفح الجبل محاذاة المدينة، بها بيوت، وحدائق، ومدارس، وربط، وترب، وعمائر ضخمة، ومارستان، وأسواق حافلة بالبزّ[2]، وبأعلاها آخر الجبل؛ المقابر العامة، وجميع الصالحية مشرفة على دمشق، وغوطتها، وبساتينها، وشرفها، وميادينها، ومجرى واديها، وبجانبها الغربي دير يسمى مران[3]، حيث كان مكانه المدرسة المعظمية القريب من عقبة دمر[4]، ومنه هناك بقايا آثار[5].

ويصف ابن فضل الله المباني الحضارية بدمشق بأن أفضلها في الجانبين الغربي والشمالي، فالجانب الغربي؛ يوجد تحت القلعة ساحة "سوق الخيل" على ضفة الوادي، ويخرج إليها من جوانب المدينة من أمتعة الجند، وتباع في أيام المواكب بها، وتنتهي فيما يليها من الوادي إلى شرفتين محيطين به يميناً ويساراً، وفي نهاية كل منهما ميدان مزروع بالحشائش الخضراء، ويشقهما الوادي[6].

وفي الميدان القبلي القصر الأبلق[7]؛ الذي بناه الملك الظاهر بيبرس البندقداري

([1]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٥٦).

([2]) البَزُّ: نوع من الثّياب؛ ينظر: الفراهيدي، معجم العين (ج٧/ ٣٥٣)؛ بن دريد، جمهرة اللغة (ج١/ ٦٨)؛ بن بشار، الزاهر (ج١/ ٧٩)؛ الهروي، تهذيب اللغة (ج١٣/ ١٢٠)؛ العسكري، التلخيص (ج١/ ١٣٨)؛ بن سيدة المرسى، المحكم والمحيط (ج٩/ ١٤)؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (ج٢/ ١١٣)؛ الخوارزمي، المغرب (ج١/ ٤٢)؛ الرازي، مختار الصحاح (ج١/ ٣٤)؛ ابن منظور، لسان العرب (ج٥/ ٣١١).

([3]) دير مرّان: بالقرب من دمشق، على تلّ مشرف على مزارع الزعفران؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٢/ ٦٠٢)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٥٧٥)؛

([4]) دُمَّرٌ: عقبة دمّر مشرفة على غوطة دمشق، وهي من جهة الشمال في طريق بعلبكّ؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٢/ ٥٥٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٤٦٣)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٥٣٣).

([5]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٥٧).

([6]) المصدر السابق (ص ٣٥٧).

([7]) القصر الأبلق: أنشأه السلطان الظاهر بيبرس البندقداري بدمشق، وبناه صنّاع من دمشق ومصر، وبنى السلطان محمد بن قلاوون سنة (٧١٣هـ/ ١٣١٣م)، على الإسطبل السلطاني بمصر قصراً على غراره؛ ينظر: ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٩/ ٣٧)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٩٧)؛ المقريزي، السلوك (ج٢/ ٤٨٩-٤٩٠)؛ المواعظ والاعتبار (ج٣/ ٣٦٦).

الصالحي، مبني من وجه الأرض إلى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر؛ سطرٌ أسود، وسطرٌ أصفر، بتنسيق جميل، ويدخل من دركاه له على جسر راكباً بعقد على مجرى الوادي إلى إيوان خارجي يطل على الميدان القبلي، استجد بناءه آقوش الأفرم[١] أثناء نيابته بها، ثم يدخل إلى القصر من ممرات واسعة تشتمل على قاعات ملوكية ، وتنيرها أشعة الشمس التي تتخللها، المزينة بالرخام الملون في أرضياتها، وجدرانها، وأسقفها، ومرصعة بالذهب، واللازورد، والفص المذهب[٢].

وبالدار الكبرى إيوانان متقابلان تطل شبابيك شرقيهما على الميدان الأخضر الممتد، وغربيهما على شاطئ الوادي المخضر والنهر، وله رفارف عالية؛ تشرف من جهاتها الأربع على كل المدينة والغوطة، والوادي كامل المنافع بالبيوت الملوكية والإصطبلات السلطانية، والحمامات، والمنافع، وتجاه باب القصر يوجد باب يصل رحبته بالميدان الشمالي، وعلى الشرفات أبنية؛ من بيوت، ومناظر، ومساجد، ومدراس، وربط، وخوانق، وزوايا، وحمامات ممتدة على جانبي الوادي[٣].

ويذكر العمري أن في السنوات التي كانت في حضرة السلطان محمد بن قلاوون؛ بنى نائب السلطان على الشرف القبلي منها جامعاً بديعاً، وداراً ملوكية، وتليه تربة ضخمة، ومد قبالة الجامع سوقاً، وحماماً، زاد المكان حسناً وإبداعاً، وأما حاضرها الشمالي ويسمى "العقيبة"، فهو مدينة مستقلة بذاتها، ذات جوامع، ومساجد، وربط، وخوانق، وأسواق، وحمامات، وبها ديار كثيرة للأمراء والجند[٤].

وأما نهر دمشق "نهر بردى"؛ فمجراه من عينين: عين البعيدة بالزبداني[٥]، وعينٌ بقرية الفيجة[٦] بذيل جبل غزتا، والماء يخرج من صدع أسفل الجبل، وعقد على

([١]) آقوش الأفرم: نائب الشام زمن الملك محمد بن قلاوون، ينظر: ابن تغري، النجوم الزاهرة (ج٨/ ١٣٠).

([٢]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٥٧- ٣٥٨).

([٣]) المصدر السابق (ص ٣٥٨).

([٤]) المصدر السابق (ص ٣٥٨).

([٥]) الزبداني: مدينة ليس لها أسوار، على طرف وادي بردى، وبساتينها متصلة إلى دمشق؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٦٩)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ١٣٠)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٦٥٧).

([٦]) الفِيجَةُ: قرية بين دمشق والزّبداني ومنهاها مخرج نهر بردى؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٨٢).

مخرج الماء قبو رومي البناء، وبه منابع في مجرى النهر ثم يقسم النهر أربعة: اثنان عن اليمين، واثنان عن الشمال مرفوعان على مجرى النهر في قرارة الوادي(١).

ويذكر ابن فضل الله؛ أن نهر بردى والستة المقسومة المسماة "الأنهار السبعة"، ومجرى الوادي لنهر بردى، وعلى نهر بردى في الجانب الغربي الأعلى الآخذ قبلة نهر داريا(٢)، ودونه قرية المزة(٣)، ودونه نهر القنوات(٤)، ودونه نهر باناس(٥)، وعلى يسار نهر بردى في الجانب الشرقي الآخذ شمالاً نهر يزيد(٦)، ودونه نهر ثورا(٧)، فأما القنوات وباناس؛ فهما نهرا المدينة وحاكمان عليها ومسلطان على ديارها، وأما مجرى نهر بردى فيتفرق منه فرقة بجانب المدينة تدخل إلى داخل سورها وتدور بأرجاؤه، ويصب بقاياها في مجرى الوادي، إلى أن يخرج من حدود العمارة والأرجاء إلى الوادي، وتحيط به الأشجار الكثيفة من السفرجل والحور، والبساتين، ثم يسير إلى ظاهر قرى دمشق، ويصب في بحيرة متصلة بالبرية ونهر باناس يدخل القلعة ثم ينقسم قسمين: قسم للجامع، وقسم للقلعة، ثم ينقسم كل قسم منهما على تقاسيم تتفرق في المدينة، وتنقسم

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٥٨- ٣٥٩).

(٢) داريّا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٢/ ٥٣٩)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٤٣١)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٥٠٩).

(٣) المِزَّةُ: قرية كبيرة غنّاء في وسط بساتين دمشق، وبها قبر دحية الكلبي صاحب رسول الله ﷺ، ويقال لها مزّة كلب؛ ينظر: الهروي، الاشارات (ج١/ ٢٠)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ١٢٢)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٦٣)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٢٦٦)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٣٣٠).

(٤) نهر القنوات: نهر صغير إلى داخل المدينة يتفرّق في القنوات القبليّة منها، في سائر البيوت والمحالّ، من نهر بانياس يدخل إلى قلعتها، ويخرج منها إلى المدينة، ويصبّ باقيه إلى الغوطة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٨١)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ١٨١).

(٥) بَانَاس: من أنهار دمشق وصفه في بردى؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٣٣٠)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ١٨٠).

(٦) يَزِيدُ: نهر بدمشق ينسب إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، مخرجه من جبل، ويسقي ما لا يصل إليه مياه بردى ولا ماء ثورا؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٤٣٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ١٨١).

(٧) ثَوْرا: نهر عظيم بدمشق، وقد جاء في بعض الشعر ثورة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٨٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٣٠١).

القنوات في المدينة، وليس له مدخل في القلعة أو الجامع[1].

ويجري الماء في قنوات تحت الأرض إلى أن تصل إلى منافعها، وتنصب فضلات الماء والبرك، والمرتفعات إلى قنوات أوساخ تحت أرجاء الماء المشروب، ثم تتجمع وتخرج إلى ظاهر المدينة لسقي الغيطان، وأما بقية الأنهار خلال مجرى بردى؛ فإنها تنصرف إلى البساتين والغيطان، وعليها القصور والأبنية، وخصوصاً نهر ثورا فيعتبر نيل دمشق، عليه أجل مبانيهم، وبه متنزهاتهم، وإليه أكثر توجهاتهم، ويخال لمن يراه زمردة خضراء، ويجري نهر يزيد في خلف الصالحية ليشق عماراتها كالخيط[2].

ويذكر العمري أن مسجدها الجامع؛ كان هيكلاً لعباد الكواكب، ثم كنيسة للنصارى إلى أن فتحت دمشق على أيدي أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، وجرى حكم المناصفة عليه، نصفه الشرقي للمسلمين وبقي نصفه الغربي بأيدي الروم إلى خلافة الوليد بن عبد الملك الذي استخلصه وأتمه جامعاً للمسلمين[3].

أما أعمال دمشق؛ فهي ثمانية وعشرون عملاً وهي:

أ- عمل ضواحيها "ولاية البر":

الغوطة[4]، والمرج[5]، وجبّة عسان[6]، والإقليم[7].

ب- عمل البلاد الساحلية القبلية وما يتبعها:

وهي بلاد غزة وما جاورها سهلاً ووعراً، وهي تسعة أعمال وهي:

---

(1) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٥٩).

(2) المصدر السابق (ص ٣٦٠).

(3) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٠).

(4) الغُوطَةُ: هي الكورة التي منها دمشق، يحيط بها جبال عالية، تخرج منها عدة أنهار فتسقي بساتينها وزروعها؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٣/ ١٠٠٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٩١).

(5) المرج: هي مرج الصفر بالشام قريب غوطة دمشق؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٣/ ٨٣٧)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ١٠١)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٢٥٤).

(6) عَسّانُ: قرية من نواحي حلب؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١٢٠).

(7) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٠).

- غزة ثلاثة أعمال وهي: عمل غزة[١]، وعمل قرتيا[٢]، وعمل بيت جبريل[٣].
- الساحل ثلاثة أعمال وهي: عمل الرملة[٤]؛ وعمل قاقون[٥]؛ وعمل اللد[٦].
- الجبل ثلاثة أعمال وهي: عمل نابلس، وعمل القدس الشريف، وعمل بلد الخليل[٧].

ت- والصفقة القبلية "بلاد حوران والغور وما مع ذلك":

وهي عشرة أعمال وهي:

- **عمل "بيسان**[٨]": بها قلعة بناءها الصليبيين؛ وهي مدينة الغور.

---

(١) غَزَّةُ: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، من فلسطين غربي عسقلان؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٥٧)؛ الهمداني، الأماكن (ج١/ ٧١٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٠٢)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٢٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٩٩٣)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٣٩- ٢٤٠).

(٢) قَرَتَيّا: بلد قرب بيت جبرين من نواحي فلسطين من أعمال بيت المقدس؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٣٢٠)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٠٧٥).

(٣) كورة بيت جبرين: مدينة قديمة وأهلها من قوم جذام، تقع بين بيت المقدس وغزّة، وكانت فيه قلعة حصينة خرّبها صلاح الدين لما استنقذ بيت المقدس من الصليبيين؛ ينظر: اليعقوبي، البلدان (ج١/ ١٦٧)؛ الهروي، الاشارات (ج١/ ٣٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥١٩)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢٣٧، ٣١١).

(٤) الرّملة: قصبة فلسطين، قريبة من بيت المقدس، ولم تكن قديماً، وإنما كانت مدينة لدّ، فأخربها سليمان بن عبد الملك وبنى مدينة الرملة، و"لدّ" في ناحية المشرق، وشربهم من الآبار، ومياه المطر؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٩٤)؛ البكري، المسالك (ج١/ ٤٦٤)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٥٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٦٩)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٦٣٣)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٥٤).

(٥) قاقُونُ: حصن بفلسطين قرب الرملة، من عمل قيسارية من ساحل الشام؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٩٩)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٠٥٩).

(٦) لدّ: مدينة قرب القدس من نواحي فلسطين؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٤/ ١١٥٣)؛ الهروي، الاشارات (ج١/ ٢٩)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ١٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٢٠٢).

(٧) الخَليلُ: بلد فيها حصن وعمارة وسوق بقرب بيت المقدس، بينهما ثلاثة وثمانون كيلو متر، فيه قبر الخليل إبراهيم عليه السلام، في مغارة تحت الأرض، وبالخليل سمّي الموضع حبرون، وقيل حبرى؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٨٧)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٨٧- ١٨٨)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٤٨٠)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٤٠- ٢٤٣)؛ ابن الوردي، خريدة العجائب (ج١/ ١٠٤).

(٨) بَيْسَانُ: مدينة بشمال فلسطين، وبها عين الفلوس؛ فيها ملوحة يسيرة، وتوصف بكثرة النخل، حارّة، أهلها سمر الألوان جعد الشعور لشدة الحرّ؛ ينظر: الزمخشري، الجبال والأمكنة (ج١/ ٦١)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٥٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥٢٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢٤١).

- عمل "**بانياس**"[1]: وهي مدينة الجولان وبها قلعة الصبيبة[2].
- عمل "**الشعراء**"[3].
- عمل "**نوى**": وهي مدينة أثرية، وبها قبر أيوب عليه السلام.
- عمل "**أذرعات**"[4]: وهي مدينة البثنية.
- عمل "**عجلون**"[5]: ومنه الصويت[6]، وقلعة عجلون بين الأردن وبلاد السراة[7]، وهي محدثة صغيرة المقدار مبنية على جبل مطل على الغور يعرف بجبل عوف[8]؛ لأنه كان به قوم من بني عوف أهل عتو، فلما أقطع الملك العادل أبو بكر بن أيوب هذا الجبل عز الدين أسامة بن منقذ[9]، بنى القلعة لتحصين نوابه

---

(1) بانياس: مدينة على طرف الحولة وحدّ الجبل، أرخى وأرفق من دمشق وإليها انتقل أكثر أهل الثغور لمّا أخذت طرسوس، وبها نهر شديد البرودة يخرج من تحت جبل الثلج وينبع وسط المدينة، وهي خزانة دمشق؛ ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم (ج١/ ١٦٠)؛ المهلبي، المسالك (ج١/ ٦٧)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٢٤٦-٢٤٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ١٥٨).

(2) قلعة الصبيبة: بَين بانياس وتبنين وهونين، بناها الصليبيين؛ ينظر: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج١/ ٨٥- ٨٦).

(3) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦١).

(4) أذرعات: أرض بالشام تجاور أرض البلقاء، ومدينة كورة البثني؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٦٣)؛ البكري، معجم ما استعجم (ج١/ ١٣١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٣٠)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٤٧)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ١٩).

(5) مدينة عجلون: مدينة في الأردن، حسنة لها أسواق كثيرة، وقلعة خطيرة، ويشقها نهر ماؤه عذب؛ ينظر: ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٥٦).

(6) الصويت: هي قرية من أعمال دمشق يقال لها الجابية، من عمل الجيدور من ناحية الجولان؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٩١)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٧٥).

(7) السراة: جبل يبدأ من بلاد اليمن فيمتدّ حتّى يبلغ الشّام فتقطعه الأودية؛ ينظر: البكري، المسالك (ج١/ ١٤٧)؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة (ج١/ ١٦٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٠٤)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٧٤)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٧٠٢- ٧٠٣)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج١/ ٣٤٤).

(8) عوف: من جبال نجد؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٣/ ٩٨١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١٦٨)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٩٧٢).

(9) أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، الكلبي الشيزري الملقب مؤيد الدولة مجد الدين، من أكابر بني منقذ وعلمائهم وشجعانهم؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج١/ ١٩٥- ١٩٦).

منهم بعد ممانعة منهم وإباء، فلما تكاملت مد سماطاً وحضره مشايخ بنو عوف فقبض عليهم وحبسهم، وكان بها دير لراهب اسمه عجلون سميت باسمه[1].

- عمل "**الباعونة**": كان بها دير لراهب اسمه باعونة، فلما بنيت سميت باسمه[2].
- عمل "**البلقاء**"[3]: من البلقاء مآب التي فتحها أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه، وعمان فتحها يزيد بن أبي سفيان[4].
- عمل "**الصلت**"[5]: فقلعتها من بناء الملك المعظم عيسى بن العادل، وكان السبب في بنائها أنه عبرت له جوار هناك فخرج عليهن طائفة تعرف ببني دحمان من أهل قرية كفر يهودا[6]، فسبوهن وأخذوا جماعة منهن، فبناها على قمة جبل يعرف برأس الأمير وكان مكانها شعراء ملتفة[7].
- عمل "**صرخد**"[8]: ذكرها العمري بأنها؛ مدينة قديمة، وصرخد مدينة حوارن العليا، وقلعتها محدثة بنيت قبل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله[9]، وآخر ما انتهت

---

(1) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦١).

(2) المصدر السابق (ص ٣٦١).

(3) البَلْقَاءُ: من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، سميت البلقاء نسبةً لبالق من بني عمّان بن لوط عليه السلام، وبها شراة الشام، أرض أصحاب الكهف والرّقيم؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج١/ ٢٧٥)؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة (ج١/ ٥٣)؛ الهروي، الاشارات (ج١/ ٢٥)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥٨٩)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢١٩).

(4) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦١).

(5) الصلت: بلدة من غور الأردنّ الشرقي جنوب عجلون؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١١٠).

(6) يهودا: من أرض الشّام؛ ينظر: البكري، المسالك (ج١/ ٣٤٤).

(7) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٢).

(8) صَرْخَدُ: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة؛ ينظر: البكري، المسالك (ج٣/ ٨٣١)؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة (ج١/ ٢٠٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٤٠١).

(9) نور الدين محمود زنكي، صاحب الشام، الملك العادل، أبو القاسم محمود بن الأتابك قسيم الدولة أبي سعيد عماد الدين زنكي بن الأمير الكبير آقسنقر التركي السلطاني الملكشاهي ولد سنة (٥١١هـ/ ١١١٧م)، وهم ينتسبون إلى قبيلة ساب يو التركية؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥٧/ ١١٨- ١٢٢)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٥/ ١٨٤)؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق (ج٢٤/ ١٢١)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٢/ ٤٢٤)، سير أعلام النبلاء (ج٢٠/ ٥٣١- ٥٣٨).

إليه في الدولة الأيوبية، فلما جاءها عسكر هولاكو[1] بعد أخذه دمشق، هدموا شرفاتها وأبقوها بيده، فجدد الملك الظاهر بيبرس تحصينها وتحسينها[2].

- **عمل "بصرى"**[3]: وهي مدينة حوران السفلى، بل حوران كلها، ويذكر العمري عن البلاذري[4]: بأن "بصرى قصبة حوران، وهي مدينة على سيف البرية، ودخل إليها النبي ﷺ قبل بعثته وهو تاجر لخديجة بنت خويلد الأسدية رضي الله عنها، وفيها لقي بحيرا الراهب[5]، وبها قبره"[6].
- **عمل "زرع"**[7].

ح- أعمال الصفقة الساحلية والجبلية الشمالية: وهي اربعة أعمال:

---

(1) هولاكو بن تولي قان: ابن الملك جنكيز خان، ملك التتار، توفى سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م)، من أعظم ملوك التتر، وكان شجاعاً، ذا سطوة ومهابة، وخبرة بالحروب، وهو على قاعدة المغول في عدم التقيد بدين، لكن زوجته تنصرت، وكان سعيداً في حروبه وحصاراته، فطوى البلاد، فاستولى على خراسان، وفارس، وأذربيجان، وعراق العجم، وعراق العرب، والشام، والجزيرة، والروم، وديار بكر؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ١٠٥)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٤/ ٢٤٠- ٢٤١)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٧/ ٢٣٣- ٢٣٤).

(2) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٢).

(3) بُصْرَى: من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، ولما سار خالد بن الوليد من العراق لمدد أهل الشام قدم على المسلمين وهم نزول ببصرى، فضايقوا أهلها حتى صالحوهم سنة (١٣هـ/ ٦٣٤م)؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٦٨)؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة (ج١/ ٥٢)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٤١)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢٠١)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١١١).

(4) أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري؛ العلامة، الأديب، الكاتب، صاحب التاريخ الكبير، سمع: هوذة بن خليفة، وعبد الله بن صالح العجلي، وعفان، وأبا عبيد، وعلي بن المديني، وخلف بن هشام، وشيبان بن فروخ، وهشام بن عمار، وعدة، وجالس المتوكل، ونادمه، وكان كاتباً بليغاً، شاعراً محسناً، ثم ذهب عقله لأنه شرب البلاذر للحفظ؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٣/ ١٦٣)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج١/ ١٥٥- ١٥٦)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ١٥٥- ١٥٦)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج١/ ٦٩٣).

(5) بحيرا الراهب: رأى النبي ﷺ قبل مبعثه، وكان ابن الثانية عشرة، وآمن به، ينظر: ابن منده، معرفة الصحابة (ج١/ ٣١٥)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٣/ ٨- ١٤)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج١/ ٣٥٥)؛ الطبري، الرياض النضرة (ج١/ ٨٤- ٨٧)؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق (ج١٣/ ٣٩)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١/ ٦٣)؛ ابن حجر، الإصابة (ج١/ ٤٧٥).

(6) العمري، مسالك الأبصار (ص ٣٦٢).

(7) زرع: هي بلدة من بلاد حوران لها عمل مستقلّ؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١١٢).

- **عمل "البقاع العزيزي"**[١].
- **عمل "البقاع البعلبكية"**[٢].
- **عمل "بيروت"**[٣]: وهي ثغر على ضفة البحر المتوسط، وعليها سور من حجارة، وبها جبل فيه معدن حديد، ولها غيضة من أشجار الصنوبر، ومسيرها اثنا عشر ميلاً يتصل بلبنان، ويشرب أهلها من الآبار، وهي بندر فرضة دمشق[٤].
- **عمل "صيدا"**[٥]: هي ولاية جليلة واسعة العمل، ممتدة القرى، تشتمل على نيفٍ وستمائة ضيعة، وتنسب لولد كنعان بن حام، وسورها من حجر، وكورتها كثيرة الأشجار، غزيرة الأنهار، ويشرب أهلها من ماء يجري إليهم من قناة[٦].

خ- أعمال الصفقة الشرقية الشمالية وهي "البلاد الحمصية"، وهي اربعة أعمال:

- **عمل "حمص"**[٧].

---

(١) البقاع العزيزيّ: نسبةً إلى الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، ومقرّ الولاية به كرك نوح عليه السلام، وهاتان الولايتان منفصلتان عن بعلبك؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١١٤).

(٢) البِقَّاعُ البعلبكية: موضع يقال له بقاع كلب، قريب من دمشق، وهو أرض واسعة بين بعلبكّ وحمص ودمشق، فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة وشرب أعلها من "عين الجر" تخرج من جبل، وبها قبر الياس النبي عليه السلام؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج١/ ٢٦٣)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٧٠)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١١٤)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢١١).

(٣) بيروت: مدينة قريبة من مدينة جبيل، وفي جنوبها جبل لبنان شرب أهلها من الآبار وقناة تجرّ وإليها، وبها ميناء؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٨٣)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٧١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥٢٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢٤٠)، الحميري، الروض المعطار (ج١/ ١٢٢)؛

(٤) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٣).

(٥) صيدا أو صيداء: بأرض الشام على ساحل البحر المتوسط، وأسوارها حصينة، وهي متصلة بجبل لبنان؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٧٠- ٣٧٧)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٤٣٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٨٥٩)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ٣٧٣).

(٦) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٣).

(٧) حِمْصُ: مدينة كبيرة أثرية لها أسوار محاطة بها، وقلعة حصينة على تلٍ عالٍ كبير، وهي بين دمشق وحلب، وجميع طرقها معبدة بالصخر؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٨٦)؛ البكري، المسالك (ج١/ ٤٦١)؛ معجم ما استعجم (ج٢/ ٤٦٨)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٧٤)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٢٠٨- ٢٠٩)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٠٢)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٨٤- ١٨٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٤٢٥)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ١٩٨).

- **عمل "قارة"**[1].
- **عمل "سلمية"**[2].
- **عمل "تدمر"**[3]: وهي مدينة شامية عراقية؛ لاتصالها بأرض العراق والشام، بناها سليمان بن داوود، وبها بساتين، ومتاجر، وأهلها يعملون بالتجارة[4].

٢. مدينة بعلبك[5]:

يصفها ابن فضل الله فيقول: أنها مدينة أثرية شمال دمشق، لها قلعة عظيمة مثل قلعة دمشق، يحيط بها سور من الحجارة الكبيرة والثقيلة من الصخر الشديد، وبه ثلاثة أحجار عظيمة ممتدة تحت برج وبدنتين كوامل ذات أطوال وعروض وسُمك مرتفع كأفلاق الجبال، وفي القلعة أعمدة عظيمة شاهقة، وفيها عمائر من زمن الأيوبيين، وآثار ملوكية كالدار الأمجدية والبحيرة[6].

وتعتبر مدينة مصغرة من دمشق في محاسنها، وترتيبها وبنائها، وجهات الوقف العامرة من المساجد، والمارستان، ودار الحديث، والمدارس، والربط، الخوانق، والزوايا، والأسواق، ويجري الماء في شوارعها وأسواقها، ويعمل بها الدهان الفائق في الماعون المستحسن الذي يحمل إلى كثير من البلاد، ويحاط بالمدينة غوطة عظيمة ذات بساتين

---

(١) قارَةُ: اسم قرية كبيرة على قارعة الطريق للقاصد إلى دمشق من حمص، وأهلها نصارى؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٩٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٠٥٦).

(٢) سَلَمْيَةُ: مدينة صغيرة على طرف بادية الشام، سكانها من بني هاشم، كثيرة المياه والشجر؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٩٤)؛ البكري، معجم ما استعجم (ج٣/ ٧٥١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٤٠)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٧٣١)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ٣٢٠).

(٣) تدمر: من مدن الشام كثيرة الآثار، بناها سليمان بن داود؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٢٢)؛ البكري، المسالك (ج١/ ١٧٧)؛ معجم ما استعجم (ج١/ ٣٠٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ١٧- ١٨)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٦٩)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج٤/ ١٧٧)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ١٣١).

(٤) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٣).

(٥) بَعْلَبَكُّ: مدينة أثرية من أطيب مدن الشام، فيها قلعة بعلبك من عجائب الدنيا؛ ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم (ج١/ ١٦٠)؛ المهلبي، المسالك (ج١/ ٦٨)؛ البكري، معجم ما استعجم (ج١/ ٢٦٠)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٦٩)؛ الهروي، الاشارات (ج١/ ٢٠)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٥٣- ٤٥٤)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٥٦)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٩٥)؛ ابن الوردي، خريدة العجائب (ج١/ ١٠٦).

(٦) العمري، مسالك الابصار (ج٣/ ٣٦٤).

متشابكة الأشجار بأنواع الثمرات والفواكه المختلفة الألوان، وبعلبك بلد كثير الخير والأرزاق، وأسعار منتجاتها أقل من دمشق، وكثيرة الأطايب؛ كالملبن الفاخر، وبها جبل لبنان المبارك؛ حيث موطن الأولياء، والصالحين، والسواح، ويأوي إليه كثير ممن انقطع إلى عبادة الله عز وجل، وهو مدرج طريق الفقراء، ولا تتميز دمشق عنها بشيء[١].

وعن مياه بعلبك يقول العمري: أن فيها عين ماء واسعة، مشهورة بالزينة، ماؤها صافي، ومناظر الطبيعة فيها في غاية الجمال من الأشجار والبساتين، وعليها مسجد أُضيف إلى جانبه مسجد جامع أكمل جمالها، ويمتد منها نهر فيصفه العمري قائلاً: "نهر يتكسر الحصباء في خلال تلك المروج كنصل سيف يسن فوق مسن إلى أن يُدخل للمدينة، وينقسم منه في بيوتها وجهاتها، ويسمى ماء رأس العين"، ولبعلبك عين أخرى تسمى "عين اللوجوج"، أبعد من الأولى في طرف بساتينها البعيدة، وخفيفة الماء، ويشرب منها الأكابر والأغنياء، ويتصل منها فرع إلى الجانب الشمالي من بعلبك ويصب منه في قناة، ويدخل إلى القلعة منه، وهو من الماء المستطاب[٢].

ويذكر العمري أنه مع ذكره جمال مدينة بعلبك؛ إلا أن القاضي الفاضل[٣]؛ ذم تلك المدينة قائلاً: "وكتابي إليها من إحدى المضايق بل المطابق المسماة بعلبك، وأنا نازل على عين يصم السمع هديرها، فوق جبال يقمر العين صديرها، تحت سماء قد رابني منها الغداة سفورها، أمامي قتال يدير رأس المنون فيه مديرها، ورأى أحجار المنجنيقات التي إذا رأت نفطها حروف البروج محيت سطورها"، وبذلك لا يوافق العمري وصف القاضي الفاضل لمدينة بعلبك؛ فيرد عليه متعجباً بالقول: "والله المستعان على ما يصفون"![٤].

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٤).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٦٤).

(٣) القاضي الفاضل: عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن المفرج بن أحمد القاضي الفاضل محيي الدين أبو علي ابن القاضي الأشرف أبي الحسن اللخمي البيساني الأصل العسقلاني، ولد بمصر سنة (٥٢٥هـ/ ١١٣١م)، وتوفي سنة (٥٩٥هـ/ ١١٩٩م) رحمه الله؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٨/ ٢٠٢- ٢٢٢)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٦/ ١٩٤).

(٤) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٥).

٣. مدينة حمص[١]:

يذكرها العمري بأنها مدينة أثرية، واسمها القديم سوريا، وكانت معظمة عند ملوك الروم، ودار مُلكهم، وهي ممتدة على جانب نهر العاصي[٢] في شماله مبنية بالحجر الأسود، وبها قلعة يحيط بها سور منيع، ومن نهر العاصي يرفع لها ماء يجري إلى دار نائب السلطنة، ومواضع أخرى، وفيها بحيرة صافية الماء وبها سمك منقول إليها من نهر الفرات للتكاثر فيه، والطيور حولها منتشرة[٣].

ويذكر العمري أنه يوجد بها إلى جانب مسجدها الجامع قبة العقارب لا يوجد لها نظير، ويقول سميت بذلك: لأن بها طلسم قديم موضوع لدفع العقارب عنها، ويقال من أخذ تراباً من أرض حمص وخلطه بالماء حتى يصير طيناً، ويلصق تلك الطينة ببعض جدران تلك القبة من داخلها، وتترك حتى تسقط بذاتها من غير أن يلقيها أحد، ثم أخذها ووضع شيئاً منها في بيته لا تدخله عقارب، ويقال أنه لا يقتصر على القبة، وإنما على كل أرض حمص، ولا تقترب العقارب من ثياب أو أمتعة أحد عليها غبار تراب حمص، ويقول العمري: أنه رأى بعينه وجرب ما يتعلق بالطين الملصق بالقبة[٤].

٤. مدينة حماة[٥]:

مدينة ممتدة على مرتفعان مطلان عليها يسميان "قرون حماة"، وهي على ضفة

([١]) حِمْصُ: مدينة كبيرة أثرية لها أسوار محاطة بها، وقلعة حصينة على تلٍ عالٍ كبير، وهي بين دمشق وحلب، وجميع طرقها معبدة بالصخر؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٨٦)؛ البكري، المسالك (ج١/ ٤٦١)؛ معجم ما استعجم (ج٢/ ٤٦٨)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٧٤)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٢٠٨- ٢٠٩)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٠٢)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٨٤- ١٨٥).

([٢]) نهر العاصي: قرب من حمص، وعليه بساتين خضراء، ومنبعه في مغارة بسفح جبل فوقها بموضع يقابل بعلبك، وهي عن يمين الطريق الى دمشق؛ ينظر: ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٢٠٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٦٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٩١٠)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٧٧).

([٣]) العمري، مسالك الابصار (ج٣/ ٣٦٥).

([٤]) المصدر السابق (ص ٣٦٥).

([٥]) حَماةُ: مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات، محاطة بأسوار، فيها أسواق كثيرة، وجامع مشرف على نهرها العاصي؛ ينظر: ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٢٠٦- ٢٠٧)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٠٠)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٦٧- ٢٧١)؛ ابن الوردي، خريدة العجائب (ج١/ ١٠٨).

نهر العاصي، مبنية بحجارة صلبة، وقلعتها ملونة بالأحجار محاطة بأسوار، وبيوت ملوكها وكبرائها مطلة على النهر، وبها القصور الملوكية، والبيوت السرية، والمساجد، والمدارس، والربط، والزوايا، والأسواق التي لا ينعدم فيها نوعاً ولا صنفاً، وغالب مبانيها عالية، وآثار الخير فيها باقية ومن فواضل النعم للدولة الأيوبية، ولها نواعير على نهر العاصي ترفع الماء إلى البيوت السلطانية، وبيوت الأمراء والبساتين والمزروعات(١).

ولم يكن لحماة في القديم ذكر، حيث كان الصيت لحمص، ثم تنبه في الدولة الأتابكية(٢) ذكرها، وعندما جاءت الدولة الصلاحية الناصرية، وانتقلت حماة إلى ملوك بني أيوب؛ فعمروا تلك المدينة بالأبنية العظيمة، والمساكن الفاخرة، وأمروا الأمراء فيها، وجندوا الجند بها، وعظموا أسواقها وزادوا فيها القصور والمزروعات، وجلبوا إليها من أرباب الصنائع كل من فاق في فنه، وبقيت محاسنها تكبر وتزداد(٣).

ويذكر ابن فضل الله العمري أن حول حماة مروج ممتدة، وأرضٍ واسعة يكثر فيه صيد الطير والحيوانات، وفي الصيف شديدة الحرارة، يحُجب الهواء عن دخولها، ولا يبقى بها الثلج كما في بقية الشام مدخراً إلى الصيف؛ ولكنه يجلب إليها مما جاورها، وليس لها سوى عملين: عمل "بارين"(٤)، وعمل "المعرة"(٥)(٦).

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ١٠١).

(٢) الأتابكية: كلمة مشتقة من الكلمة التركية أتابك؛ أتا بمعنى: أب؛ و"بك" بمعنى أمير؛ وتعني " الوالد الأمير"، وكان هذا اللقب يطلق على من يتولى تربية أبناء الملوك والسلاطين، ويرعى شؤونهم وكان الأتابك هو الحاكم الأعلى في الأتابكية، وله الإشراف على جميع شؤون المملكة أو الأتابكية، كما أنه يعد المسؤول الأول عن السياسية الخارجية، ومن حقه أن يعلن الحرب ويقود الجيوش، ويعين الولاة والقواد، فهو لذلك أشبه بالسلطان السلجوقي، كما أن له الحق في نقش اسمه على السكة، والدعاء له في الخطبة إلى جانب اسم الخليفة والسلطان، وقد عرف عماد الدين زنكي بلقب الأتابك مُنذ تعينه حاكماً على الموصل عام (٥٢١هـ/ ١١٢٧م)، واشتهرت الإمارة التي أسسها باسم "أتابكية الموصل"، والسلالة التي أعقبته في الحكم باسم الأتابكة؛ ينظر: ديورنت، قصة الحضارة (ج١٣/ ٣١٨- ٣١٩)؛ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (ج١٦/ ٨٧- ٨٨).

(٣) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٧)

(٤) بارِين: مدينة بين حلب وحماة من جهة الغرب؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٣٢٠- ٣٢١).

(٥) المعرة: مدينة من أعمال حماة، خلفها جبل لبنان، وكان اسمها "ذات القصور" قديماً؛ ينظر: ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٢٨٨)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٧١).

(٦) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٧).

٥. مدينة حلب:

مدينة عظيمة أثرية، وبها معظم قلاع الشام ومعاقله وحصونه وثغوره، وتسمى "حلب الشهباء"، وهي ذات القلعة البديعة العالية، وحلب في وطاءةٍ حمراءَ ممتدة، وقلعتها على تل عالٍ، وعظمت أيام بني حمدان[١]، وعند مجيئ الدولة الأتابكية؛ زادت فخاراً، ويشار إليها بالتعظيم، ويأبى أهلها أن تُفضل عليها دمشق، حتى وطئها هولاكو، فهدم أسوارها، وخرب بناءها، فأصبحت يرثي لها[٢].

ويذكر العمري أن حلب مبنية بالحجر الأصفر، وبها الديار العظيمة، والجامع ذو المئذنة الفائقة العلو، ومارستان، ومساجد، ومدارس، وربط، وخوانق، ووجوه البر الدائم، والصدقات الجارية، وتعتبر حلب أوسع بلاد الشام، فبها المروج الفيحاء، والأراضي الممتدة بالحضر والباديةً، وبها منازل للعرب والأتراك، وطوائف من العرب والتركمان، وبلادها متصلة بسيس[٣]، وبلاد الروم، وديار بكر[٤]، وبرية العراق[٥].

وعن مياهها يحدثنا العمري في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار؛ أنه يجري داخل المدينة فرع ماء يتشعب في بيوتها ومساكنها، ولا يكفي لحاجاتها، فيعتمد أهلها على الصهاريج المملوءة من مياه الأمطار، حيث صفائها وبرودتها يجعل سكانها يعتمدون

---

(١) بنو حمدان: بطن من بني ثعلب بن وائل من العدنانية، وهم بنو حمدان بن حمدون، ملوك الموصل والجزيرة وحلب في أيام المتقي بالله أحد خلفاء بني العباس ببغداد، وأول من ملك منهم أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان، ثم أخوه إبراهيم بن حمدان، ثم أخوه سعيد ونصر أبناء حمدان، ثم استولى على الشام وحلب سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء بن حمدان، ثم لؤلؤ المولى سعد الدولة بن حمدان، وبقي حتى غلبه صالح بن مرداس أمير بني كلاب وانتزعه منه في سنة (٤٠٢هـ/ ١٠١١م)؛ ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب (ج١/ ٢٣٦).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٧).

(٣) سيس: بلد من مدن الثغور الشاميّة بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة، وبها تصنع الثياب الدبليزية؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٩٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٩٨)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٨٤).

(٤) ديارُ بَكْرٍ: هي بلاد كبيرة، ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام والعراق، قصبتها الموصل وحران وبها دجلة والفرات تنسب إلى بكر ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٤٩٤)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٣٦٨)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٥٤٧)؛ ابن الوردي، خريدة العجائب (ج١/ ١١٢).

(٥) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٨).

عليها في الشرب، وبها نهر قديم يسمى "قويق"[١]، ونهر الساجور[٢] الذي ساقه السلطان محمد بن قلاوون إليها ليفيد حاجات سكانها[٣].

وأما أعمالها ثلاثة وعشرون عملاً، فمنهم القلاع والحصون، ومنهم ما ليس له قلعة، وهم:

أ- عمل مدينة "شيزر"[٤].

ب- عمل قلعة "الشغر[٥] وبكاس"[٦].

ت- عمل قلعة "القصير"[٧].

ث- عمل [دبر كوش][٨].

ج- عمل "حارم"[٩].

ح- عمل "أنطاكية"[١٠].

---

(١) نهر قويق: نهر حلب ينبع من قرية سنياب على طريق دابق، ثمّ إلى حلب؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج٢/ ٦٤٨- ٦٤٩)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٤١٧)؛ ابن الوردي، خريدة العجائب (ج١/ ١٠٨).

(٢) الساجور: نهر بكورة منبج من جند قنسرين، وساقه السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى مدينة حلب؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ١٧٠)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٦٨١).

(٣) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٦٨).

(٤) شيزر: مدينة يشقّها النهر المقلوب، عليه القنطرة، كثيرة الفواكه، قريبة من حماة وحمص، ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٩٤)؛ البكري، معجم ما استعجم (ج٣/ ٨١٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٨٣).

(٥) الشُّغْرُ: قلعة حصينة مقابلها قلعة بكاس على رأس جبلين، بينهما واد كالخندق، وهما قرب أنطاكية؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٥٢)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٨٥).

(٦) بَكَاسُ: قلعة من نواحي حلب على شاطئ العاصي، ولها عين تخرج من تحتها، تقابلها الشّغر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٧٤)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢١٣).

(٧) حصن القصير: حصن بالشام بناه الأمير علاء الدين الكردي؛ ينظر: ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٨٥).

(٨) ذكرت بالكتاب **دبر كوش**؛ والصواب **در كوش:** قلعة من نواحي حلب؛ ابن شمائل، مرصد الاطلاع (ج٢/ ٨٠٧).

(٩) حارِمٌ: حصن حصين وكورة تجاه أنطاكية، من أعمال حلب، وفيها أشجار كثيرة ومياه، وسميت حارم لحصانتها حيث يحرمها العدوّ وتكون حرماً لمن فيها؛ ينظر: الحموي، معم البلدان (ج٢/ ٢٠٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٣٧١).

(١٠) مدينة أنطاكية: مدينة على نهر العاصي، فتحها أبو عبيدة بن الجرّاح، وأسكنها المسلمين، وهي في لحف جبل، وعليها سور من حجارة يدور بسهلها، وهي الآن ضمن الحدود التركية؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٦٥)؛ البكري، المسالك (ج١/ ٤٦١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢٦٦- ٢٧٠)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٥٠)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ١٢٤- ١٢٥)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٨٤).

خ- عمل مدينة "عينتاب"[١].

د- عمل قلعة "بغراس"[٢] ثغر الأرمن.

ذ- عمل قلعة "الدربساك"[٣].

ر- عمل قلعة "الروندان"[٤].

ز- عمل قلعة "حجر شغلان"[٥].

س- عمل مدينة "[بهنسى]"[٦].

ش- عمل قلعة "كركر"[٧].

ص- عمل قلعة "الكختا"[٨].

ض- عمل قلعة "البيرة"[٩].

---

(١) عينتاب: مدينة من جند قنّسرين شمال حلب، وهي مدينة واسعة الأرجاء، كثيرة المياه والبساتين، ذات أسواق، وبها قلعة حصينة منحوتة في الصخر؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٢٥- ١٢٦).

(٢) بَغْرَاسُ: مدينة بجانب جبل اللّكام، في البلاد المطلّة على طرسوس، في الجبل المطل على حارم؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٦٩)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج٢/ ٦٥٢)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٦٧).

(٣) عمل الدربساك: قلعة من جند قنّسرين شمال حلب، حصينة ذات أعين وبساتين، وبها مسجد، ومزارع حسنة المنظر، كثيرة العشب؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٢٦).

(٤) الرّاوَنْدَان: قلعة حصينة على جبل مرتفع، وكورة طيبة بها مزارع من نواحي حلب؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ١٩)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٥٩٨)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٢٦).

(٥) حجر شُغْلان: حصن في جبل اللّكّام قرب أنطاكية مشرف على بحيرة يغرا، وهي قلعة شمال حلب، بالقرب من بغراس في جهة الشّمال وهو لفرسان الداوية الصليبيين؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٢٢٤)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٣٨٣)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٢٨).

(٦) ذكرت بالكتاب **بهنسى**؛ وهي مدينة بصعيد مصر، وهذا لا يعقل أن تقع ضمن أعمال مدينة حلب؛ والصواب **بَهَسْنا**: قلعة حصينة بقرب مرعش وسميساط، من أعمال حلب؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥١٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢٣٤)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٢٥).

(٧) كَرْكَرُ: قلعة أقصى الشام شّمال حلب، وهو حصن بين سميساط وحصن زياد؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٤٥٣)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١١٥٩)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٢٥).

(٨) الكختا: هي قلعة أقصى الشام من جهة الشّمال بشرق من حلب، وهي قلعة حصينة، وملطية غربها، وكركر في شرقها، وكانت أحد ثغور الإسلام في وجوه التتار؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٢٤).

(٩) البِيرَةُ: بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرّومية، وهي قلعة حصينة، وكانت للملك الزاهر مجير الدين أبي سليمان داود بن الملك الناصر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥٢٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢٤٠)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٤٢).

ط- عمل قلعة "المسلمين"[1].

ظ- عمل "تيزين"[2].

ع- عمل "منبج"[3].

غ- عمل "[الجول]"[4].

ف- عمل "عزاز"[5].

ق- عمل "سرمين"[6]، ومعها الفوعة[7] وقنسرين[8].

ك- عمل "الباب[9] وبزاعة"[10].

([1]) قلعة المسلمين: سميت قديماً؛ "بقلعة الروم" وهي قلعة من جند قنّسرين في الجنوب الغربيّ من الفرات، والشمال الغربي من حلب، وغرب البيرة، وبها مقام بطرك الأرمن كتاغيكوس؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ١١٠)؛ الحموي، مع البلدان (ج٤/ ٣٩٠- ٣٩١)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١١١٨).

([2]) تِيزِينُ: قرية كبيرة من نواحي حلب، من أعمال قنّسرين، ثم صارت في أيام الرشيد من العواصم مع منبج وغيرها؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٦٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢٨١، ٢٨٥).

([3]) منبج: مدينة بالشام كبيرة ذات خيرات كثيرة، ومدارس، وربط، يحيط بها سور حصين، أهلها يشربون من قنوات؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٤/ ١٢٦٥)؛ ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٢٠٠- ٢٠١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢٠٥)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٧٤)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٣١٦).

([4]) ذُكرت بالكتاب **الحبول** أو **الجول**؛ وذلك غير صحيح، والصواب **الجَبُّولُ**: وهي قرية كبيرة جنب ملّاحة حلب، وبها نهر بطنان؛ وهو نهر الذهب يجمد الملح فيأخذ منه إلى الشام، والجزيرة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ١٠٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٣١٣)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٣١).

([5]) عَزَازُ: بلدة بالشام فيها قلعة، وهي طيبة الهواء والماء؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١١٨)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٢١)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٩٣٧).

([6]) سَرْمِينُ: بلدة من أعمال حلب، سميت بسرمين ابن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢١٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٧١٠)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٧٢).

([7]) الفُوعَةُ: قرية كبيرة من نواحي حلب، وإليها ينسب دير الفوعة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٨٠).

([8]) قِنَّسْرِين: كورة بالشام منها حلب، كانت عامرة آهلة، إلى سنة (٣٥١هـ/ ٩٦٢م)، وغلبت الروم على حلب فخاف أهلها وتفرقوا في البلاد؛ ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض (ج١/ ١٧٧)؛ المهلبي، المسالك (ج١/ ٨٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٤٠٣)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١١٢٦).

([9]) البابُ: يعرف بباب بزاعة؛ بلدة في طرف وادي بطنان من أعمال حلب؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٣٠٣)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ١٤٣).

([10]) بزاعَةُ: بلدة من أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب، وفيها عيون ومياه جارية وأسواق؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٤٠٩)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ١٩٢).

٦. مدينة طَرَابُلس:

بنيت مدينة أطرابلس عند الفتح الإسلامي؛ عوضاً عن أطرابلس العتيقة[١]، وكانت تسمى قديماً "بدار العلم"، وتداولها ملوك بني عمار، وكانوا في الأول لهم القضاء بها، ولما بنيت أطرابلس الجديدة، وكثر الناس والدواب، وصرفت المياه التي كانت حولها إلى البساتين والمزروعات التي لم تكفَ حاجة سكانها، أصبحت ذميمة المسكن، ويذكر العمري أن بها نهر يحكم على ديارها، ويخترق الماء مواضع من أعلى بيوتها، وحولها جبال شاهقة، صحيحة الهواء، خفيفة الماء، ذات أشجار ومزروعات وأغنام ومعز[٢].

ويصف العمري مدينة طرابلس في زمانه قائلاً: أنها مدينة كبيرة ومزدحمة بالناس، وبها مارستانين، ومساجد، ومدارس، وزوايا، وحمامات، وجميع مبانيها بالحجر والكلس الأبيض من الداخل والخارج، ويحيط بها غوطتها التي بها المزروعات الجميلة المنظر، وهي ذات جيش وتركمان، وخاصة لأهل الجبال؛ ومحترفين الرمي على القوس وأنواع من السلاح، ولها حصون وقلاع، وتجاورها قلاع الدعوة المعروفة[٣]، وبقاعدتها مصياف ومن جملتها؛ "قلعة القدموس"[٤]، وبها حمام يخرج منه ثعابين كثيرة، حتى إن الجالس في داخلها ليغتسل يراهم تخرج من الأنبوب مع الماء، والخارج من الحمام إذا رفع

---

(١) طْرَابُلُس: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكا، على شاطئ البحر المتوسط، كثيرة الخيرات والثمرات، سورها منحوت في الصخر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٢١٦- ٢١٧، ج٤/ ٢٦)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٤٠٨)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ٣٨٩).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٠- ٣٧١).

(٣) قلاع الدَعوة: سميت بذلك لأنها كانت بيد الإسماعيلية من الشّيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهاديّة؛ وهؤلاء هم المعروفون في ديوان الإنشاء بالقصّاد، وبين العامة بالفداوية، وهي سبع قلاع، عظيمة الشأن، رفيعة المقدار، منيعة وحصينة، وكانت أولاً كلها مضافة إلى طرابلس ثم نقلت مصياف منها إلى دمشق، والبقية على ما كانت عليه من إضافتها إلى طرابلس؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٥١).

(٤) حصن القدموس: أحد حصون الطائفة الإسماعيلية، من عمل طرابلس يخرج منها أنواع كثيرة من الثعابين تظهر من أنابيب مائها وتدخل في ثياب داخلها، ولم يشتهر أنها أضرّت أحداً قطّ؛ ينظر: ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٨٦)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٧٦، ١٥٢).

ملابسه عن الأرض ليلبسها يرى الحيات تتساقط منه، ولا تؤذى أحداً؛ على حد قوله![1].

وبمدينة طرابلس وادي الفوار[2] القريب من حصن الأكراد[3] غرباً بالشمال على الطريق السالكة، وصفته هناك صفة بئر قائمة على الأرض، وفي أسفل البئر سرداب ممتد إلى الشمال يفور كل أسبوع يوماً واحداً لا غير، فتسقى به مزروعاتهم، وينزل عليه التركمان ويردوه، وبقية الأيام يابس لا ماء فيه، ويسمع له دوي كالرعد قبل فورانه، والسرداب خلفه البناء، ويذكر العمري أنه ذُكر له من دخل السرداب؛ أن في نهايته نهراً كبيراً آخذاً من الغرب إلى الشرق تحت الأرض، وله جريان معين، وبه موج، وريح عاصف لا يعرف إلى أين يجري ولا من أي جهة يأتي، وداخل البحر المتوسط بطرابلس عند برج الخصاص؛ فوارة عذبة ماؤها يطلع على وجه الماء، يظهر عند سكون البحر[4].

٧. مدينة صفد[5]:

مدينة في سفح جبل، خفيفة الماء؛ يحمل إليها على الدواب من واديها، وعين الماء التي فيها لا تكفي لأهلها، وأكثر ما يستخدم أهلها حمامات الوادي بها، فحمامات المدينة قليلة الماء وسيئة البناء، وهي على مسافة مئة وستٌ وستون كيلو متر من دمشق، فحكمها حكم دمشق، وكل ما يوجد في صفد مجلوب إليها من دمشق، وصفد إلى جانب عكا، وقد خربت عكا وبقيت صفد هي مدينة الساحل وقاعدتها[6].

([1]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧١).

([2]) وادي الفوّار: بئر قائم في الأرض، وفي أسفل الأرض سرداب ممتدّ إلى الشّمال، يفور في كل أسبوع يوماً واحداً لا غير، فتسقى به أرض المزروعات، وينزل عليه التّركمان للسقايه؛ ويسمع له قبل فورانه دويّ كالرعد، وهو في بقية الأيام يابس لا ماء فيه؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٧٦).

([3]) حصن الأكراد : حصن بنواحي الشام، سكنه فرسان الداوية الصليبيين حيث يحبسون أنفسهم لقتال المسلمين ويمنعون أنفسهم من النكاح، ولهم أموال وسلاح؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٢٦٤)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٦٦)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٤٩).

([4]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧١- ٣٧٢).

([5]) صَفَدُ: مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٤١٢)؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج١/ ٨٧).

([6]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٢).

وبها قلعة لا يوجد لها مثيل، فعندما فتحها الملك الظاهر بيبرس؛ عظم أمرها، ويذكر العمري؛ بأن القلعة بناها فرسان الداوية[١] سنة (٤٩٥هـ/١١٠٢م)، على قرية وتلةً عالية تحت برج اليتيم[٢]، وهي قلعة حصينة على جبل تحيط به جبال وأودية[٣].

ويذكر العمري أن لصفد أحد عشر عملاً وهي:

أ- عمل ولاية "برها"[٤].

ب- عمل ولاية "الناصرة"[٥]، منبع الطائفة النصرانية.

ت- عمل ولاية "طبرية"[٦]، في سفح جبل مطل على البحيرة العذبة التي يقصدها المرضى للاستشفاء من حرارة ماءها، ويخرج منها نهر الأردن[٧]، ومن عملها قدس، وكان بها قديماً السواد[٨]، وبيسان[٩].

---

(١) الداوية: فرقة من القوات الصليبية، ويُعتبروا حماة النصرانية في معبد المسيح، وصفد تعتبر معقل الداوية؛ ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج١٢/ ٤٠٤).

(٢) برج اليتيم: برج بناه الصليبيين على قرية صفد؛ ينظر: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج١/ ٨٧).

(٣) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٢- ٣٧٣).

(٤) عمل برّها: كدمشق وحلب وغيرهما من القواعد المتقدّمة؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٥٦).

(٥) النّاصِرَةُ: قرية قريبة من طبريّة، ولد بها المسيح عيسى بن مريم عليه السّلام، ومنها اشتقّ اسم النصارى؛ ينظر: الهروي، الاشارات (ج١/ ٢٩)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢٥١)؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج١/ ١١١)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٣٤٨)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٥٦)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ٥٧١).

(٦) طَبَرِيّةُ: مدينة في فلسطين على أطراف غور الأردن، وهي مستطيلة على البحيرة عرضها قليل حتى تنتهي إلى جبل صغير، وهي في طرف جبل الطور؛ ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم (ج١/ ١٦١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١٧- ١٩)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٦٠)؛ ابن الوردي، خريدة العجائب (ج١/ ١٠٤).

(٧) نهر الاردنّ: ينحدر من خلف بانياس إلى القدس، ثم إلى طبريّة ويشقّ البحيرة، ثم الأغوار إلى البحيرة المقلوبة؛ ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم (ج١/ ١٨٤).

(٨) السَّوَادُ: موضع قرب البلقاء، سميت بذلك لسواد حجارتها، من أعمال الأردن وبين بلاد الشراة، وهي صغيرة على جبل "عوف" المطلّ على الغور؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٧٢)؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج١/ ٧٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٧٥٠).

(٩) بَيْسَانُ: مدينة بشمال فلسطين، وبها عين الفلوس؛ فيها ملوحة قليلة، كثيرة النخل، أهلها سمر الألوان جعد الشعور لشدة الحرّ؛ ينظر: الزمخشري، الجبال والأمكنة (ج١/ ٦١)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٥٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥٢٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢٤١).

ث- عمل ولاية تبنين وهونين[1]، وهما حصنان منيعان بناهما الصليبيين بعد (٥٠٠هـ/ ١١٠٧م)، وهما من جبل عاملة بين بانياس، وصور[2].

ج- عمل ولاية "عثليث"[3].

ح- عمل ولاية "عكا"[4].

خ- عمل ولاية "صور".

د- عمل ولاية "الشاغور"[5].

ذ- عمل ولاية "الإقليم"[6].

ر- عمل ولاية "شقيف أرنون"[7]؛ وعليها قلعة حصينة يقاربها شقيف أرنون، وهو حصن منيع، وليست من صفد[8].

ز- عمل ولاية "جنين"[9].

---

(١) تِبنِينُ وهونين: حصنان في جبال بني عامر المطلّة على بانياس بين دمشق وصور؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ١٤)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢٥٣).

(٢) صور: مدينة في لبنان على ساحل البحر المتوسط، كثيرة الخيرات، وتعرف مدينة صور بين مدن ساحل الشام بالثراء، ومعظم سكانها شيعة؛ ينظر: ابن جبير، الرحلة (ج١/ ٢٥٠)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٤٣٤)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢١٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٨٥٦).

(٣) عَثْلِيثُ: حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر، فتحه الملك الناصر يوسف بن أيوب سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٨م)، وهو كورة بين قاقون وعكّا؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٨٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٩٢٠)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٥٧).

(٤) عَكّا: مدينة على ساحل البحر المتوسط، بناها عبد الملك بن مروان، ولم تكن حصينة حتى قدمها ابن طولون فقام ببنائها وتحصينها؛ ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم (ج١/ ١٦٢- ١٦٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ١٤٤- ١٤٥)؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج١/ ٩١- ٩٢)؛ الحميري، مراصد الاطلاع (ج١/ ٤١٠).

(٥) الشّاغُورُ: محلّة بالباب الصغير من دمشق مشهورة وهي في ظاهر المدينة، وهي كورة بين عكّا وصفد والناصرة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣١٠)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٧٧٤)؛ القلقشندي.

(٦) عمل الإقليم: كورة بين دمشق والشّغر والخربة؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٥٩).

(٧) شَقِيفُ أَرْنُونَ: قلعة حصينة قرب بانياس؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٥٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٨٠٧)؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج١/ ٨٨)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٥٩).

(٨) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٤).

(٩) جِنينُ: بلدة أثرية بين نابلس وبيسان، على وادي به ماء نهر يجري في الشمال عن قاقون، في رأس مرج بني عامر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٢٠٢)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٣٦٨).

ومما يذكر فيها: "حيفا"[١] مدينة خراب على ساحل البحر المتوسط، و"قلعة كوكب"[٢]، و"قلعة الطور"[٣] على جبل الطور، بناها العادل أبو بكر بن أيوب، ثم هدمها الصليبيين[٤].

٨. مدينة القدس الشريف:

وهي الأرض المقدسة[٥]؛ مشتملة على مدينة القدس وما حوله إلى نهر الأردن المسمى "بالشريعة"، إلى فلسطين المسماة بـ"الرملة" طولاً، ومن البحر المتوسط إلى مدائن لوط[٦]

---

(١) حَيْفَا: مدينة حصينة على ساحل البحر المتوسط قرب يافا، كان في أيدي المسلمين إلى أن تغلّب عليه جودفري الذي ملك بيت المقدس في سنة (٤٩٤هـ/ ١١٠١م)، وبقي في أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٨م) وخرّبه، ينظر: خسرو، سفرنامة (ج١/ ٥٣)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٣٢)؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج٣/ ١٠٩٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٤٤٢).

(٢) كَوْكَبٌ: قلعة حصينة على الجبل المطل على مدينة طبرية، وتشرف على الأردن؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٤٩٤)؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج١/ ٨٩)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١١٨٨).

(٣) قلعة الطّور: القلعة التي عمرها الملك العادل سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)، وخربها المعظم سنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م)، خوفاً من سيطرة الصليبيين عليها، وتكون سبباً في سيطرتهم على دمشق؛ ينظر: العمري، مسالك الأبصار (ج٢٧/ ٢٢٢)؛ المنهاجي، إتحاف الأخصا (ج١/ ٢٨٣)؛ كرد علي، خطط الشام (ج٢/ ٨٠).

(٤) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٤).

(٥) بيت المقدس: المدينة على جبل بين جبال عالية، بها قرى لها زروع وأشجار في الجبال، وفيها أسواق وعمارات حسنة، وعليها سور دائر، والمسجد في طرف المدينة القبلي من شرقيّها، قد بنى على سفح الجبل، فمنه قطعة كان الجبل عالياً عليها فوطئت، والقطعة القبلية كانت مستقلّة فأقيمت أعمدة وأسقف عليها حتى اعتدلت بأرضه، وفى وسط المسجد جبل صغير أعلاه الصّخرة المشهورة التي كان بنو إسرائيل يقرّبون عليها القربان، وهى القدس؛ وقد بنى عليها من حولها بناء مثل الدكة، لها درج من جهاتها الأربع، يصعد إليها منها، والصخرة في وسطها بقيت أعلى ما حولها بشيء يسير، قد بنيت عليها قبة في غاية الارتفاع والسعة على أعمدة دائرة والبناء عليها، وحول القبّة رواق دائر يتّسع له أربعة أبواب، يخرج منها إلى المصطبة المذكورة، ومن جهة القبلة، كأنها من بناء النصارى والمنبر والمحراب في صدرها، وقد كان الصليبيين قصدوها من سنة (٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م)؛ خرجوا من وراء البحر، فملكوا الساحل وقصدوا بيت المقدس؛ فأقاموا عليها قرابة أربعين يوماً، ثم ملكوها، ودخلوها في ٢٣ شعبان من ذات السنة، والتجأ الناس إلى المسجد الأقصى فقتل فيه ما يزيد على سبعين ألفاً، ثم استردها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، وأحكم أسورها، فلما خرج الصليبيين في سنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م)، وتملّكوا دمياط قام الملك المعظم بخراب أسواره؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ١٦٦- ١٦٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٢٩٦- ١٢٩٧).

(٦) مدائن لوط: مدينتي سادوم وعامورا، وبشرق حرم خليل الرحمن تربة لوط عليه السلام، على تل مرتفع يشرف على غور الأردن، وبهما بحيرة لوط "زغر" شديدة الملوحة، وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين؛ وبمقربة=

عرضاً، وغالبها جبال وأودية، أما مدينة "القدس الشريف"، فهي مدينة مستديرة على جبل في وسطها السور المحيط على "الصخرة"، والمسمى "المسجد الأقصى"، الذي يحيط به السور المعروف "بالسور السليماني"، ويشرف عليها من شرقيها جبل أعلى منها يفصل بينهما الوادي المعروف بـ"وادي جهنم"، ويعرف بالطور، وبه موضع بنا الرومان، ويقال؛ أن منه كان صعود المسيح عليه السلام[١].

ويذكر العمري أن في مدينة القدس وادي يسمى "عين سلوان"[٢]، ويخرج من الجبل الذي عليه بناء مدينة القدس، ويدخل إلى ذلك الجبل، ثم يخرج من صدع في الجبل إلى ساحة في الجبل لا يرى إلا جدولاً جارياً، والنبع من داخل الصدع، ثم يمشي إلى الوادي ويسقي الأرض، وماؤه قليل[٣].

ويصف العمري مدينة القدس بأن مبانيها من الحجر والكلس، وأغلب حجارتها سوداء، وأرضها وعرة، وكان بها آثار بقلعة قديمة خربة، جددت في أيام السلطان محمد بن قلاوون، سنة (٧١٠هـ/ ١٣١١م)، على يد بكتمر الجوكندار[٤]، وبالقدس؛ مدارس، وربط، وزوايا، وترب، وللمسجد الأقصى أوقاف كثيرة جارية على مصالحه، والمؤذنين،

=من بابه موضع منخفض محراب لا يتسع إلا مصلياً واحداً، ويقال إن إبراهيم سجد فيه شكراً لله تعالى عند هلاك قوم لوط؛ ينظر: ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٤٣)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ٤٣١).

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٥).

(٢) سلْوَانُ: عين ماء تنبع من الصخر تسمى عين سلوان، ويقال إن من يستحم من ماء هذه العين يشفى من الأوصاب والأمراض المزمنة، وهي محلة بقرب بيت المقدس، بها عين عذبة تسقى البساتين والمزروعات، وأقفها عثمان رضى الله عنه لضعفائها، وتحتها بئر أيوب؛ ينظر: خسرو، سفر نامة (ج١/ ٥٧)؛ الهمداني، الأماكن (ج١/ ٧٠٦)؛ الهروي، الاشارات (ج١/ ٣٣)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٢٤١- ٢٤٢)؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج١/ ١١١)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٦٣)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٠٤).

(٣) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٥).

(٤) بكتمر الجوكندار: الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار كان السلطان يدعوه يا عمي، وله ولد يعرف بمحمد كان هو والسلطان محمد بن قلاوون لا يتفارقان ويدعوه أخي، وكان بكتمر أحد الأمراء الذين يشار إليهم أيام سلار والجاشنكير ثم إنهما عملا عليه وأخرجاه إلى قلعة الصبيبة نائباً، فأقام بها مدة، وعندما مات سنقر شاه المنصوري نائب صفد حضر إلى صفد نائباً، ولما حضر السلطان محمد بن قلاوون من الكرك لاقاه إلى دمشق وتوجه معه إلى القاهرة واستقر نائب السلطان بمصر؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٠/ ١٢٤- ١٢٥)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٢/ ٢٠- ٢١)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج٣/ ٣٩٨- ٣٩٩).

وجماعة العلماء والقراء، وفي القدس لكل الملل معتقداً وإليه توجهها، فاليهود تزوره، والنصارى تحج به قمامة[١]، وتزور كنيسة بيت لحم[٢]؛ مولد عيسى عليه السلام[٣].

ويذكر العمري أنه بعد خروج الصليبيين منها، غلب عليها الهدم والخراب، فقام نائب السلطان بالشام بإعمارها، فساق إليها قناة ماء تنتهي إلى بركة، حيث كانت المدينة تعاني قلة الماء، فجعلها تجري إلى المدينة وتدخل سور المسجد الأقصى وتجري به، وعمّر مدرسةً ووقفها على مدارس وفقهاء على مذهب الإمام أبي حنيفة[٤]، وجعل بها مكتب للأيتام، وعمّر بها حمامين؛ لسوء ما كان بها من حمامات، وأنشأ بها الأسواق والعمائر، فأصبحت مدينة القدس ضاحية آهلة الرحاب، وعادت إلى ما كانت عليه من التمدن بعد خرابها[٥].

٩. مدينة الخليل[٦]:

هي مزرعة إبراهيم، فيصفها العمري بأنها غير مسورة، تبعد حوالي ثلاثة وثمانون كيلو

---

(١) قمامة: كنيسة القيامة؛ ويسميها المسلمون قمامة، وهي الكنيسة التي يحج إليها النصارى، وكانت مكان توضع به قمامة البلد وتقطع به أيدى المفسدين، وتصلب به اللصوص،؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٥٨)؛ الهروي، الاشارات (ج١/ ٣٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٣٩٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١١٢١)؛ ابن الوردي، خريدة العجائب (ج١/ ١٠٢)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ٤٧٢).

(٢) كنيسة بيت لحم: بهذه الكنيسة آثار وعمارة جميلة من الرخام والفص المذهب والعمد، وبيت لحم بلد بها مولد عيسى عليه السلام، ويقال: إن داود وسليمان عليهما السلام قبورهما فيها؛ الهروي، الاشارات (ج١/ ٣٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥٢١)؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج١/ ١١١)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٥٩)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج١٣/ ٢٨٦)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ١٢٣).

(٣) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٥).

(٤) أبو حنيفة: وهو النعمان بن ثابت، أحد الأئمة الأربعة، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، وكان خزازاً يبيع الخز، وقدم بغداد توفي سنة (١٥٠هـ/ ٧٦٧م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/ ٢٣٣)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج٨/ ٨١)؛ العجلي، الثقات (ج٢/ ٣١٤)؛ البغدادي، تاريخ بغداد (ج١٣/ ٣٢٥- ٣٢٦)؛ السلماسي، منازل الأئمة (ج١/١٦٣- ١٦٨)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٥/ ٤٠٥- ٤١٣).

(٥) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٦).

(٦) الخَليل: بلدة فيها حصن وعمارة وسوق، فيه قبر الخليل إبراهيم عليه السلام، في مغارة تحت الأرض، وهناك مشهد وزوّار وقوّام في الموضع وضيافة للزوّار، وبالخليل سمّي الموضع واسمه الأصلي حبرون، وقيل حبرى؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٣٨٧)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٨٧- ١٨٨)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٤٨٠)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٤٠- ٢٤٣)؛ ابن الوردي، خريدة العجائب (ج١/ ١٠٤).

متر عن مدينة القدس، وهي منطوية بين جبال، لا في صحراء ولا في وادٍ، وهي قرية أم عمل، ويذكر العمري أنه لولا مكان الخليل عليه السلام فيها لما ذُكرت فيما تذكر، وأجرى بكتمر الجوكندار قبل أن يكون كافل الممالك إليها؛ عينَ ماءٍ كانت على بعد منها، ويذكر العمري أنه شاهد الماء جارياً، يصعد إليها عالياً، ويحيط بقبر الخليل عليه السلام سور، وداخل السور يوقد فيه قنديل، ويذكر أنه يسميه العامة "صاحب السرداب والقنديل"[١].

١٠. مدينة الكرك:

يذكرها العمري بأنها مدينة ذات قلعة تعرف بـ" كرك الشوبك"، والشوبك[٢] أقدم منها، والكرك في زمانه مدينة حديثة البناء، كانت ديراً للرهبان، ثم كثروا فكبروا بناءه، وكثروا أبناءه، وأوى إليهم أناس من النصارى، فأقاموا الأسواق، وأوى إليه الصليبيين فبنوا أسواره، فأصبحت مدينة مشهورة، ثم بنو حصن الكرك فكان قلعة، وبقى به الصليبيون حتى فتحه السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله[٣].

ويصفها العمري بأن شرب أهلها من مياه الأمطار، وبها وادٍ تتفجر من عيونه الماء، وهو بلد خصب به مزروعات وأشجار، ويقول العمري: "ومما فتحه الله على سلطاننا؛ بلاد الكرك، وما أدراك ما هو، قلعة كانت على الإسلام أية مضرة، بل كانت لكعبة الإسلام زادها الله شرفاً أية صرة، وإن نعم الله لأكثر من أن يقصر لها حديثاً، وأن الله قد أعشى ليل الشرك نهار الإسلام بطلبه حثيثاً، وما أشك في أن أهل الحرم الشريف مع الرماة رماة بسهام الأسحار ومجاهدون، وبالمجاورة ما خرجوا ولا بعداً عن البيكاد"[٤].

وجملة أعمال الكرك فهي أربعة[٥]:

أ- عمل "زغر"؛ وهي مدينة قديمة حارة متصلة بالبادية.

---

(١) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٦).

(٢) الشَّوْبَكُ: قلعة في أطراف الشام بين عمّان والعقبة والبحر الأحمر: الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٣٧٠).

(٣) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٧).

(٤) المصدر السابق (ص ٣٧٨).

(٥) المصدر السابق (ص ٣٧٩).

ب- عمل "معان"؛ وهي مدينة قديمة خربت هي وعملها.

ت- عمل "مؤتة"[1]؛ بها موقعة مؤتة، وقبر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

١١. مدينة الشَّوْبَكُ:

مدينة صغيرة منسوب إليها الكرك، ذات جداول وأنهار، وأبراجها عالية، ويذكر العمري بالقول أنها كما قال الله تعالى: "في الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة[2]"، وتم فتح الشوبك وقت فتح الكرك، بعد أن دام الحصار سنتين على الكرك، وأقطعهما الملك الناصر لأخيه الملك العادل[3]، ولم يزالا في يده حتى أعطاهما لولده الملك الفائز إبراهيم المعظم عيسى[4]، فصرف إليهما العناية حتى ترك الكرك، وجلب إلى الشوبك غرائب الأشجار، وجعلها تضاهي دمشق في روائها وتدفق مائها وطيب هوائها[5].

١٢. مدينة غزة[6]:

يذكرها العمري وكتابه مسالك الأبصار بأنها؛ مدينة بين مصر ودمشق، مبنية بالحجر

---

(١) مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وقيل: موتة من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف المسماة المشرفية؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٤/ ١١٧٢)؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة (ج١/ ٢٩٩)؛ الهمداني، الأماكن (ج١/ ٨٦٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢٢٠)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٧٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٣٣٠)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ٥٦٥).

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾؛ [الواقعة: ٣٢، ٣٣].

(٣) الملك العادل: أخ السلطان صلاح الدين الأيوبي، فعندما خرج العادل من مصر إلى الكرك لقتال الصليبيين، طلب من أخيه السلطان ولاية حلب وأعمالها، فأعمله عليها سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)؛ ينظر: الأصبهاني، البرق الشامي (ج٥/ ١٦٢)؛ شاهنشاه، مضمار الحقائق (ج١/ ١٥٤)؛ ابن الأثير، الكامل (ج٩/ ٤٧٧- ٤٧٨)؛ ابن شداد، النوادر السلطانية (ج١/ ١١١).

(٤) كان العادل قد قسم البلاد في حياته بين أولاده سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، فجعل بمصر الملك الكامل محمد؛ وبدمشق، والقدس، وطبرية، والأردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لابنه المعظم عيسى؛ وجعل بعض ديار الجزيرة وميافارقين وخلاط وأعمالها لابنه الملك الأشرف موسى، وأعطى الرها لولده شهاب الدين غازي، وأعطى قلعة جعبر لولده الحافظ أرسلان شاه؛ ينظر: ابن الأثير، الكامل (ج١٠/ ٣٢٧- ٣٢٨)؛ ابن نظيف، التاريخ المنصوري (ج١/ ٧٦)؛ الذهبي، العبر (ج٣/ ١٦٧).

(٥) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٨).

(٦) مدينة غزة: مدينة صغيرة في فلسطين غرب عسقلان؛ ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٢٥١)؛ الهروي، الاشارات (ج١/ ٣٧)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٠٢)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٢٧)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٩٩٣- ٩٩٤)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ٤٢٨).

والكلس، موثقة البناء على مرتفع عالٍ عن سطح البحر المتوسط، ذات هواء جميل، وماؤها لا يستلذ فيشرب أهلها من الآبار، وبها مجمع لمياه الأمطار يدوم به ماء الشتاء، وبها مارستان بناه السلطان محمد بن قلاوون، وبها مدارس وترب، وبها زرع وماشية، وموضع حاضرة وبادية، وبها طائفة من العسكر والعرب والتركمان، وهي آخذة بالبر والبحر بجانبيها، متصلة بسيناء "تيه بني إسرائيل"[(١)(٢)].

ويذكر العمري أن أصل أهل مدينة غزة "عشران، في قتال دائم، ولولا مخافتهم من الدولة لما خمدت فيها معاركهم، لا يطمئن فيها ساكن، ولا يستقر ظاهر ولا باطن"[(٣)]!، فبعدما ذكر ابن فضل الله العمري في كتابه؛ لأهل مدينة غزة بتلك الصفات، كان حافزاً لي للبحث في المصادر التاريخية[(٤)]، وكتب الجغرافيا والبلدان[(٥)] في تلك الفترة وما قبلها؛ للتأكد من صحة ما ذكره، فلم أجد من يذكر غزة وأهلها بسوء، عدا القلقشندي في كتابه صبح الأعشى؛ الذي ذكر أنه اعتمد فيه كثيراً على النقل من كتاب العمري "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"؛ وبذلك لا أتوافق مع حديث العمري عن تلك المدينة؟!.

١٣. البلاد الجهانية[(٦)]:

---

(١) تيهُ بني إسرائيل: الموضع الذي ضلّ فيه موسى عليه السلام، وقومه، وهي أرض بين العقبة ومصر والبحر الأحمر وجبال السراة من الشام، ويقال إن بني إسرائيل دخلوا التيه، وماتوا في أربعين سنة؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٦٩)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٧٤)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ١٤٧).

(٢) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٩).

(٣) المصدر السابق (ص ٣٧٩).

(٤) ينظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج٤/ ٥٧– ٥٨)؛ ابن الوردي، التاريخ (ج٢/ ٢٤٩)؛ ابن خلدون، التاريخ (ج٥/ ٢١٠).

(٥) ينظر: ابن خرداذبة، المسالك (ج١/ ٢١٩)؛ اليعقوبي، البلدان (ج١/ ١٦٨)؛ الإصطخري، المسالك (ص ٥٨)؛ ابن حوقل، صورة الأرض (ج١/ ٩٠، ١٤٤، ١٧٢)؛ المقدسي، أحسن التقاسيم (ج١/ ١٧٤)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٢٥١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٢٠٢– ٢٠٣)؛ المغربي، الجغرافيا (ج١/ ٤٠)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٧٧)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٣٩).

(٦) البلاد الجهانية: تنسب إليها الفتوحات الجاهانية، وهو نهر جيحان، ويمرّ بسيس، ويسير من الشّمال إلى الجنوب حتّى يبلغ المصيّصة من المشرق إلى المغرب، ويتجاوز المصّيصة ويصبّ بالقرب منها في البحر المتوسط؛ ينظر: البكري، المسالك (ج١/ ٢٣١)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ١٩٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٣٦٤)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٨٦)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ١٨٥).

يذكر العمري أن؛ نيابة مدينة "إياس"[١]، وآهلة بالسكان، "[كاروه]"[٢]، و"اسفندكار"[٣]، ونصف "المصيصة"[٤]، لأن الذي استقر للمسلمين هو كل ما هو إلى هذه الجهة الشامية من جهان، ونصف أذنه[٥] منه، ونصفها الآخر قاطع جهان من جهة الأرمن فهو لهم، أما ما خربه المسلمون وبقي عمله لهم فهو؛ الهارونية[٦]، و[حميص][٧]، وتل حمدون[٨]، و[النقير][٩]، وكل ذلك من دون جهان إلى الشام، ويذكر العمري في

---

(١) مدينة إياس: مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر المتوسط، وهي نيابة نحو حمص، وجعل أمرها إلى نائب الشام، ثم جعلت إلى نائب حلب، وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية إضافة إلى نهر جاهان المجاور لها؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٣٨).

(٢) ذكرت بكتاب العمري **كاروه**، وهذا غير صحيح؛ والصواب **كاورا:** قلعة في الشمال عن آياس على جبل مطلّ على البحر المتوسط؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٤٠).

(٣) اسفندكار: أو سرفندكار أو سروندكار؛ وهي قلعة حصينة من بلاد الأرمن، في واد يحيط بها صخر، وهي قرب نهر جيحان من الجنوب، وفي الشرق من تل حمدون؛ ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى (ج٤/ ١٣٩).

(٤) المصّيصة: ثغر من ثغور الشام، مدينتان على ضفتي نهر جيحان، وبينهما قنطرة من حجارة، والأولى المصيصة، والأخرى كفربيا، ولهما بساتين وزروع متصلة ونهرها جيحان يخرج من بلاد الروم حتى يصل المصيصة، ثم رستاق حصن الملون فيقع في البحر المتوسط؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٤/ ١٢٣٥)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج٢/ ٦٤٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ١٤٥)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٥٦٤)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٢٨٠– ١٢٨١)؛ الحميري، الروض المعطار (ج١/ ٥٥٤).

(٥) أذنة: بلد من الثغور قرب المصّيصة، بناها هارون الرشيد، وأتمها الأمين، وبها كانت منازل ولاة الثغور لسعتها؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٣٢– ١٣٣)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٤٨).

(٦) الهَارُونِيّةُ: مدينة صغيرة قرب مرعش، بالثغور الشامية في طرف جبل اللّكّام، استحدثها هارون الرشيد، عليها سوران وأبواب حديد، خرّبها الروم؛ فأرسل سيف الدولة غلامه غرقويه فأعاد عمارتها؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ١٠٧)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٣٨٨)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٤٤٨).

(٧) ذكرت بكتاب العمري **حميص**، وهذا غير صحيح؛ والصواب **حميمص:** وهي قلعة خراب صغيرة بالقرب من نهر جيحان؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٤٢).

(٨) تل حمدون: قلعة ببلاد الأرمن، بالقرب من جيحان في جهة الجنوب، كانت قبل أن يخرّبها المسلمون قلعة حصينة على تلٍّ عالٍ، ولها سور مانع وبها بساتين، ؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٤١).

(٩) ذكرت بكتاب العمري؛ **النقير:** وهو موضع بين الأحساء والبصرة، وليس من بلاد الشام؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم (ج٤/ ١٣٢٣)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٣٠١)؛ والصواب؛ **النقيب:** موضع في بلاد الشام بين تبوك ومعان على طريق حاجّ الشام؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٣٠١)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٣٨٦).

كتابه مسالك الأبصار أنه؛ استجد قلعة جعبر[١] وهي شرق الفرات، وقلعة درندة[٢] وهي قاطع بهنسا[٣] إلى الروم[٤].

١٤. مدينة الرملة[٥]:

بناها سليمان بن عبد الملك بن مروان[٦]، حيث كان والياً على مدينة فلسطين قبلها، عندما ولاه أبيه وهو صبي، وكان هناك كنسية تسمى "لد"، وكان بجانبها بستان جميل، وكثير الفواكه، وكان سليمان يستحسن الجلوس فيه ويستطيبه، فقال يوماً للشيخ رجاء بن حيوة[٧] – الذي يرجع إليه رأيه–، أحب أن تشتري لي هذا البستان للبناء فيه،

---

(١) جَعْبَرٌ: قلعة جعبر على الفرات بين بالس والرّقّة قرب صفّين، وكانت قديماً تسمّى دوسر؛ ينظر: المهلبي، المصدر السابق (ج١/ ٦٦)؛ الهروي، الاشارات (ج١/ ٥٨)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ١٤١).

(٢) درندة: مدينة غرب ملطيّة، قرب حلب؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٣٧).

(٣) ذكرت بالكتاب **بهنسى**؛ وهي مدينة بصعيد مصر؛ وهذا غير صحيح لأنها ليست بالشام، والصواب **بَهَسْنا:** قلعة حصينة قرب مرعش وسميساط، من أعمال حلب، في الغرب والشّمال عن عينتاب؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ٥١٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٢٣٤)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٢٥).

(٤) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٧٩).

(٥) الرّملة: قصبة فلسطين، بقرب بيت المقدس، والرملة لم تكن مدينة قديمة وإنما كانت المدينة لدّ، فأخربها سليمان بن عبد الملك وبنى مدينة الرملة، و"لدّ" في ناحية المشرق وكان لعبد الملك داراً بالرملة، وساق لها قناة ضعيفة للشرب منها، وأكثر شربهم من الآبار العذبة، ومن صهاريج يجتمع فيها مياه المطر في سهل من الأرض؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٩٤)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ٣٥٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٣/ ٦٩)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٦٣٣)؛ ابن بطوطة، الرحلة (ج١/ ٢٥٤).

(٦) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي؛ وولي سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م)، وكان الناس يتباركون به ويسمونه مفتاح الخير، لأنه أذهب عنهم سنة الحجاج، وأطلق الأسرى، وأخلى السجون وأحسن إلى الناس؛ ينظر: الكلاباذي، رجال صحيح البخاري (ج١/ ٢٠٠)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٢/ ٤٢٠– ٤٢٥)؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق (ج١٠/ ١٧٠– ١٨١)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٢/ ١١٠٨)؛ سير أعلام النبلاء، (ج٥/ ١١١– ١١٣)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٢/ ٦٨– ٧٠).

(٧) كان رجاء بن حيوة يكنى أبا نصر، وكان عابداً وحكيماً، وكانت الخلفاء تعرفه بفضله فيتخذونه وزيراً ومستشاراً على عمالهم وأولادهم، وكانت له منزلة عند سليمان بن عبد الملك، فكان يثق به ويستريح إليه؛ ينظر: ابن رافع، سيرة عمر بن عبد العزيز (ج١/ ١٢٣)؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/ ٤٥٤)؛ البخاري، المصدر السابق (ج٣/ ٣٢١– ٣٢٢)؛ ابن حبان، الثقات (ج٤/ ٢٣٧– ٢٣٨)؛ الأصبهاني، سير السلف (ج١/ ٧٦٨)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٢/ ٣٠١– ٣٠٢)؛ الذهبي، الكاشف (ج١/ ٣٩٥)؛ تاريخ الإسلام (ج٣/ ٢٣٤)؛ سير أعلام النبلاء (ج٤/ ٥٥٧).

وكان البستان للقسيس الذي يتولى أمر الكنيسة، فعندما حضر القاضي والشهود ليشتري سليمان منه البستان، فقال لهم أنه أوقفه للكنسية لا رجعة فيه، ولا شراكة فيه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها(١).

ويذكر ابن فضل الله أن سليمان بن عبد الملك غضب غضباً شديداً، فسار هو ورجاء بن حيوة، فلما وصلا لد وجدا بيتاً من الشعر، وكان الحر قد اشتد فقال له رجاء: فلنذهب لهذا البيت نستريح فيه، فكانت به امرأة أكرمتهم وأحسنت ضيافتهم، وكان اسمها رملة، فاستحسنا الموضع وأمر سليمان ببناء دير للنصارى، ومسجد للمسلمين، فبادر الناس بالسكن في هذا الموضع الذى كان أفضل من لد، فبنى المسلمين والنصارى منازل لهم، وقصور، فبنى سليمان مسجداً صغيراً، وداراً للإمارة(٢).

ويقول العمري: أن رجاء بن حيوة أشار على سليمان بن عبد الملك، أن يبنى مسجداً كبيراً وداراً واسعة، المعروفة "بدار الإمارة"؛ ففعل، ثم أراد سليمان هدم كنيسة لد وأخذ أعمدتها ورخامها للجامع، فراجعه حيوة عن ذلك، فأرسل سليمان بن عبد الملك لوالده يخبره بما فعل القسيس، وما فعلاه من بناء المدينة والجامع، فأعلم ملك الروم بذلك؛ فأنفذ إلى عبد الملك بن مروان داله على موضع أخرج منه أعمدة لم ير مثلها في الاعتدال والحسن ما كفى الجامع وزاد عنه، ويقال: أنه كان في ضيعة من داروم غزة(٣) يقال لها "عمودا"، وسميت المدينة "الرملة" نسبةً إلى المرأة المقدم ذكرها(٤).

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٨٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٨٢).

(٣) الداروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر، والواقف فيها يرى البحر؛ خربها صلاح الدين لما ملك الساحل في سنة (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، ينسب إليها الخمر؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٤٢٤)؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج١/ ١٠٨)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٥٠٨).

(٤) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٨٣).

المبحث الثاني: النظام الوظيفي في مصر والشام.

يذكر العمري الوظائف التي في حضرة السلطان، ويقول: أنه لا يذكر من الوظائف إلا أعيانها، أما صغار الوظائف فيذكر منها جزء[١]، ونحاول أن نذكر ما لم يذكره العمري من الوظائف، ويقول أيضاً: أن جميع الوظائف تنطبق على كل المدن في مملكة مصر والشام، ويبقى الفرق بينهما فقط؛ ما بين المكانين[٢].

أولاً: وظائف أرباب السيوف:

١. النيابة:

يذكر العمري أنه سلطان مختصر؛ فهو نائب عن الحضرة السلطانية، وله مطلق التصرف في كل أمر يراجع في الجيش، والمال، وأخبار البريد، وكل ذي وظيفة في نيابته لا يتصرف إلا بأمره، ولا يُفصل في أمرٍ إلا بالرجوع إليه، وهو يستخدم الجند، ويرتب جميع الوظائف، أما ما هو جليل من الوظائف؛ كالوزراء، والقضاة، وكتابة السر، والجيش فإنه غالباً يُعرض على السلطان من يصلح، وقل أن لا يجاب عليه، وربما سمي أكابرهم هؤلاء النواب "ملك الأمراء"[٣]، وإذا حصلت المنافسة لا يستحقها إلا من هو من دمشق؛ لأنها ليس بالشام قاعدة المُلك سواها[٤].

وأما "النيابة العظمى"؛ فهي نيابة الحضرة، ويسمى هذا النائب "كافل الممالك"[٥]، وهو بمثابة السلطان الثاني، وجميع نواب الممالك تكاتبه فيما تكاتب فيه السلطان، ويراجعونه فيما يراجع به السلطان، ويستخدم الجند دون مشاورة السلطان، ويعين الأمراء بعد

---

(١) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٠٤).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٠٥).

(٣) ملك الأمراء: من الألقاب التي اصطلح عليها لكفّال الممالك من نوّاب السلطنة، كأكابر النّوّاب بالممالك الشامية ومن في معناهم، وذلك أنه قام فيهم مقام الملك في التصرّف والتنفيذ، والأمراء في خدمته كخدمة السلطان، وأكثر ما يخاطب به النوّاب في المكاتبات، وذلك مختصّ بغير المخاطبات السلطانية، أما السلطان فلا يخاطب عنه أحد منهم بذلك؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٥/ ٤٢٧).

(٤) مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٠٦).

(٥) كافل الممالك الإسلاميّة: من ألقاب النائب الكافل؛ وهو النائب بحضرة السلطان؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٦/ ٦٧)؛ السيوطي، حسن المحاضرة (ج٢/ ١٣٠).

مشاورة السلطان، ويسمع الشكوى والقصص، ويصدر مرسوم سلطاني فيه أمر يكتبه عن السلطان، ولكن هناك بعض الأمور المُعضلة لابد له من إحاطة السلطان بها، إما في وقت اجتماعه بالسلطان، أو يرسل له من يعلمه بها ليأخذ أمره[1].

ويذكر العمري أن ديوان الإقطاع وهو الجيش في زمان النيابة؛ ليس لهم خدمة إلا عنده، ولا اجتماع إلا به، ولا اجتماع لهم بالسلطان في أمرٍ من الأمور، أما الوزير، وكاتب السر فقد يراجعانه في بعض الأمور دون بعض، ثم فقدت النيابة بالحضرة السلطانية أوضاعها وبطلت[2].

٢. الحجوبية:

تعتبر وظيفة الحاجب موضوعة، لأن صاحبها ينصف بين الأمراء، والجند تارة؛ بنفسه، وتارة بمشاورة السلطان، وتارة بمشاورة النائب، وإليه تقديم من يعرض ومن يرد، وعرض الجند، أما إن لم يوجد نيابة فهو قائم مقام النواب في كثير من الأمور[3].

وكانت الحجوبية أيام الناصر بن قلاوون ثلاثة حجّاب، فمنهم حاجب الحجّاب؛ ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بأمير حاجب؛ وهو الرتبة الثانية من النائب؛ ومن شأنه الجلوس بدار العدل، ولا يقف كما يقف حاجب الحجّاب بين يدي السلطان بمصر، وإذا خرج النائب عن دمشق في مهمّ أو غيره، كان هو نائب الغيبة عنه، وإذا برز مرسوم السلطان بالقبض على نائب السلطنة، كان هو الذي يقبض عليه ويفعل فيه ما يؤمر به من سجن أو غيره، ويقوم بأمر البلد إلى أن يقام نائب آخر[4].

والحاجبان الآخران؛ رتبهم في المواكب أن يكون حاجب الحجّاب، والذي يليه في الرتبة ميمنة والثاني ميسرة، ثم صاروا في الأيام الظاهرية؛ برقوق خمسة أو ستة، ولم تجر العادة بأن يكتب لأحد منهم مرسوم شريف من الأبواب الشريفة عند ولايته، ولا

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٠٦- ٣٠٧).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٠٧).

(٣) المصدر السابق (ص ٣٠٧)؛ القلقشندي، صبح الاعشى (ج٤/ ٢٠).

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٩٢)؛ السيوطي، حسن المحاضرة (ج٢/ ١٣٤).

مدخل للنائب بها في كتابة ما يوقع لأحد منهم[١].

٣. إمرة جاندار[٢]:

وهو المتسلم بالباب، ومعه البَرْدَدَارية[٣] وطوائف الركابية[٤]، والحراس، والجاندارية، وهو يقدم البريد مع الدودار، وكاتب السر، واذا أراد السلطان تعزيز أحد أو قتله كان على يد صاحب هذه الوظيفة، وهو المتسلم للزردخاناه[٥] التي هي أرفع قدراً في الاعتقالات من السجن المطلق، إما أن يعمل بإخلاء سبيله أو قتله، وصاحب هذه الوظيفة يدور بالزفة حول السلطان في سفره مساءً وصباحاً[٦].

٤. الأستاذدار[٧]:

صاحب هذه الوظيفة يرجع إليه أمر بيوت السلطان، من الشراب خاناه[٨]، والمطابخ،

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٢٢٥).

(٢) أمير جاندار: هو لقب الذي يستأذن على الأمراء وغيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل، وهو مركّب من ثلاثة ألفاظ: أحدها عربيّ وهو أمير، والثاني جان بجيم ومعناه الروح بالفارسيّة والتركية جميعاً، والثالث دار، ومعناه ممسك، فيكون المعنى "الأمير الممسك للروح"، وهو بمثابة الحافظ لدم السلطان فلا يأذن عليه إلا لمن يأمن طرفه؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٥/ ٤٣٣).

(٣) البردادر: وهو الذي يكون في خدمة مباشري الدّيوان، وأصله فردادار؛ وهو مركّب من لفظين فارسيين: أحدهما فردا، ومعناه الستارة؛ والثاني دار، ومعناه ممسك؛ والمسمى "ممسك السّتارة"، وكأنه في أوّل الوضع كان يقف بباب السّتارة ثم نقل إلى الديوان؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٥/ ٤٤٠).

(٤) الركابية: من يكونوا حول السلطان في المواكب مسلحين؛ بالصّماصم، والدّبابيس، واللّتوت، وعمد الحديد، والسيوف، والدّرق، والرماح، والألوية، والأعلام؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٣/ ٥٧٧، ٦٠٠).

(٥) الزردخاناه: الزردكاشية أو أمير سلاح؛ وهو مقدّم السلاحدارية، والمتولي لحمل سلاح السلطان، وهو المتحدّث في السلاح خاناه وما يستعمل بها وما يقدم إليها ويطلق منها؛ ينظر: النويري، نهاية الأرب (ج٨/ ٢٢٧)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١١)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٣/ ٣٨٧).

(٦) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٠٨)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٢٠- ٢١)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٣/ ٣٨٧).

(٧) الإستدّار: هو الذي يتولّى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه، وتمتثل أوامره فيه، وهو مركّب من لفظتين فارسيتين؛ إحداهما "إستذ"، ومعناها الأخذ، والثانية "دار"، ومعناها "الممسك"، والمعنى "المتولّي للأخذ"؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٥/ ٤٢٩- ٤٣٠).

(٨) الشراب خاناه: أو الدواخاناه، أو من يحملون الدواء والعقاقير، وهو بيت يشتمل على أنواع المشروب، والسكّر والأشربة والدّرياقات والسّفوفات والمعاجين والأقراص والأقسما، والفقّاع، والبلح، والأبقال، والحلويّات،=

والحاشية والغلمان، وهو الذي يمشي بطلب السلطان في الساحات والأسفار، وله الحكم في غلمانه، وباب داره، وإليه أمور الجاشنكرية(١)، وإن كان كبيرهم نظيره في الإمرة من ذوي المئين(٢)، وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل بيت في السلطان من النفقات والكساوى، وما يجري مجرى ذلك(٣).

٥. إمرة سلاح(٤):

هو مقدم السلاح دارية، وحمل سلاح السلطان في المجامع، وهو المتحدث في السلاح خاناه، وما يستعمل وما يقدم إليها، وما يطلق منها، وهو من أمراء المئين(٥).

٦. الدودارية(٦):

وظيفته تبليغ الرسائل عن السلطان، وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص إليه، والمشاورة على من يحضر إلى الباب وتقديم البريد، وهو أمير جاندار وكاتب السر، ويأخذ خط السلطان على عموم المناشير والتواقيع والكتب، وإذا خرج عن السلطان

=والجوارشات، والفواكه، وغيرها؛ وأمر هذا البيت الخاصّ معذوق بأمير مجلس، والعامّ بأستاذ الدار؛ فيحتاج مباشر هذه الوظيفة الى ضبط ما يصل إليه من جميع هذه الأصناف؛ ينظر: النويري، نهاية الأرب (ج٨/ ٢٢٤)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٩)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج٣/ ٣٥٠).

(١) الجاشنكير: هو الذي يتذوق الأكل والشراب قبل السلطان أو الأمير؛ خوفاً من أن يدسّ عليه فيه سمّ ونحوه، وهو مركّب من لفظين فارسيين؛ أحدهما "جاشنا" ومعناه الذّوق، والثاني "كير" وهو بمعنى المتعاطي، ويكون المعنى "الذي يذوق"؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٥/ ٤٣٢).

(٢) أمراء المئين: أعلى مراتب الأمراء على تقارب درجاتهم، ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والنوّاب، وكل أمير من أمراء المئين سلطان مختصر في غالب أحواله، ولكل منهم بيوت خدمة كبيوت خدمة السلطان من الطّشت خاناه، والفراش خاناه، والرّكاب خاناه، والزّردخاناه، والمطبخ، والطبلخاناه، عدا الحوائج خاناه فإنها مختصة بالسلطان؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ١٤، ٦١).

(٣) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٠٨).

(٤) أمير سلاح: أمير حمل سلاح السلطان في المجامع، ومسئول السلاح خاناه؛ ينظر: النويري، نهاية الأرب (ج٨/ ٢٢٧)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج٥/ ٤٢٨، ٤٣٤)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (٣/ ٣٨٧).

(٥) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٠٨).

(٦) الدّوادارك: هو لقب الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما، ويتولّى أمرها مع ما ينضمّ إلى ذلك من الأمور اللازمة من حكم وتنفيذ أمور؛ وهو مركّب من لفظين: أحدهما عربيّ وهو الدّواة، والثاني فارسيّ وهو "دار"، ومعناه ممسك، ويكون المعنى "ممسك الدّواة"؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٥/ ٤٣٤).

بمرسوم يكتب ويعين رسالته[١].

٧. **نقابة الجيوش:**

هو أحد الحجاب الصغار، وله تحلية الجند في عرضهم، ومعه يمشي النقباء، وإذا طلب السلطان أو النائب أو الحجاب أميراً لوجه ما، قالوا له: أرسل إليه وأحضره، وإذا أمروا بالترسيم على أحد من هؤلاء أمروه فرسم عليه، وهو ممن يطلب بالخزانة في الموكب وفي السفر[٢].

٨. **الولاية:**

هم أصحاب الشرطة[٣]، والولاة صنفين: الصنف الأول؛ ولاة الشرطة المعروفون بولاة الحرب، والصنف الثاني؛ ولاة القلعة، وهم اثنان: أحدهما؛ والي القلعة وهو أمير طبلخاناه، وله التحدث على باب القلعة الكبير الذي منه طلوع عامة العسكر ونزولهم في الفتح والغلق، والثاني؛ والي باب القلة وهو أمير عشرة، وله التحدث أيضاً في باب القلعة وأهله[٤].

ثانياً: وظائف أرباب الأقلام وذوي العلم:

١. **وظيفة الوزارة:**

تعتبر من أشهر الوظائف وأهمها ؛ لنفاذ كلمته وتمام تصرفه، ولكنها فقدت أهميتها وأصبح مهمة صاحبها كناظر المال لا يتعدى الحديث في المال، ولا تمتد يده في الولاية والعزل إلا بالرجوع والإحاطة بجزئيات الأحوال للسلطان، ولكن السلطان أبطل هذه الوظيفة، وأصبح ما كان للوزير منقسماً إلى ثلاثة: ناظر المال أو شاد الدواوين[٥]؛ لتحصيل المال، وصرف النفقات، والكلف، وناظر الخاص؛ مهمته تدبير

([١]) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٠٩).

([٢]) المصدر السابق (ص ٣٠٩).

([٣]) المصدر السابق (ص ٣٠٩).

([٤]) القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٢٤).

([٥]) شاد الدواوين: هو نظر بيت المال؛ وهو يحمل حمول المملكة لبيت المال، قبضاً وصرفاً، وتارة بالتسويغ محضراً وصرفاً، وتكون لذوي العدالة من أهل العلم والديانة؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٣٢).

جملة الأمور، وتعيين المباشرين، وكاتب السر؛ للتوقيع في دار العدل مما كان يوقع فيه الوزير مشاورة واستقلالاً، ولا يقدر أحد من أصحاب المهمات الثلاثة الاستقلال بأمر دون الرجوع للسلطان فيه[١].

٢. كتابة السر:

مهمة صاحبها قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها، وأخذ خط السلطان عليها، وتسفيرها، وتصريف المراسيم الصادرة والواردة، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها، وقد صار يوقع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة حسب ما يرسم به السلطان[٢].

٣. نظر الجيش:

وظيفته هو ومن معه من المستوفين من يحرز كليات الدولة وجزئياتها، فكبيرهم هو؛ "مستوفي الصحبة"[٣]، وهو يتحدث في جميع أمور الدولة مصراً وشاماً، ويكتب مراسيم يعلم بها السلطان، تارة تكون بما يعمل في البلاد، وتارة بإطلاقات، وتارة باستخدامات كُتاب في صغار الأعمال، وهي وظيفة جليلة تلي النظر، وأما بقية المستوفين فكل منهم حديثه لا يتعدى حديثه قطراً من أقطار الدولة، وهذا الديوان هو أرفع دواوين الأموال، وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية، وكل ديوان من دواوين الأموال؛ هو فرع هذا الديوان وإليه يرفع حسابه[٤].

٤. نظر الخزانة:

كانت الخزانة في سابق عهدها كبيرة الأهمية؛ لأنها مستودع الأموال، وعندما استحدثت وظيفة الخاص؛ ضعف أمرها، وأصبحت تسمى بالخزانة الكبرى، ويذكر العمري أنها اسم أزيد عن مسماها، ولم يبق بها إلا خُلع، وكل ما يُحضر إليها ويُصرف

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣٠٩).

(٢) المصدر السابق (ص ٣١٠).

(٣) مستوفي الصحبة: وظيفته ضبط الديوان، وإليه يرجع حسابه وتتناهى أسبابه؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٢٩).

(٤) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣١٠- ٣١١).

أولاً بأول، وغالباً ما يكون ناظرها من القضاة أو ممن يلتحق بهم(١).

٥. نظر البيوت:

هو ناظر جليل، وهو منوط بالأستاذدارية(٢)، فكل ما يتحدث فيه أستاذدار له فيه مشاركة الحديث(٣).

٦. نظر بيت المال:

فهي وظيفة مهمة؛ صاحبها ينقل الأموال إلى بيت المال المنصرف منه، تارة بالميزان، وتارة بالتسبيب بالأقلام، ولا يستحق هذه الوظيفة إلا ذوي العدالة المبرزة(٤).

٧. نظر الإصطبلات:

ديوان يكون مباشره في اصطبل للسلطان، وله الحديث في أنواع الاصطبلات، والمناخات، وأرزاق المستخدمين فيها، وما لها من الاستعمالات، وكل ما يبتاع لها أو يبتاع منها(٥).

وهذه جُل الوظائف التي ذكرها ابن فضل الله العمري في كتابه، والتي كانت في حضرة السلطان المملوكي في ذلك العصر.

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٣/ ٣١١).

(٢) الاستادريّة: هو المتصرف في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ، والشّراب خاناه، والحاشية، والغلمان ويمشي بطلب السلطان، ويحكم في غلمانه وباب داره، وإليه أمر الجاشنكيرية، وله تصرف تامّ في استدعاء ما يحتاجه كلّ من في بيت السلطان من النفقات والكساوي؛ ينظر: القلقشندي، المصدر السابق (ج٤/ ٢١).

(٣) العمري، مسالك الابصار (ج٣/ ٣١١).

(٤) المصدر السابق (ص ٣١١).

(٥) المصدر السابق (ص ٣١١).

الفصل الرابع

الحياة الدينية في مصر والشام كما يُصورها كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

المبحث الأول: المساجد والمزارات في مصر والشام.

أولاً: المساجد:

١. المسجد الأقصى:

يذكر العمري في كتابه عن المسجد الأقصى بأنه؛ "معْهَد الأنبياء، ومتعهَّد الأولياء، وثاني البيت الحرام في البناء، وأوّل القبلتين، وصخرته المقدسة في معراج النبي محمد ﷺ، وصعوده منها إلى السماء العلى، وهي في أرض المحشر والمنشر، وعن فضائل المسجد الأقصى التي لا تحصى؛ يذكر لنا العمري من هذه الفضائل عما ورد من كثيرين؛ فيذكر عن حديث أبو ذر[1] الذي يقول فيه: أنه أول مسجد وُضع؛ المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى، وبينهما أربعون عاماً، ويقول رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: كانت الأرض ماءً، فبعث الله ريحاً فمسحت الأرض مسحاً، وظهرت على الأرض زَبَدة فَقُسَمت أربعُ قطع؛ خلق مكة من الأولى، والثانية؛ المدينة، والثالثة؛ بيت المقدس، والرابعة؛ الكوفة؛ ويذكر العمري أن ابن الجوزي[2] ذكر ذلك[3].

وروى ابن منده بسنده[4]، أن كعباً[5] قال: بنى سليمان بن داود بيت المقدس على أساس قديم،

([1]) أبو ذرّ الغفاريّ: الزاهد، الصادق، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن، وكان طويلاً أسمر اللون نحيفاً، وكان إسلامه بعد السنة الرابعة هجري، وبعدما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ومضت بدر وأحد، ولم تتهيأ له الهجرة إلا بعد ذلك، ومن حديث أبي الدرداء قال: كان رسول الله ﷺ يبتدئ أبا ذر إذا حضر، ويتفقده إذا غاب، وكانت وفاته بالربذة سنة (٣١هـ/ ٦٥٠م)؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٣/ ٣٦٩- ٣٨٩)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٧/ ١٠٥- ١٠٩).

([2]) فضائل القدس (ص ٧٣).

([3]) مسالك الأبصار (ج١/ ٢٠٧).

([4]) ابن منده: الإمام الحافظ، محدث الإسلام، أبو عبد الله، محمد ابن المحدث أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن منده، واسم منده؛ إبراهيم بن الوليد بن سندة بن بطة بن أستندار بن جهار بخت، وقيل: إن اسم أستندار هذا فيرزان، وهو الذي أسلم حين افتتح أصحاب رسول الله ﷺ أصبهان، وولاؤه لعبد القيس، وكان مجوسياً فأسلم، وناب عن بعض أعمال أصبهان، ولد سنة (٣١٣هـ/ ٩٢٥م)، وتوفي سنة (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٩- ٣٠٥)؛ الصالحي، طبقات علماء الحديث (ج٣/ ٢٣٠- ٢٣٣).

([5]) ابن الجوزي، فضائل القدس (ص ٧٤).

كما بنى إبراهيم الكعبة على أساس قديم[1].

ويذكر العمري عن ابن الجوزي أنه قال: سكن الجبارون الرومان في الأرض المقدسة، فسُلط عليهم يُوشع بن نون، ثم سُلط الكفار على بيت المقدس فجعلوه مزبلة، فأوحى الله عز وجل إلى سليمان؛ فبناه، ويروي عن سعيد بن المسيب[2] أنه قال: أمر الله تعالى داود أن يبني مسجد بيت المقدس؛ قال: ربّ أين أبنيه؟، قال: حيث ترى المَلَكَ شاهراً سيفه؛ قال: فرآه في ذلك المكان؛ قال: فأخذ داود فأسس قواعده ورفع حائطه، فلما ارتفع؛ انهدم، فقال داود: يا رب! أمرتني أن أبني لك بيتاً، فلما ارتفع هدمته، فقال: يا داود إنما جعلتك خليفتي في خلقي، لِمَ أخذته من صاحبه بغير ثمن؟؛ إنه يبنيه رجل من ولدك، فلما كان سليمان ساوم صاحب الأرض، فقال: هي بقنطار، فقال سليمان: قد استوجَبْتُها؛ فقال له صاحب الأرض: هي خير أو ذاك؟، فقال: لا بل هي خير، فقال: فغنه قد بدا لي، قال: أو ليس قد أوجبتها؟ قال: بلى، ولكن البيعين بالخيار ما لم يتفرقا[3].

ويذكر العمري عن عبد الله بن المبارك[4] أنه قال: أن سليمان اشترى الأرض بسبعة قناطير، فبناه سليمان حتى فرغ منه، وتغلقت أبوابه؛ فحاول سليمان أن يفتحها، فلم تنفتح، حتى قال في دعائه: "بصلوات أبي داود إلا تفتحت الأبواب!"؛ ففتحت الأبواب، قال: ففرغ له سليمان

---

(1) العمري، مسالك الأبصار (ص ٢٠٧).

(2) سعيد بن المسيب: ابن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة، الإمام، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين، ولد بالمدينة، رأى عمر، وسمع عثمان، وعلياً، وزيد بن ثابت، وأبا موسى، وسعداً، وعائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، ومحمد بن سلمة، وأم سلمة، وخلقاً كثيراً؛ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٥/ ١٢٤)؛ ابن قليج، إكمال تهذيب الكمال (ج٥/ ٣٥١- ٣٥٨)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج١/ ٤٩٠- ٤٩١)؛ الصالحي، طبقات علماء الحديث (ج١/ ١١٢- ١١٣).

(3) ابن الجوزي، فضائل القدس (ص ٧٤- ٧٥)؛ مسالك الأبصار، (ج١/ ٢٠٧- ٢٠٨).

(4) عبد الله بن المبارك: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، مولى بني حنظلة، جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس رضى الله عنهما، وكان كثير الانقطاع محباً للخلوة شديدة التورع، وتوفي بمدينة هيت على الفرات، في رمضان سنة (١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، ومولده بمدينة مرو سنة (١١٨هـ/ ٧٣٦م)؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ٣٣- ٣٤)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٤/ ٨٨٢)؛ تذكرة الحفاظ، (ج١/ ٢٠١- ٢٠٤)؛ سير أعلام النبلاء، (ج٧/ ٣٦٥- ٣٩١)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٧/ ٢٢٥- ٢٢٦)؛ الحنفي، الجواهر المضية (ج١/ ٢٨١- ٢٨٢)؛ ابن قنفذ، الوفيات (ج١/ ١٤٣).

عشرة آلاف من قُراء بني إسرائيل؛ خمسة آلاف بالليل، وخمسة آلاف بالنهار، لا تأتي ساعة من ليل ولا نهار؛ إلا والله عز وجل يُعبد فيه[1].

ويقول العمري: أن أبو عمرو الشيباني[2] قال: أوحى الله إلى داود؛ إنك لن تُتمم بناء بيت المقدس، قال: أيْ ربَّ، ولم؟ قال: لأنك غمرت يدك في الدم؛ قال: أيْ ربَّ، أو لم يكن في طاعتك؟ قال: بلي وإن كان[3].

ويذكر عن كعب أنه قال: أوحى الله تعالى إلى سليمان أن ابنِ بيت المقدس، فجمع حكماء الإنس، وعفاريت الجن، وعظماء الشياطين، ثم فرق الشياطين؛ فجعل منهم فريقاً يبنون، وفريقاً يقطعون الصخور، وفريقاً يقطعون العُمُد من معادن الرخام، وفريقاً يغوصون في البحر فيخرجون منه الدرّ والمرجان، وأخذ في بناء المسجد؛ ولم يثبت البناء، وكان عليه حَيْرٌ[4] بناه داود، فأمر بهدمه، ثم حفر الأرض حتى بلغ الماء؛ فقال: أسِّسُوا على الماء، فألقوا فيه الحجارة، وكان الماء يلفظ الحجارة، فأشاروا عليه أن يتخذ قلالاً من نحاس يملأها حجارة، ثم يكتب عليها ما على خاتمه من ذكر التوحيد، ثم يلقيها في الماء لتكون أساس البناء؛ ففعل، فثبت وبنى بيت المقدس، وزينه بالذهب والفضة وألوان الجوهر وسمائه وأرضه وأبوابه وجُدُره، وجمع الناس وأخبرهم أنه مسجد الله، وأنه هو الذي أمر ببنائه، وأنه من انتقصه شيئاً منه فقد ضاد الله[5].

ويروي ابن فضل الله عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ بقوله تعالى: { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا

---

(1) مسالك الأبصار، (ج1/ 208).

(2) أبو عمرو الشيباني: سعد بن إياس الكوفي، من بني شيبان بن ثعلبة بن عكابة، أدرك النبي ﷺ، وآمن به ولم يره، وقال: بُعث النبي ﷺ، وأنا أرعى إبلاً لأهلي بكاظمة، وهو معدود في كبار التابعين، روى عن ابن مسعود، وحذيفة، وأبي مسعود البدري، وغيرهم؛ ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة (ج6/ 223)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج2/ 1207)؛ تذكرة الحفاظ، (ج1/ 54- 55)؛ سير أعلام النبلاء (ج5/ 95)؛ ميزان الاعتدال (ج4/ 557)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج8/ 275- 276)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج7/ 476).

(3) مسالك الأبصار (ج1/ 208).

(4) الحير: أو الحائر المكان المطمئن يجتمع فيه الماء فيتحير لا يخرج منه؛ ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج4/ 223).

(5) ابن الجوزي، فضائل القدس (ص 79- 80)؛ مسالك الأبصار، (ج1/ 208).

فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}[١]، قال: هو سور بيت المقدس الشرقي[٢].

- **ومما ورد من فضله:**

فيذكر العمري قول الصحابة رضي الله عنهم؛ عن رسول الله ﷺ؛ عن حديث أنس[٣] أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "صلاة الرجل في بيته بصلاة واحدة، وصلاته في مسجد القبائل بستّ وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يُجَمَّع فيه بخمسمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة"[٤].

وعن أبي ذر قال: قيل: يا رسول الله، صلاةٌ في بيت المقدس أفضل، أم صلاة في مسجد رسول الله ﷺ؟ قال: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه؛ ولنعم المُصَّلى! هو أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمانٌ، ولَبَسطةُ قوسٍ من حيث يُرى بيت المقدس، أفضل وخير من الدنيا جميعاً"، وصحّ عن موسى عليه السلام أنه لما احْتُضِر قال: يا رب أُدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر![٥].

ونزله أبو ذر وأكثر من الصلاة فيه، وصلى فيه ابن عمر[٦]، ومات فيه عُبادة بن الصامت[١]، وشداد بن أوس[٢]،وأبو ريحانة "شمعون أو ذو الأصابع"[٣]، وأبو أَبيّ ابن أُم حرام[٤]، وهم من أهل البيت[٥].

([١]) [الحديد: ١٣].

([٢]) مسالك الأبصار (ج١/ ٢٠٩).

([٣]) [ابن ماجه: السنن ١/٤٥٣: ١٤١٣].

([٤]) مسالك الأبصار (ج١/ ٢٠٩).

([٥]) المصدر السابق (ص ٢٠٩).

([٦]) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، وأمه زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص، وكان إسلامه بمكة مع أبيه عمر بن الخطاب، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وتوفي بمكة سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٤/ ١٤٢)؛ ابن حبان، الثقات (ج٣/ ٢٠٩- ٢١٠)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج٣/ ٣٣٦)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٣/ ٨٤٣- ٨٤٤)؛ سير أعلام النبلاء، (ج٤/ ٣٠٣- ٣١٦)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٧/ ١٩٧- ٢٠٣)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٤/ ١٥٥- ١٦٠).

وقال أبو الزاهرية[٦]: أنه أتى بيت المقدس يريد الصلاة، فدخل المسجد ونام فيه، وعندما أطفئت القناديل، وانقطع دخول الناس، وغُلقت الأبواب، فسمع حفيفاً له جناحان، قد أقبل وهو يقول: "سبحان الدائم القائم! سبحان القائم الدائم! سبحان الحي القيوم! سبحان الملك القُدّوس! سبحان رب الملائكة والروح! سبحان الله وبحمده! سبحان العلي الأعلى! سبحانه وتعالى"، ثم أقبل حفيفٌ يتلوه ويقول مثله، وأقبل حفيفٌ يتلو حفيف حتى امتلأ المسجد، فكلمهم وسألهم من أنتم؛ فرددوا عليه أنهم الملائكة ومعهم جبريل وميكائيل؛ وعليه لم يتسن لنا التحقق من تلك الرواية، فالإنس لا يرى الملائكة ولا يكلمهم، والله أعلم بما يقولون[٧].

([١]) عبادة بن الصامت؛ بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج: وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار، شهد بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان عبادة عقبياً نقيباً بدرياً أنصارياً، وتوفي في فلسطين سنة (٣٤هـ/ ٦٥٤م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٣/ ٥٤٦)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج٦/ ٩٢)؛ ابن حبان، الثقات (ج٣/ ٣٠٢- ٣٠٣)؛ النووي، تهذيب الأسماء (ج١/ ٢٥٦- ٢٥٧)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٢/ ٢٢٨)؛ سير أعلام النبلاء (ج٣/ ٣٤١- ٣٤٥)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٦/ ٣٥٣- ٣٥٤)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٣/ ٥٠٥- ٥٠٦).

([٢]) شداد بن أوس؛ بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار النجاري الخزرجي، كنيته أبو يعلى بن أخي حسان بن ثابت، سكن الشام ومات ببيت المقدس سنة (٥٨هـ/ ٦٧٧م)؛ ينظر: ابن حبان، الثقات (ج٣/ ١٨٥)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج٢/ ٦١٣)؛ النووي، تهذيب الأسماء (ج١/ ٢٤٢)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٤/ ٨٥- ٨٩)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٣/ ٢٥٨).

([٣]) شمعون أبو ريحانة الأنصاري يقال له قرشي، سماه ابن أبي أويس عن أبيه، سكن مصر ونزل الشام، ومات ببيت المقدس؛ ينظر: البخاري، التاريخ الكبير (ج٤/ ٣٦٤)؛ ابن حبان، الثقات (ج٣/ ١٨٩)؛ ابن العديم، بغية الطلب (ج١٠/ ٤٤٥٣)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٣/ ٢٨٩- ٢٩٠).

([٤]) أبو أبي بن أم حرام: ربيب عبادة بن الصامت، اسمه عبد الله قيل عبد الله بن أبي، وقيل عبد الله بن كعب، وقيل عبد الله بن عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم بن النجار، ابن خالة أنس بن مالك، قديم الإسلام، صلى إلى القبلتين؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج٦/ ٤)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٤/ ١٨٧).

([٥]) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٠٩).

([٦]) أبو الزاهرية: هو حدير بن كريب الحمصي، ثقة، من علماء الشام، سمع أبا أمامة الباهلي، وعبد الله بن بسر، وجبير بن نفير، وتوفي سنة (١٢٧هـ/ ٧٤٤م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/ ٤٥٠)؛ ابن خليفة، الطبقات (ج١/ ٥٦٨)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج٣/ ٩٨)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٥/ ٤٩٩)؛ السبكي، معجم الشيوخ (ج١/ ١١٥).

([٧]) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٠٩- ٢١٠).

وروى عن قتادة[١] في قوله تعالى: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ}[٢]، قال من صخرة بيت المقدس؛ وقال يزيد بن جابر[٣] في الآية: يقف إسرافيل على صخرة بيت المقدس، فينفخ في الصُور، فيقول: أيتها العظام النخرة، والجلود المتمزقة، والأشعار المتقطعة، إن الله تعالى أمركِ أن تجتمعي للحساب![٤].

وروى أبن منده بسنده عن أنس بن مالك قال: إن الجنة لتحنْ شَوْقاً إلى بيت المقدس، وبيت المقدس من جنة الفردوس، وهي سرة الأرض، وقال أبو العالية[٥] في قوله تعالى: {إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}[٦]، قالوا: هو إسرافيل، يقف على صخرة بيت المقدس فينادي: يا أيها الناس، هَلُمُّوا إلى الحساب!، إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء!، وهي النفخة الأخيرة، والمكان القريب هو الصخرة [٧].

وينقل لنا العمري أنه: قدم إيلياء فَرَشَاً؛ وهو حبر من أحبار اليهود، وعرضَ عليَّ بضعة عشر ديناراً على أن أدُله على الصخرة التي قام عليها سليمان بن داود لما فرغ من بناء المسجد، وصلى مما يلي ناحية باب أسباط، فقال كعب: قام سليمان بن

([١]) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر وأمه من الخزرج، يكنى أبا عمر، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار، ومن الرماة أصحاب رسول الله ﷺ، وشهد بدراً، وأحداً، وتوفي سنة (٢٣هـ/ ٦٤٣م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٣/ ٤٥٣– ٤٥٤)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٤٩/ ٢٦٩– ٢٨٨)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج٤/ ٣٧٠)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٢/ ١٣٧)؛ سير أعلام النبلاء (ج٤/ ١١– ١٢).

([٢]) [ق: ٤١].

([٣]) يزيد بن جابر: الأزدي والد يزيد وعبد الرحمن ابني يزيد من أهل البصرة سكن دمشق، ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٦٥/ ١٣٤– ١٣٧)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٦/ ٢٨٥).

([٤]) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢١١).

([٥]) أبو العالية الرياحي: اسمه رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي البصري، أعتقته امرأة من بني رياح بن يربوع سائبة، روى عن أبي بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبي ذر، وأبي أيوب، وابن عباس، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وقدم الشام مجاهداً، وتوفي سنة (٩٣هـ/ ٧١١م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/ ١١٢– ١١٦)؛ ابن خياط، الطبقات (ج١/ ٣٤٨)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج٣/ ٣٢٦)؛ ابن العديم، بغية الطلب (ج٨/ ٣٦٧٩– ٣٦٨٩)؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، (ج١/ ٤٩– ٥٠)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٤/ ٩٣– ٩٤)؛ السبكي، معجم الشيوخ (ج١/ ٥٧٩)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٢/ ٤٢٧– ٤٢٨).

([٦]) [الأنبياء: ٧١].

([٧]) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢١١).

داود على هذه الصخرة، ثم استقبل بيت المقدس كله، فدعا الله عز وجل بثلاث؛ فاراه الله تعجيل إجابته في دعوتين، وأرجو أن يستجيب في الثالثة، فقال: "اللهم هَبْ لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، إنك أنت الوهاب"؛ فأعطاه الله عز وجل، وقال: "اللهم هب لي ملكاً وحكماً يوافق حكمك!"؛ ففعل الله عز وجل ذلك به، ثم قال: "اللهم لا يأتي هذا المسجد أحداً يريد الصلاة فيه؛ إلا أخرجته من خطيئته كيوم ولدته أمه"[١].

٢. مسجد دمشق:

يذكر العمري أنه مسجد عظيم، ومعبد قديم، لا يُعرف بانيه ولا زمن بنائه، فعندما فتح المسلمون بلاد الشام كان كنيسة لأهل دمشق يُتعبد فيها زمن الروم، وكان قبلهم معبداً لأمم مختلفة، وتزعم الكلدانية أنه من بنائهم، وبنوه فيما بنوه من الهياكل السبعة التي اتخذوها للكواكب السبعة، وجعلوه بيتاً لكوكب المشتري، واستمر التعبد فيه؛ إذ كانوا يعتقدون أن المشتري طالع الديانات والتأله[٢].

وحيطان مسجد دمشق الأربعة بناها هود عليه السلام، وما كان من حد الفسيفساء إلى فوق فهو من بناء الوليد، إذ يقول الوليد بن مسلم[٣]: لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق، وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر فيه كتاب نقش، فأتوا به الوليد، فبعث إلى الروم فلم يستخرجوه، فدُل على وَهْب بن منبه[٤]،

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢١١- ٢١٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٣٩).

(٣) الوليد بن مسلم بن العباس القرشي؛ الفقيه، مولى بني أمية، كان الوليد من الأخماس، فصار لآل مسلمة بن عبد الملك، فلما قدم العباسيون في دولتهم إلى الشام قبضوا رقيقهم من الأخماس وغيرهم، فصار الوليد وأهل بيته لصالح بن علي، فوهبهم لابنه الفضل بن صالح، فأعتقهم الفضل، فركب الوليد بن مسلم إلى آل مسلمة بن عبد الملك، فاشترى نفسه منهم، حج سنة (١٩٤هـ/ ٨٠٩م)، ثم انصرف فمات بالطريق قبل أن يصل إلى دمشق، ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٦٣/ ٢٧٤- ٢٩٤)؛ ابن قليج، إكمال تهذيب الكمال (ج١٢/ ٢٥٠- ٢٥١)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٧/ ٤٢٧).

(٤) هو وهب بن منبه بن كامل بن سيج، أبو عبد الله الصنعاني أو اليماني، ويقال: الذماري وذمار؛ من صنعاء، أصله من خراسان من هراة، وحدث عن أخيه همام يروي عنه عمرو بن دينار في العلم، توفي سنة (١١٤هـ/ ٧٣٢م)؛ ينظرك البخاري، التاريخ الكبير (ج٨/ ١٦٤)؛ الحموي، معجم الأدباء (ج٦/ ٢٨٠٢)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٦/ ٣٥- ٣٦)؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج١/ ٧٧- ٧٨).

فأقدمه عليه؛ فأخبره بموضع ذلك اللوح، ويقال ذلك الحائط من بناء هود عليه السلام، فلما نظر إليه وهب، حرك رأسه ثم قرأه[١].

وعندما فتح المسلمون دمشق؛ دخل أبو عبيدة بنُ الجراح رضي الله عنه بالأمان غرب البلد، ودخل خالد بن الوليد رضي الله عنه بالسيف من شرقه، فكانت دمشق نصفين، والكنيسة كذلك؛ فاتخذوا منها النصف الشرقي المفتوح عنوةً مسجداً يصلون فيه، وتصلي النصارى في النصف الآخر، فتأذى المسلمون لمجاورة النصارى لهم في مكان تعبُّدهم، وكرهوا قرع النواقيس، واشتد ذلك على الوليد بن عبد الملك، وكان مغرم بعمارة المساجد وبناء المعابد، فأرسل رجل أتي من القسطنطينية إلى الكنيسة يوم الأحد، فأخذ يؤذن في داخل الكنسية، فهموا لقتله، فجلس بجانبه البطريرك وقال له: مَنْ حملك على ما صنعت؟، فقال له أراد أمير المؤمنين أن يعرفك أننا نتأذى من نواقيسكم، فقال له صالحونا على عوضٍ، فصولحوا عنه بترك الكنيسة وإعطاء النصارى نصف كنيسة مريم التي كانت شطرين، ثم شرع الوليد بن عبد الملك في تحسين بنائه وتحصين فنائه، وأبقى منه ما أبقى، وجدد ما جدد[٢].

وقال إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المُقرئ[٣]: حدثني أبي عن أبيه المغيرة، أنه دخل يوماً على الوليد بن عبد الملك فرآه مغموماً، فقال: يا أمير المؤمنين ما سبيلك؟ فقال: يا مغيرة إن المسجد لا يتسع لعدد المسلمين، فبعثت إلى هؤلاء لنُدخل كنيستهم في المسجد، فأبَوْا، وقد أقطعتهم قطائع كثيرة وبذلت لهم مالاً؛ فامتنعوا، قال: لا تغتَّم يا أمير المؤمنين!، قد دخل خالد بن الوليد من الباب الشرقي بالسيف، ودخل أبو عبيدة من باب الجابية بالأمان، فماسِحْهم أيَّ موضع بلغ السيفُ، فإن يكن لنا فيه حقٌّ أخذناه، قال: فرجت عني! فتول أنت هذا فتولاه، فبلغت المسحة إلى سوق الريحان حتى

---

(١) مسالك الأبصار (ج١/ ٢٣٩).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٤٠).

(٣) إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة بن عبد الملك أبو إسحاق القرشي المقرئ؛ مولى الوليد بن عبد الملك حدث عن أبيه روى عنه أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج بن البرامي، وسمع هشام بن عمار بدمشق، وزهير بن عباد الرواسي، ويحيى بن آدم، ويزيد بن أبي حكيم العدني؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٧/ ٤٢).

حاذى القنطرة الكبيرة[1].

ودخلت باقي الكنيسة في المسجد، فبعث إليهم فقال: هذا حقٌ قد جعله الله لنا!، لم يُصَل المسلمون في غَضْب ولا ظلم، بل نأخذ حقنا، قالوا: قد أقطعتنا أربع كنائس، وبذلت لنَا من المال كذا وكذا، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تتفضل بذلك علينا؛ فافعل!، فتمنَّع عليهم حتى سألوه وطلبوا إليه، فأعطاهم كنيسة حُمَيد بن درّة، وكنيسة أخرى عند سوق الجُبن، وكنيسةَ مريم، وكنيسة المُصَلّبة، ثم جمع الوليد المسلمين وهدم الكنيسة بفأس كان بيده، وكبَّر الناس[2].

وقال يزيد بن أبي مالك[3]: أرسل إلي الوليد حين أراد أن يهدم الكنيسة، فأتاه النصارى فقالوا: كنيستنا لا نهدمها!، قال: فإني أتركها وأهدم كنيسة توما، لأنها لم تكن في العهد، فلما رأوا ذلك، قالوا: نتركها لكم، وتدع لنا كنيسة توما، فصعد الوليد وصعدنا معه، فكان أول من ضرب بفأس في هدمها[4].

وقال إبراهيم بن هشام الغساني[5]: حدثني أبو يحيى بن يحيى[6]، قال: لما همّ

---

(1) العمري، مسالك الأبصار (ج1/ 240).

(2) المصدر السابق (ص 240).

(3) يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك هانئ الهمداني: الفقيه، قاضي دمشق، روى عن أبي أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع، وأبيه هانئ، وسعيد بن المسيب، وسالم بن عبد الله، وسليمان بن يسار، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهم، توفي بدمشق سنة (130هـ/ 747م)، وله أحاديث، بعثه عمر بن عبد العزيز إلى بني نمير يفقههم ويقرئهم؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج65/ 280- 293)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج3/ 566)؛ سير أعلام النبلاء (ج6/ 155)؛ ميزان الاعتدال (ج4/ 439).

(4) العمري، مسالك الأبصار (ج1/ 241).

(5) إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى أبو إسحاق الغساني، ولد سنة (150هـ/ 767م)، وهو صاحب حديث أبي ذر الطويل تفرد به، عن أبيه، عن جده، قال الطبراني: لم يروه عن يحيى إلا ولده، وهم ثقات، وتوفي سنة (238هـ/ 852م)؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج7/ 267- 268)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج5/ 779)؛ ميزان الاعتدال (ج1/ 73)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج1/ 122).

(6) يحيى بن يحيى الغساني: من أهل المدينة، يروي عن سعيد بن المسيب، روى عنه الشاميون، كان مولده يوم مرج راهط، عالم بالفتوى والقضاء بدمشق، وله أحاديث، توفي سنة (135هـ/ 752م)، في آخر خلافة أبي العباس؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج7/ 466)؛ ابن حبان، الثقات (ج7/ 613)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج65/ 54- 62)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج3/ 752).

الوليد بهدم كنيسة مَرْيُحَنَّا ليزيدها في المسجد، صعد المنارة ذات الأضالع المعروفة بالساعات، وفيها راهب يجلس في صومعته، فأحذره من الصومعة، فأكثر الراهب كلامه، فلم تزل يد الوليد تدقُّ في قفاه حتى أحدره من المنارة، ثم همّ بهَدْم الكنيسة، فقال له جماعة من نجاري النصارى: ما نجسر على هدمها، فقال: "أتخافون؟ هات المعول يا غلام!" ثم أتى بسُلّم فنصبه على مِحراب المذبح، وصعد فضرب بيده حتى أثّر فيه أثراً كبيراً، ثم صعد المسلمون فهدموه(١).

وقال ابن المعلّى(٢): أخبرني همّام بن محمد بن عبد الباقي، قال: حدّثني أبي، قال: حدثني مروان بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان، قال: لما أراد الوليد بناء مسجد دمشق، احتاج إلى الصُنَّاع؛ فكتب إلى ملك الروم أن يرسل له بمائتي صانع من صُناع الروم لبناء المسجد، وقال له: "إن لم تفعل غزوتك بالجيوش، وخربتُ الكنائس، وفعلتُ"؛ فكتب إليه: "لئن كان أبوك فُهِّمَها فأُغفل عنها، إنها لوصمة عليه، ولئن كنت فُهِّمْتَها وغُيِّبَتْ عن أبيك إنها لوصمة عليك، وأنا موجه إليك ما سألت"(٣)، فأراد الوليد أن يرد عليه؛ فأجلس عقلاء الرجال ليكتب له، فقال الفرزدق(٤): "أنا أجيبه بقول الله تعالى: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا}(٥)، فَسُر بذلك(٦).

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٤١- ٢٤٢).

(٢) هو أحمد بن المعلى بن يزيد أبو بكر الأسدي ختن دحيم، قاضي دمشق نيابة عن أبي زرعة محمد بن عثمان القاضي، حدث عن يزيد بن عبد الله بن زريق ودحيم بن هشام، وهشام بن عمار، وهشام بن خالد، وأبي جعفر حماد بن المبارك الصنعاني، وسليمان بن عبد الرحمن، وتوفي سنة (٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٦/ ١٩- ٢١)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٦/ ٦٩٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ١٢٠).

(٣) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٤٣).

(٤) هو أبو فراس همام، ابن غالب، وكنيته أبو الأخطل، ابن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، واسمه بحر، بن مالك، واسمه عوف سمي بذلك لجوده، كان أبوه غالب من جلة قومه وسرواتهم، وتوفي بالبصرة سنة (١١٠هـ/ ٧٢٨م)؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٦/ ٨٦- ١٠٠)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٣/ ١٣٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٧/ ٢٢٤- ٢٢٧)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٥/ ٣٠٠- ٣٠١)؛ لسان الميزان، (ج٤/ ٤٣٣).

(٥) [الأنبياء: ٧٩].

(٦) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٤٣).

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملاَّس[1]: حدثني أبي عن أبيه عن جدّه، قال: بنى الوليد قبة مسجد دمشق، فلما استقلَّتْ وتمَّتْ؛ وقعت!، فشقَّ عليه ذلك، فأتاه بنّاء، فقال: أنا أتولّى بناءها، على ألاّ يدخل أحد معي في بنائها؛ ففعل، فحفر موضع الأركان حتّى بلغ الماء؛ ثم بناها، فلما استقلت على وجه الأرض غطاها بالحُصُر، وهرب، فأقام الوليد يطلبه ولا يقدر، وبعد سنة؛ قَدِم، فقال له: ما دعاك إلى الهرب؟ فقال: تخرج حتى أُريَك؛ فأتَوْا، فكشف عن الحُصُر؛ فوجد البنيان قد انحطَّ حتى أصبح مع وجه الأرض، فقال: من هذا كنتَ تُؤْتى!، ثم بناها حتى قامت[2].

ويذكر العمري أنه؛ في نصف شعبان سنة (٤٦١هـ/ ١٠٦٨م)؛ نشب حريق بجامع دمشق، وكان سببه أن أمير الجيوش بدر الجمالي[3] أتى من مصر إلى دمشق، ووقع قتال بين المشارقة والمغاربة، فأحرقوا منزلاً مجاوراً للمسجد، وانتقلت النار إلى المسجد، وكانت عامة الناس تعاون المغاربة، فتركوا القتال لإطفاء النار[4]، ووصف العماد الكاتب[5] هذا الحريق فقال: احترق جامع دمشق، ففُجع الإسلام بمُصَابه، وصلَّت النار في محرابه؛ واشتعل رأس القبة، ثم تداركه الله بالألطاف والإطفاء؛ وحقق

([1]) أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملّاس بن قسيم أبو عبد الله النميري، وقيل الغسّاني، سمع: أباه، وأبا مسهر، وأبا عبد الرحمن المقرئ، وجماعة، وعنه؛ قرابته محمد بن جعفر بن ملاس، وأبو عوانة الإسفراييني، توفي سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٤م، ينظر: ابن عساكر، المصدر السابق (ج٧١/ ٢٢)؛ الذهبي، المصدر السابق (ج٦/ ٢٥٧).

([2]) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٤٣).

([3]) بدر الجمالي: أمير الجيوش، أرمني، ولي إمرة دمشق (سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)، إلى أن جرت بينه وبين الجند والرعية فتنة، فخاف وهرب سنة (٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، ثم ولي في سنة (٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) الشام، ووقع خلاف بينه وبين أهل دمشق، فهرب سنة (٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، وأخرب القصر بباب الجابية، وأخربه أهل البلد والعسكر خراباً لم يعمر بعد ومضى إلى مصر، وتوفي بمصر سنة (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، وبنى جامع العطارين بالإسكندرية؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٠/ ٥٩٢).

([4]) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٥٤).

([5]) محمد بن محمد بن حامد بن عبد الله بن علي، أبو عبد الله المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني: ولد بأصبهان سنة (٥١٩هـ/ ١١٢٥م)، وقدم بغداد شاباً وانتظم في المدرسة النظامية فتفقه بها، ثم عاد إلى أصبهان وتفقه بها، ثم رجع إلى بغداد واشتغل بصناعة الكتابة فبرع فيها ونبغ، وانتقل إلى دمشق سنة (٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)؛ ينظر: الحموي، معجم الأدباء (ج٦/ ٢٦٢٣- ٢٦٣١)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٥/ ١٤٧- ١٥٣).

فيه قوله: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا}[1][2]".

٣. مسجد عمرو بن العاص:

مسجد عظيم بمدينة الفسطاط، بناه عمرو بن العاص، وهو مسجد فسيح الأرجاء، مفروش بالرخام الأبيض، وأعمدته كلها من الرخام، ووقف عليه نحو ثمانين من الصحابة وصلَّوْا فيه، ولا يخلو من سكنى الصلحاء، وأوقات الذكر، وله من مواسم الخير الكثير، وخاصة عقب صلاة الفجر[3].

ثانياً: المزارات والقبور:

١. قبر الخليل عليه السلام وما جاوره من قبور بنيه والأزواج:

يذكر العمري أن جميع تلك القبور داخل مكان مسور؛ فروى الحافظ أبو القاسم مكّي بن عبدالسلام بن الحسين الرُمَيْلي المقدسي[4]، بسنده عن كعب الأحبار، قال: أول من مات ودُفن بحبرى سارة، وذلك أن إبراهيم خرج لما ماتت يطلب موضعاً ليقبرها فيه، فقدم على صفوان، وكان على دينه، وكان مسكنه وناحيته حَبْرى، فاشترى منه الموضع بخمسين درهماً، ودفن فيه زوجته سارة، ثم توفي إبراهيم ودفن لصيقاً لها، ثم تُوُفِّيت ربقة زوجة إسحاق ودفنت فيه، ثم توفي إسحاق ودفن بجانبها، ثم توفي يعقوب فدفن في الموضع ذاته، وتوفيت زوجته ليقا ودفنت معهم[5].

ولما بعث الله سليمان عليه السلام؛ أوحى إليه أن ابنِ على قبر الخليل حَيْراً حتى يكون لمن يأتي بعدك، ولكي يُعرف، فخرج سليمان وبنو إسرائيل من بيت المقدس

---

(١) [الأنبياء: ٦٩].

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٥٥).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٦٣).

(٤) مكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم الأنصاري الرميلي الشافعي؛ الحافظ، مولده سنة (٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م)، كانت الفتاوى تأتي إليه من مصر والشام وغيرهما، سمع بالقدس، وشرع في تاريخ بيت المقدس وفضائله، ولما أخذ الصليبيين بيت المقدس في سنة (٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م)، أُسر، وبعثوه إلى البلاد ينادي بفكه بألف دينار، لما علموا أنه من علماء المسلمين، ولم يستفكه أحد؛ فرموه بالحجارة عل باب أنطاكية حتى قتلوه رحمه الله؛ ينظر: العليمي، الأنس الجليل (ج١/ ٢٩٨– ٣٠١).

(٥) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٣١– ٢٣٢).

إلى أرض كنعان، فطاف فلم يصبه، فرجع إلى بيت المقدس، فأوحى الله إليه: يا سليمان خالفت أمري!، قال: يا ربِّ، قد غاب عني الموضع، فأوحى الله إليه؛ امضِ، فإنك ترى نوراً من السماء إلى الأرض، فهو موضع قبر خليلي، فخرج سليمان ثانيةً فنظر وأمر الجن أن يبنوا على الموضع الذي يقال له الرامة، فأوحى الله إليه: إن هذا ليس هو الموضع، ولكن إذا رأيت النور قد التزق بأعنان السماء، فخرج سليمان فنظر إلى النور قد التزق بأعنان السماء إلى الأرض، فبنى عليه الحير[١].

ويذكر العمري أن هذا الحير ليس له باباً، وعندما فتح المسلمون البلد، فتحوا له باباً، وبناؤه بناء محكم، وأقيم بهذا الموضع خطبة، ورتب به إمام ومؤذنون، وفي قبلته باب ينزل بدرجات كثيرة إلى سرداب ضيق تحت الأرض، ويأخذ متشاملاً فيها إلى فجوة فيها ثلاث نصائب قبور في حائطه، يقال أنها قبر الخليل وزوجته وإسحاق عليهم السلام، وتوجد فتحة لا يُعرف إلى أين تنتهي، لكن يقال أنها إلى مغارة تحت أرض الحرم، فيها الموتى[٢].

ويصف العمري هذا الموضع؛ أنه دخل هذا السرداب زحفاً لضيقه، وسقفه ليس بعالٍ، فلا يقدر أحد على المشي منتصباً به، وهو خطوات يسيرة وتدخل إلى الفجوة التي فيها القبور في قبلة المسجد؛ وبها قبران: الأيمن قبر إسحاق، والأيسر قبر زوجته، وفي شماليه مما هو منفصل عن المسجد بقبتين متقابلتين؛ قبران: الأيمن قبر إبراهيم الخليل عليه السلام، والأيسر قبر سارة زوجته، وفي شمالي الحرم قبة مفردة مسامته لقبة الخليل، وفيها قبر يقال إنه قبر يعقوب عليه السلام[٣].

ويذكر العمري أن علي بن أبي بكر الهروي[٤]، قال: حدثني جماعة من مشايخ

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٣٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٣٢).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٣٢- ٢٣٣).

(٤) علي بن أبي بكر الهروي، تقي الدين: الزاهد، طاف الأقاليم، وكان يكتب على الحيطان، فقل ما تجد موضعاً مشهوراً في بلد إلا وعليه خطه، ولد بالموصل، واستقر بحلب، وتقدم عند الظاهر صاحب حلب، وبنى له مدرسة، فدّرس بها، توفي سنة (٦١١هـ/ ١٢١٤م)، ودفن في قبة المدرسة؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٣/ ٣٢٢)؛ سير أعلام النبلاء، (ج١٦/ ٨٧).

بلد الخليل أنه لما كان في زمان بردويل الملك(١)، انخسف موضع هذه المغارة، فدخل جماعة من الفرنج إليها بإذن الملك، فوجدوا فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وقد بليت أكفانهم، وهم مستندون إلى حائط، وعلى رؤوسهم قناديل وهي مكشوفة، فجدد الملك أكفانهم ثم سدّ الموضع، وذلك سنة (٥١٣هـ/١١١٩م)(٢).

ويذكر العمري أنه خلف الحرم موضع فيه قبر ينسب إلى يوسف عليه السلام، يقولون إنه لما بُني المكان أرادوا أن يجعلوا قبره داخل الحرم، فسمع سليمان عليه السلام ذلك، فقال: دعوه خارج الحرم فعليه خراج مصر، ويقال إن موسى عليه السلام لما خرج من مصر، استصحب معه تابوت يوسف عليه السلام، ودفنه هناك قريباً من آبائه، ولم يدفنه عندهم، لما ناله من المُلك(٣).

وذكر العمري أنه زار الخليل عليه السلام سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، وأن لهذا الحرم أوقاف، ويمد فيه كل يوم بعد العصر سِمَاط(٤)، ويوزع فيه من الخبز على الواردين على قدر كفايتهم، وأخبره جماعة المباشرين على ذلك أنه في بعض الليالي العشر من شهر ذي الحجة، تم توزيع زيادة على ثلاثة عشر ألف رغيف، وأنه في غالب أيام العام ما بين السبعة آلاف والعشرة آلاف، ويوزع أيضاً مع الخبز طعام العدس بالزيت والسماق، ويفرق طعام في بعض الأيام أفخر من ذلك(٥).

ولهذا الموضع عمال لغربلة القمح وطحنه وعجنه وخبزه، يعملون ليلاً نهاراً، وعندما استولى الصليبيين على بلد الخليل؛ استمرت عادة هذا السماط وزادوا على من كان قبلهم، وبالغوا في ذلك، ثم زاد ملوك الإسلام في السماط، ويشمل المأمور والأمير، والغني والفقير(٦).

---

(١) بردويل؛ أو بغدوين: من ملوك الصليبيين على البيت المقدس، وعكا، ويافا؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٥/ ٣٠١)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١١/ ١٧٢)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٠/ ٧٠).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٣٣).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٣٣).

(٤) السماط: موائد سلطانية يمد فيه الطعام والشراب للناس؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج٤/ ٥٧).

(٥) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٣٤).

(٦) المصدر السابق (ص ٢٣٤).

٢. **قبر يونس بن متّى عليه السلام:**

بقرية حَلْحُولَ[١] على يسار الذاهب من بلد القدس إلى بلد الخليل، ويعرج الزائر إليه، وعليه بناءٌ وقُبة وله خادم، ويذكر العمري أنه زراه عدة مرات، كان آخرها في ذي الحجة سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م)[٢].

٣. **قبر موسى عليه السلام:**

يوجد بالقرب من أريحاء[٣]، وتعرف القرية بشيحان، وينقل العمري عن علاء الدين ابن الكلاّس[٤] أنه قال: عندما زار قبر موسى عليه السلام الذي بالقرب من أريحاء، فتعجب من عدم بناء عليه قُبة ولا مشهد، فقال: اللهم أرني ما أزداد به يقيناً في صحة هذا القبر، وقال: فبينما هو نائم رأى كأن القبر انشق وخرج منه إنسان طويل، قال: فجئت إليه وسلمت عليه، وقلت له: من أنت؟ فقال: موسى بن عمران وهذا قبري، وإذا بالقرب منا رجل يطبخ في قدره طعام، وعن انتهائه من الطهي أحضر لنا منه، وإذا هو شوربة أرز، فأكلنا جميعنا ثلاث ملاعق، ثم تداولناها بيننا إلى أن فرغت[٥].

وعندما عزم الشيخ عبد الله والد الشيخ إبراهيم على العودة إلى بلاد العجم إلى شيخه، فقال له موسى عليه السلام أنت لا تسافر إلى شيخك، وكيف تسافر؟ وأنت تريد تتزوج بامرأة من نسل الرسول ﷺ، وترزق منها أربعة أولاد، وأقام الشيخ إبراهيم أصابع يده اليمنى الأربعة، وضم الإبهام إلى ببطن كفه، يحكيه، فقال: فكان كما ذكر موسى عليه السلام، فلم يسافر والدي، وتزوج بامرأة شريفة؛ وهي أمي، ورزق منها أربعة أولاد

---

(١) حلحول: قرية بين بيت المقدس وقبر إبراهيم الخليل، وبها قبر يونس بن متى عليهما السلام؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٢/ ٢٩٠)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٤١٨).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٣٨).

(٣) أريحا: مدينة الجبّارين في الغور من فلسطين بالشام، سمّيت نسبة؛ لأريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام؛ ينظر: المهلبي، المسالك (ج١/ ٦٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٦٥)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ١٤٢)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٢/ ٦٤٧).

(٤) علاء الدين ابن الكلاس: علي بن محمد، علاء الدين الدواداري، يعرف بابن الريس؛ كان جندياً بدمشق، أديباً؛ توفي بحطين من قرى صفد (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)؛ ينظر: ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٣/ ٩٣- ٩٤).

(٥) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٣٨).

وأنا أحدهم، ولما حضرته الوفاة، قلت له: يا سيدي أنت راضٍ عني؟ فقال: كيف لا أرضى عنك، وقد بشرني بك موسى عليه السلام[1].

٤. مقام إبراهيم عليه السلام ببرزة:

قال العمري: روى مكحول[2] عن ابن عباس، قال: وُلد إبراهيم بغُوطة دمشق، في قرية برزة، بجبل قاسيون؛ وعن حسان بن عطية[3] قال: أغار ملك نبط على هذا الجبل على لوط فسباه وأهله، فأقبل إبراهيم في طلبه، فالتقى جيش إبراهيم عليه السلام وجيش ملك الجبل في صحراء يعفور، فهزمه إبراهيم وأنقذ لوطاً وأهله، وجاء هذا الموضع الذي ببرزة وصلى فيه[4].

وروى أحمد بن حميد بن أبي العجائز[5] عن أبيه عن شيوخه؛ إن الآثار التي في برزة عند المسجد الذي يقال له مسجد إبراهيم في شق الجبل أنه مكان إبراهيم، وأن الآثار التي فوق الشَّق في الجبل موضع رأى إبراهيم، فمن صلى فيه ودعا أجابه الله، وأن الجبل كان في لوط وجماعة من الأنبياء، وآثارهم في مواضع من الجبل، وأدركت الشيوخ يقصدونه ويصلون فيه ويدعون، وهو نافع لقسوة القلب وكثرة الذنوب[6].

---

(1) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٤٨).

(2) مكحول بن عبد الله؛ أبو عبد الله الدمشقي؛ كان هندياً من سبى كابل، مولى امرأة من هذيل، وكان عبداً لسعيد بن العاص فوهبه لامرأة من هذيل فأعتقته، وتوفي سنة (١١٢هـ/ ٧٣٠م)؛ ينظر: البخاري، التاريخ الكبير (ج٨/ ٢١)؛ ابن حبان، الثقات (ج٥/ ٤٤٦- ٤٤٧)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٥/ ٢٨٠- ٢٨١)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء(ج٥/ ٤٧٢- ٤٧٤)؛ ميزان الاعتدال (ج٤/ ١٧٧- ١٧٨)؛ بن قليج، إكمال تهذيب الكمال (ج١١/ ٣٥٠- ٣٥٤)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٧/ ٣٩٧- ٣٩٨).

(3) حسان بن عطية: من أهل الشام من أفاضل أهل زمانه، روى عن سعيد بن المسيب، وابن المنذر، ونافع، وروى عنه الأوزاعي، وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، توفي سنة (١٢١هـ/ ٧٣٩م)؛ ينظر: ابن حبان، الثقات (ج٦/ ٢٢٣)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٣/ ٣٩٦- ٣٩٧)؛ سير أعلام النبلاء، (ج٦/ ١٧٦)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١١/ ٢٨٠).

(4) مسالك الأبصار (ج١/ ٢٥٩).

(5) أحمد بن حميد بن أبي العجائز: سعيد بن خالد بن حميد بن صهيب الأزدي، أبو الحسن الدمشقي، روى عن: عبد الله بن الحسين المصيصي، وعلي بن غالب السكسكي، وأحمد بن إبراهيم البسري، وآخرون، توفي سنة (٣٤١- ٣٥٠هـ/ ٩٥٢- ٩٦١م)؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٧/ ٩٠١).

(6) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٥٩- ٢٦٠).

وعن أبي الحسين محمد بن عبد الله الرازي[1]، قال: قال أحمد بن صالح[2]: أدركت الشيوخ بدمشق وهم يفضلون مسجد إبراهيم عليه السلام ببرزة، ويقصدونه ويصلون فيه ويذكرون أن الدعاء فيه مجاب، وهو موضع عظيم شريف، ويذكرون ذلك عن شيوخهم ويقولون إن الشق الذي في الجبل خارجاً عن المسجد هو الموضع الذي اختبأ فيه إبراهيم من النمرود؛ صاحب دمشق[3].

وعن عروة بن رويم[4]؛ سمعت رسول الله ﷺ وسأله رجل عن الآثار بدمشق، فقال: لها جبل يقال له قاسيون، فيه قتل ابن آدم أخاه، وفي شرقيه ولد إبراهيم، وفيه آوى الله عيسى ابن مريم وأمه من اليهود، وما من عبد أتى معقل روح الله فاغتسل وصلى فيه ودعا لم يرد خائباً؛ وهو جبل كلمة الله[5].

٥. مغارة الدم:

يذكر العمري عن أبو زرعة الدمشقي[6] أنه قال: سألت أبا مُسهْر عن مغارة الدم، فقال: مغارة الدم موضع الحمرة، وموضع الحوائج؛ ويعني بذلك الدعاء فيها

---

(1) محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد أبو الحسين الرازي: والد تمام بن محمد يعرف بالري بابن الرستاقي، وكان ثقة، سمع بالري أبا عبد الله محمد بن حفص بن عمر المهرقاني، وآخرون، توفي سنة (٣٤٧هـ/ ٩٥٨م)؛ ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج٣/ ٧٦)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٣/ ١٤١).

(2) أحمد بن صالح أبو جعفر المصري: الحافظ المعروف بابن الطبري، قدم دمشق سنة (٢١٧هـ/ ٨٣٢م)، كان يعرف الفقه، والحديث، والنحو، توفي سنة (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م)؛ ينظر: ابن العديم، بغية الطلب (ج٢/ ٧٩٢- ٨٠٠)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٥/ ١٠٠٠)؛ تذكرة الحفاظ، (ج٢/ ٦٢)؛ سير أعلام النبلاء، (ج٩/ ٥١٨- ٥٢٧)؛ ميزان الاعتدال، (ج١/ ١٠٣- ١٠٤)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ٥٤٢).

(3) العمري، مسالك الابصار (ج١/ ٢٦٠).

(4) عروة بن رويم اللخمي: من أهل الأردن قدم الجابية، سمع أبا ثعلبة، قاله زكريا عن حماد بن أسامة عن أبي فروة عن عروة وهو الشامي، وكان يخرج بالليل ينادي أهل البصرة وهم نائمون للصلاة، توفي سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م)؛ ينظر: البخاري، التاريخ الكبير (ج٧/ ٣٣)؛ ابن حبان، الثقات (ج٥/ ١٩٦- ١٩٧).

(5) العمري، مسالك الابصار (ج١/ ٢٦٠).

(6) أبو زرعة الدمشقي: الحافظ، الثقة، محدث الشام، عبد الرحمن ابن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو النصري؛ حدث عن هوذة بن خليفة، وأبي نعيم، وأحمد بن خالد الوهبي، وأبي مسهر الغساني، وعفان وسليمان بن حرب وطبقتهم، توفي سنة (٢٨١هـ/ ٨٩٤م)؛ ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج٢/ ١٤٧- ١٤٨)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٨/ ١٢٤)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٧/ ٤٦٤).

والصلاة، وعن فضل الدعاء في ذلك الموضع يذكر العمري عن محدثين قالوا لمكحول: أنه صعد عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدم يسأل الله أن يسقينا؛ فسقانا، ويذكر مكحول أيضاً؛ أنه عندما خرج معاوية والمسلمون إلى موضع الدم يستسقون؛ فلم يبرحوا حتى سالت الأودية، وقال سعيد بن عبد العزيز[١]: صعدنا في خلافة هشام إلى موضع قتل ابن آده نسأل الله أن يسقينا؛ فأتى المطر، وأقاموا بالغار الذي تحته ثلاثة أيام[٢].

ويذكر العمري عن هشام بن عمار[٣] أنه قال: عندما صعد مع أبيه وجماعة ليسألا الله سُقْيَا إلى موضع قَتَلَ ابنُ آدمَ أخاه، فأرسل الله عليهم مطراً غزيراً، حتى أقاموا في المغارة، ثم دعوا الله فارتفع عنهم؛ بعدما رويت الأرض[٤].

ويذكر العمري عن محمد بن يوسف الهروي؛ أنه سمع من كثيرين يقولون: كان أهل دمشق إذا احتبس عنهم القَطْرُ أو غلا سعرهم، أو جار عليهم سلطان، أو كانت لأحدهم حاجةٌ، صعدوا إلى موضع قتل ابن آدم يسالون الله؛ فيعطيهم ما سألوا، ويذكر عن هشام بن عمار عن كعب الأحبار أنه قال: اختبأ إلياس من ملك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين، حتى أهلك الله الملك ووَلِى غيره، فأتاه إلياس فعرض عليه الإسلام؛ فأسلم وأسلم من قومه خلقٌ، عدا عشرة آلاف منهم فقتلهم جميعاً[٥].

---

(١) سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخي، أبو محمد: من دمشق، من فقهاء أهل الشام، ومتقنيهم ومفتيهم بعد الأوزاعي، يروي عن الزهري، ونافع، ومكحول، روى عنه أهل الشام، توفي سنة (١٦٧هـ/ ٧٨٣م)؛ ينظر: ابن حبان، الثقات (ج٦/ ٣٦٩)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٤/ ٣٧٨)؛ تذكرة الحفاظ، (ج١/ ١٦١)؛ سير أعلام النبلاء، (ج٧/ ١٣٩– ١٤٣)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٥/ ١٤٩)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ٢٢٨).

(٢) مسالك الأبصار، (ج١/ ٢٦٠).

(٣) هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السّلمي الظفري: خطيب دمشق، وفصيحاً بليغاً، مفوهاً كثير العلم، ومقرئ أهلها، أحد المكثرين الثقات أهل دمشق، توفي (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/ ٤٧٣)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج٨/ ١٩٩)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٧٤/ ٣٢– ٣٥)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٣٠/ ٢٤٢– ٢٥٥)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٥/ ١٢٧٢)؛ ميزان الاعتدال (ج٤/ ٣٠٢– ٣٠٣)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٧/ ٤١٩)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ٥٣٦).

(٤) مسالك الأبصار (ج١/ ٢٦٠– ٢٦١).

(٥) المصدر السابق (ص ٢٦١).

٦. مقام عيسى عليه السلام بالربوة:

يذكر العمري عن هشام بن عمار، عن الوليد بن مسلم[١]، عن الأوزاعي[٢]، عن حسان بن عطية؛ أن ملكاً من بني إسرائيل حضره الموت، وأوصى بالمُلك لرجلٍ حتى يُدرك ابنه، فيملكوه، فقال: فمات فجزعوا عليه، فلما خرجوا بجنازته، وفيهم عيسى ابن مريم، دنا من أُمه فقال: أرأيت إن أحييت لك ابنك، أتؤمنين بي وتتبعيني؟، فقالت: نعم؛ فدعا الله فجُعلت أكفانه تتحلل عنه، حتى استوى جالساً، فقالوا: هذا عمل ابن الساحرة، وطلبوه حتى انتهي إلى شعب النيرب، فاعتصم منهم بقلعة على صخرة متعالية، فأتاه إبليس فقال: "جئتك، وما أعتذر إليك من شيء، هذا أنت لم تنافسهم في دنياهم ولا شبر من الأرض، صنعوا بك ما صنعوا، فلو ألقيت نفسك من هذا المكان، فتلقاك روح القُدُس فيذهب بك إلى ربك فتستريح منهم؟"، فقال: "يا غَوِيّ، الطويل الغَواية! إني واجد فيما علمني ربيّ، عز وجل، أني لا أُجرِّب ربي حتّى أعلم أراضٍ عني أم ساخطٌ عليّ"، فأقبلت أُمُّ الغلام، فقالت: يا معشر بني إسرائيل! كنتم تبكون وتشقون ثيابكم جزعاً عليه، فلما أحياه الله لكم أردتم قتله، قالوا: فما تأمرينا به؟ قالت: إيتوه فآمنوا به، فأتوه فقالوا: خَصلةٌ بيننا وبينك!، إن أنت فعلتها، اتّبعناك، قال: وما هي؟ قالوا: تُحيي لنا عُزيراً، فقال: دلوني على قبره، فنزل عيسى معهم حتى انتهوا به إلى قبره، فقال: فتوضأ وصلى ركعتين ودعا؛ فجعل قبره يتَفَرّج عنه التراب، فخرج قد أبيضَّ نصف رأسه ولحيته وهو يقول: هذا فعلك يا ابن مريم! فقال: لم أصنع بك، هذا فعل قومك، زعموا أنهم لا يؤمنون لي ولا يتبعوني حتى أُحييك لهم، وهذا في هُدى

---

(١) الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي: مولى بني أمية، سمع الأوزاعي، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر والثوري، ثقة، كثير الحديث، توفي سنة (١٩٥هـ/ ٨١٠م)؛ ينظر: البخاري، التاريخ الكبير (ج٨/ ١٥٢- ١٥٣)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٣١- ٨٦- ٩٨)؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج١/ ٢٢١- ٢٢٢)؛ سير أعلام النبلاء (ج٨/ ٥- ١٠)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٧/ ٤٢٧).

(٢) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي: إمام أهل الشام، قيل أنه أجاب في سبعين ألف مسألة، سكن بيروت، وولد ببعلبك سنة (٨٨هـ/ ٧٠٧م)، ونشأ بالبقاع، وتوفي ببيروت سنة (١٥٧هـ/ ٧٢٥م)؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ١٢٨- ١٢٩)؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج١/ ١٣٤- ١٣٧)؛ سير أعلام النبلاء (ج٦/ ٥٤١- ٥٥٧)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٨/ ١٢٣- ١٢٤)؛ ابن حجر، نزهة الألباب (ج٢/ ٢٨٠)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ١٩٢- ١٩٣).

قومك يسير، قال: فأقبل عليهم يعظهم ويأمرهم باتباعه، فقال له قومه: عهدناك وأنت أسود الرأس واللحية! فما لنصف رأسك ولحيتك قد ابيض؟ فقال: سمعتُ الصيحة فظننت أنها دعوة الداعية، حتى أدركني مَلَك، فقال: إنما هي دعوة ابن مريم؛ فانتهى الشيب إلى ما ترى[١].

ويذكر العمري قول النبي ﷺ في قوله تعالى: {وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}[٢]، فقال: أتدرون أين هي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: هي بالشام بأرض يقال لها الغُوطة، مدينة يقال لها دمشق، هي خير مدائن الشام، ويروي عن ابن عباس قال: الربوة أنهار دمشق، وعن سعيد بن المسيب؛ قال كعب: أمر الله تعالى عيسى ابن مريم وأُمه أن يسكنا دمشق، وهي إرم ذات العماد[٣].

وعن الوليد بن مسلم عن بعض مشايخه أن بني إسرائيل همَّت بعيسى لقتله، فأمره الله أن يذهب إلى دمشق، ويذكر العمري أنه قيل: إن الربوة في القرآن هي الرملة، ويروي عن النبي ﷺ وزاد فيه: ولا تزال طائفة من أمتي على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك؛ قلنا: يا سول الله، أين هم؟ قال: بأكناف بيت المقدس[٤].

ويذكر العمري أنه قيل؛ أن الربوة في الإسكندرية، أو بيت المقدس، أو مصر، أو الرملة في فلسطين، والراجح عند الأكثرين أنها ربوة دمشق، وأن كل ما قيل فغير ذلك من أقوال فهي غير صحيحة، وذكرها العمري عن الحافظ ابن عساكر[٥]

---

(١) مسالك الأبصار (ج١/ ٢٦١- ٢٦٢).

(٢) [المؤمنون: ٥٠].

(٣) مسالك الأبصار (ج١/ ٢٦٢).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٦٢).

(٥) الحافظ أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله أبي الحسن بن عبد الله بن الحسين، المعروف بابن عساكر: الدمشقي الملقب ثقة الدين، كان إماماً، محدثاً، بارعاً، حافظاً، ذا علم واسع، كان محدث الشام في وقته، ولد سنة (٤٩٩هـ/ ١١٠٥م)، ومن أعيان الفقهاء الشافعية، اهتم بالحديث فجمع الكثير، جاب البلاد ولقي المشايخ، سمع ببغداد سنة (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، ثم رجع إلى دمشق ثم رحل إلى خراسان ودخل نيسابور وهراة وأصبهان والجبال، توفي بدمشق سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م)؛ ينظر: بن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ٣٠٩- ٣١١)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٥/ ٢٤٧- ٢٥٤)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٤/ ٢٦٢- ٢٦٣).

للتعجب![1]، **ومن الواضح أن**؛ رأي ابن فضل الله العمري هو الأرجح في قوله أن الربوة بدمشق، وليس كما قيل في مواضع أخرى.

٧. الكهف بقاسيون:

يروي العمري عن ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق، عن أبو الفرج بن عبد الله ابن المُعَلَّمِ[2]، أنه ابتدأ ببناء الكهف سنة (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، فقال: وبالله ربي أعتصم من الكذب، واسأله أن يُنطق بالصدق لساني، فيقول: أنه رأى جبريل عليه في المنام، فقال له: إن الله يأمرك أن تبني مسجداً يُصلى فيه ويُذكر اسمه؛ وهو هذا، فقلت: وأين هذا الموضع؟ فسار إلى هذا الموضع الذي سميته أنا: كهف جبريل، وقلت: أنى لي بذلك؟ فقال: إن الله سيوفق لك من يُعينك عليه[3].

٨. بقية ما ورد من المزارات:

يذكر العمري أن المزارات كثيرة، ولا حصر لها، ويذكر ما حضره في ذاك الوقت في بلاد الشام؛ فمن ذلك:

أ- **قبر مالك بن الأشتر النخعيّ**[4]: يذكر العمري قيل: على باب مدينة بعلبك من الشمال، والصحيح أنه بالمدينة المنورة[5].

([1]) مسالك الأبصار (ج١/ ٢٦٣).

([2]) محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو الفرج الدمشقي، العابد، المعروف بابن المعلم: الذي بنى كهف جبريل بجبل قاسيون، حدث عن أبي يعقوب الأذرعي، وعلي بن الحسن بن طعان، حدث عنه علي والحسين ابنا الحنائي، وعلي بن الخضر السلمي، وكان عابداً مجاب الدعوة، توفي سنة (٤١٢هـ/ ١٠٢١م)؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٩/ ٢١١)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٣/ ٢٦١- ٢٦٢).

([3]) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٦٣).

([4]) الأشتر: هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج، روى عن خالد بن الوليد أنه كان يضرب الناس على الصلاة بعد العصر، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها، وولاه على مصر فخرج إليها فلما كان بالعريش شرب شربة عسل فمات سنة (٣٧هـ/ ٦٥٧م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٦/ ٢١٣)؛ البخاري، التاريخ كبير (ج٧/ ٣١١)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥٦/ ٣٧٣- ٣٩٢)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٢٧/ ١٢٦- ١٢٩)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٤/ ٥٢٨)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج١/ ٣١٧).

([5]) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٦٨).

ب- **قبر حفصة**[1]، **زوج النبي ﷺ**: قيل إنه ببعلبك؛ والصحيح أنها أم حفص؛ أخت معاذ بن جبل[2]؛لأن حفصة ماتت بالمدينة[3].

ت- **دير النبي إلياس عليه السلام**: ويقال أنه كان محبوساً فيه[4].

ث- **مشهد إبراهيم عليه السلام**: بقلعة بعلبك، وجدد الملك الأشرف موسى[5] بناءه[6].

ج- **قبر أسباط**: بعلبك[7].

ح- **قبر نوح عليه السلام**: بقرية تعرف بالكرك، من أعمال بعلبك[8].

خ- **قبر اليسع**: بقرية تعرف ببسر، من أعمال زُرع[9].

---

(1) حفصة بنت عمر بن الخطاب؛ بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي: تزوجت خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، وهاجرت معه إلى المدينة، فمات ببدر، وتزوجها رسول الله ﷺ، وتوفيت بالمدينة سنة (٤٥هـ/ ٦٦٥م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات (ج٨/ ٨١- ٨٦)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج٧/ ٦٧)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٣٥/ ١٥٣- ١٥٤)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٢/ ٤٠٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٣/ ٦٦- ٦٧)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٨/ ٨٥- ٨٦).

(2) معاذ بن جبل؛ بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد أخي سلمة بن سعد: يكنى أبا عبد الرحمن، شهد العقبة، وبدر، وتوفي في طاعون عمواس بالشام؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٣/ ٥٨٣- ٥٩٠)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج٧/ ٣٥٩- ٣٦٠)؛ ابن حبان، الثقات (ج٣/ ٣٦٨- ٣٦٩)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٢٨/ ١٠٥- ١١٤)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٢/ ١٠١)؛ تذكرة الحفاظ (ج١/ ١٩- ٢١)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٦/ ١٠٧- ١٠٨)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج١/ ١٧٤- ١٧٥).

(3) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٦٨).

(4) المصدر السابق (ص ٢٦٨).

(5) الملك الأشرف موسى الأيوبي؛ أبو الفتح، موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، الملقب الملك الأشرف مظفر الدين: أول شيء ملكه من البلاد مدينة الرها، سيره إليها والده من مصر في سنة (٥٩٨هـ/ ١٢٠١م)، ثم أضيفت إليه حران، وكان محبوباً إلى الناس، ولما توفي أخوه عبد الملك الأوحد نجم الدين أيوب صاحب خلاط وميافارقين وتلك النواحي، أضافها إلى ملكه، وتوفي سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)، بملاذكرد؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٥/ ٣٣٠)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٥/ ١٤٦- ١٤٧).

(6) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٦٨).

(7) المصدر السابق (ص ٢٦٨).

(8) المصدر السابق (ص ٢٦٨).

(9) المصدر السابق (ص ٢٦٨).

د- **قبر شيث**[1]: بقرية تعرف بشرعين بالقرب من كرك نوح؛ وبقربه قبر النبي إلياس[2].

ذ- **قبر حزقيل:** أحد أنبياء بني إسرائيل بالبقاع[3]؛ غربي كرك نوح[4].

ر- **قبر بنيامين:** شقيق النبي يوسف عليه السلام، بقرية ظهر حمار[5] من البقاع[6].

ز- **قبر شيبان الراعي**[7]: بالبقاع، بالقرب من قبر حزقيل، في مشهد مبني عليه[8].

س- **قبر أيوب عليه السلام:** بقرية دير أيوب[9]، من دير نوى، وبها ابتلى الله عز وجل أيوب عليه السلام، وبها العين التي ركلها برجله، والصخرة التي كان عليها[10].

ش- **قبر سعد التكروري:** رجل فقير صالح؛ بقرية دير أيوب[11].

ص- **مشهد جماعة من الصحابة:** بقرية تعرف بمُحَجَّةً على يسار الذاهب إلى زُرع التي بها موقعة أجنادين في فتوح الشام[12].

ض- **قبر معاذ بن جبل:** بالقُصَير المعيني[13].

ط- **قدم هارون عليه السلام:** ببلدة صرخد، وبها مشهد قالوا: أن موسى وهارون عليهما

---

(1) شيث: ابن آدم وحواء، وبشرت به حواء بعد هابيل؛ وهو بالعربية شث، وبالسريانية شاث، وبالعبرانية شيث؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج1/ 37- 39)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج23/ 268- 281).

(2) العمري، مسالك الأبصار (ج1/ 268).

(3) البقاع العزيزيّ: نسبةً إلى الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي، ومقرّ الولاية به كرك نوح عليه السلام، وهاتان الولايتان منفصلتان عن بعلبكّ؛ ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى (ج4/ 114).

(4) العمري، مسالك الأبصار (ج1/ 268).

(5) ظَهْرُ حِمَارٍ: قرية بين نابلس وبيسان؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج4/ 63).

(6) العمري، مسالك الأبصار (ج1/ 268).

(7) شيبان الراعي: عبدٌ زاهد من مرو، يروي عن سفيان الثوري، وتوفي سنة (170هـ/786م)؛ ينظر: ابن حبان، الثقات (ج6/ 448)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج4/ 410)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج16/ 118).

(8) العمري، مسالك الأبصار(ج1/ 268).

(9) دَير أَيُّوبَ: قرية بحوران من نواحي دمشق؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج2/ 499).

(10) العمري، مسالك الأبصار (ج1/ 268).

(11) المصدر السابق (ص 268).

(12) المصدر السابق (ص 268).

(13) المصدر السابق (ص 269).

السلام كانا به لما خرجا من التيه، وقبر هارون في السيق ببلاد الشوبك[1].

ظ- **قبر عبد الرحمن بن عوف**[2]: بقرية تعرف بالدُّور، على باب زُرع[3].

ع- **قبر سام بن نوح:** على باب نوى؛ وبها قبر الشيخ محيي الدين النووي، وقبر الشيخ علي الحريري[4]، شيخ الطائفة الحريرية[5].

غ- **مبرك ناقة النبي ﷺ:** موضع معروف ببصرى، ويذكر العمري أنه يقال: بأن ناقة النبي ﷺ بركت به، فأما قدوم النبي ﷺ بصرى فلا شك فيه، وأما أن ناقته بركت في هذا الموضع فهو غير مؤكد، ويقول العمري أن الظاهر أنه هو الموضع، وبه مصحف شريف عثماني عليه أثر الدم، وبقبليّ بصرى دير يقال له دير الناعقي، وكان به بحيرا الراهب حين اجتمع برسول الله ﷺ، وشرقي بُصرى قرية تعرف بدنين؛ وبها قَدَمُ رسول الله ﷺ في صخرة سوداء، وقرب بُصْرى قرية تعرف بغصب، ودفن وهب بن منبه فيها[6].

ف- **قبر أبي هريرة:** بقرية تُبْنى بالساحل، من أعمال الرملة[7].

ق- **قبر لقمان الحكيم وابنه:** شرق المغارة التي ولد بها عيسى عليه السلام[8].

---

(1) العمري، مسالك الأبصار (ج1/269).

(2) عبد الرحمن بن عوف؛ بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب: وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو أو عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ حين أسلم؛ عبد الرحمن ويكنى أبا محمد، أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وشهد بدراً، وأحداً، والخندق، وتوفي سنة (32هـ/ 652م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/ 124- 135)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج35/ 235- 307)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج3/ 475)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج17/ 324- 329)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج2/ 210)؛ سير أعلام النبلاء (ج3/ 49- 66)؛ ابن منقذ، الوفيات (ج1/ 30)؛ ابن حجر، الإصابة (ج4/ 290- 293).

(3) العمري، مسالك الأبصار (ج1/ 268).

(4) علي بن أبي الحسن بن منصور الشيخ أبو الحسن أبو محمد الحريري: كبير الطائفة الحريرية، وهو حوراني ومن بنو الرمان، ولد بقرية بسر، من قوم يعرفون ببني قرقر، وأمه دمشقية، توفي سنة (645هـ/ 1247م)؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج20/ 223- 225).

(5) العمري، مسالك الأبصار (ج1/ 268).

(6) المصدر السابق (ص 269).

(7) المصدر السابق (ص 269).

(8) المصدر السابق (ص 270).

ك- **قبر سليمان بن داود:** شرقي بحيرة طبرية؛ كما يذكر البعض؛ ويذكر العمري أن غير صحيح، والصواب أن سليمان دفن إلى جانب أبيه في بيت لحم، وهما بالمغارة التي بها مولد عيسى عليهم السلام أجمعين[١].

ل- **قبر جعفر الطيار**[٢]: بقرية مؤتة، من أعمال كرك الشوبك[٣].

م- **قبر أبو عُبيدة بن الجراح**[٤]: بقرية عمتا من الغور، وعليه بناءٌ، ولخادمه مرتب جارٍ، أُجري له في الأيام التنكزية[٥]، بعلم الوزير أمين الملك[٦] ووساطته[٧].

ن- **قبر أُم موسى بن عمران:** بقرية يقال لها إربل من أعمال طبريَّة، عن يمين الطريق، وبها أربعة من أولاد يعقوب؛ وهم: دان، وأبساخور، وزبولون، وكاز [٨].

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٦٩).

(٢) جعفر بن أبي طالب؛ عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي: أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية وبقى بها حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم قدم عليه جعفر من أرض الحبشة وهو بخيبر سنة (٧هـ/ ٦٢٨م)، واستشهد يوم مؤتة سنة (٨هـ/ ٦٢٩م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٤/ ٣٤- ٤١)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج٢/ ١٨٥)؛ ابن حبان، الثقات (ج٣/ ٤٩)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٧٢/ ١٢٠- ١٣٤)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج١/ ٥٤١)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٥/ ٥٠- ٦٣)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٢/ ٨٢٥)؛ سير أعلام النبلاء (ج٢/ ٥٨- ٨٨، ج٣/ ١٣٠- ١٣٩)؛ ابن الأثير، الإصابة (ج١/ ٥٩٢- ٥٩٣)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج١/ ٩٦- ٩٧).

(٣) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٦٩).

(٤) أبو عبيدة بن الجراح؛ واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة، وشهد بدر، وأحد، وفتح حلب وقنسرين، وتوفي سنة (١٨هـ/ ٦٣٩م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٣/ ٤٠٩- ٤١٢، ج٧/ ٣٨٤)؛ ابن العديم، بغية الطلب (ج١/ ٥٨١- ٥٨٢، ج١٠/ ٤٥٢١-٤٥٢٢)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٢/ ٩٩)؛ سير أعلام النبلاء (ج٣/ ٥- ١٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٦/ ٣٢٨- ٣٢٩)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٣/ ٤٧٥- ٤٧٧).

(٥) نسبة إلى تنكز: الأمير سيف الدين أبو سعيد نائب السلطنة بالشام، قدم مصر وهو صغير، جلبه الخواجا علاء الدين السيواسي، فاشتراه الأمير حسام الدين لاجين، فلما قتل لاجين فأصبح من خاصكية السلطان الناصر، وشهد معه واقعة وادي الخزندار، ثم وقعة شقحب؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٠/ ٢٦٠).

(٦) عبد الله بن تاج الرئاسة الصاحب الرئيس الوزير الكبير؛ أمين الملك: وزير مصر والشام، كاتباً منفذاً وزيراً، كثير مدح النبي ﷺ، ويكتبها بخطه، وكان نظر الدواوين بدمشق، توفي سنة (١٤٧هـ/ ٧٦٤م)؛ ينظر: الصفدي، أعيان العصر (ج٢/ ٦٥٨- ٦٥٩)؛ الوافي بالوفيات (ج١٧/ ٥٠- ٥١).

(٧) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٦٩).

(٨) المصدر السابق (ص ٢٦٩).

هـ- **قبر زيد بن حارثة**[١]؛ **وقبر عبد الله بن رواحة**[٢].

و- قبر **الحارث بن النعمان**[٣]؛ **وعبد الله بن سهل**[٤]؛ **وسعد بن عامر القيسي**[٥]؛ **وأبي دُجانة الأنصاري**[٦]:وجميعهم استشهدوا رضوان الله عليهم في غزوة مؤتة[٧].

ي- **قبر راحيل أم يوسف:** على يمين طريق السالك من القدس إلى الخليل[٨].

أأ- **قبر شعيب عليه السلام:** بقرية حطّين، وقبر زوجته على الجبل[٩].

---

(١) زيد بن حارثة؛ بن شراحيل بن عبد العزى: مولى النبي ﷺ، من بنو كلب من اليمن، قتل في عهد النبي ﷺ بمعركة مؤتة سنة (٨هـ/ ٦٢٩م)؛ ينظر: البخاري، التاريخ الكبير (ج٣/ ٣٧٩)؛ ابن حبان، الثقات (ج٢/ ٣٢- ٣٣)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٢/ ٦- ١١، ج١٩/ ٣٤٢- ٣٧٣)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج٢/ ٣٥٠)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١/ ٣٣٠- ٣٣٢)؛ سير أعلام النبلاء (ج٢/ ٨٩- ٩٠، ج٣/ ١٤٠- ١٤٣)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٢/ ٤٩٤- ٤٩٧)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج١/ ٩٧- ٩٨، ٣٤٣- ٣٦٠).

(٢) عبد الله بن رواحة؛ بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: وكان يكتب في الجاهلية، وشهد العقبة، وبدراً، وأحداً، والخندق، والحديبية، وخيبر، قتل بمؤتة سنة (٨هـ/ ٦٢٩م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٣/ ٥٢٥- ٥٢٦)؛ ابن حبان، المصدر السابق (ج٣/ ٢٢١)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج٣/ ٢٣٥)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج١٤/ ٥٠٦- ٥٠٧)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١/ ٣٢٣- ٣٢٤)؛ سير أعلام النبلاء (ج٢/ ٩٠- ٩١، ج٣/ ١٤٥- ١٤٩)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٤/ ٧٢- ٧٤)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج١/ ٩٩- ١٠٠).

(٣) الحارث بن النعمان؛ بن إساف بن نضلة ابن عمر بن عبد عوف بن مالك بن النجار الأنصاري: شهد مؤتة وقتل بها (٨هـ/ ٦٢٩م)؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج١١/ ٤٨٥)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج١/ ٦٤١)؛ ابن حجر، الإصابة (ج١/ ٦٩٤)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج١/ ١٠٠).

(٤) عبد الله بن سهل؛ بن زيد بن عامر بن عمرو بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: شهد بدر، وأحد، والخندق، واستشهد يوم الخندق سنة (٥هـ/ ٦٢٧م)، رماه رجل من بني عويف فقتله، ولم يستشهد يوم مؤتة مع الصحابة الاثنا العشر كما ذكر العمري؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٣/ ٤٤٦)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج٣/ ٢٧٠)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٤/ ١٠٦).

(٥) سعد بن عامر القيسي؛ لم يستشهد في مؤتة؛ والصواب: أن عامر بن سعد بن الحارث بن عبادة بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى: هو من استشهد مع أخوه عمرو في مؤتة؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٢٥/ ٣٣٠)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج٣/ ١٢٠)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٣/ ٤٧٠).

(٦) خالد بن أبي دجانة الأنصاري: ذكره عبيد الله بن أبي رافع في تسمية من شهد مع علي حربه، وشهد صفين؛ ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة (ج٢/ ١١٩)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٢/ ١٩٨).

(٧) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٦٩).

(٨) المصدر السابق (ص ٢٧٠).

(٩) المصدر السابق (ص ٢٧٠).

ب‌ب- **قبر يعقوب عليه السلام؛ وبيت الأحزان؛ وجُب يوسف عليه السلام:** في الطريق إلى بانياس؛ ويذكر أيضاً أن ابن الواسطي[١] يقول: أن جُب يوسف في طريق القُدس عند بلد يقال له سِنْجيل، وذكر أنه في موضع آخر: سَيْلُون قرية كان يعقوب عليه السلام ساكناً بها، وإن يوسف عليه السلام خرج منها مع إخوته، والجُب الذي رُمي فيه بين سنجيل ونابلس عن يمين الطريق[٢].

ت‌ت- **قبر يهوذا بن يعقوب:** بقرية رُومة من أعمال طبرية[٣].

ث‌ث- **قبر صَفُوراء بنت شُعيب؛ زوجة موسى بن عمران:** بقرية كفر مَنْدَه، قيل إنها مَدْيَن، وبها الجُبُّ الذي قلع موسى الصخرة من عليه، وسقى منها أغنام شُعيب، وبها اثنان من أولاد يعقوب؛ وهما: أشير، ونفتالي، وبالقرب منهم جبل الطور الذي رأى منه موسى النار، ومنه أرسله الله[٤].

ج‌ج- **قبر لوط:** بقرية كفر تريك، شرقي بلد الخليل[٥].

ح‌ح- **مقام لوط:** بقرية ياقين[٦]؛ التي كان يسكنها بعد رحيله من زُغَر، والموضع الذي خُسف بقومه، ويذكر العمري أن الحجر الذي ضربه موسى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا؛ بزُغَر[٧].

([١]) إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل، الإمام تقي الدين، مسند الشام، أبو إسحاق ابن الواسطي، الصالحي، الحنبلي: أحد الأعلام، ولد سنة (٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م)، حدث بالكثير، وكان فقيهاً، درس بمدرسة الصاحبة بالجبل، وولي مشيخة الحديث بالظاهرية إلى أن مات سنة (٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م)، وكان كثير التلاوة والأوراد؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ٧٤٥)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٥/ ٤٤٢- ٤٤٣).

([٢]) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٧٠).

([٣]) المصدر السابق (ص ٢٧٠).

([٤]) المصدر السابق (ص ٢٧٠).

([٥]) المصدر السابق (ص ٢٧٠).

([٦]) ذكر العمري أن مقام لوط "قرية تامين"؛ وهذا غير صحيح، والصواب: قرية ياقين؛ كان يسكن بعد رحيله من زغر، وسميت ياقين لأنه لما سار بأهله ورأى العذاب قد نزل بقومه سجد في هذا الموضع وقال: "أيقنت أن وعد الله حق"؛ ينظر: الهروي، الاشارات (ج١/ ٣٤)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٤٢٦)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١٤٧٢).

([٧]) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٧٠).

خخ- **قبر عبادة بن الصامت**[١]: بمدينة الرملة[٢].

دد- **مشهد الحسين:** بعسقلان؛ ويذكر العمري أن رأسه كان بها، فلما احتلها الصليبيين نُقل المسلمون الرأس إلى القاهرة، ودُفن بها في المشهد المعروف به خلف القصرين، -على زعم من قال ذلك-، ويقول العمري أنه على الأغلب لم يتجاوز دمشق، لأنه حمل إلى يزيد بن معاوية، وكانت دمشق دار ملكه وملك بني أُمية، ومن المحال أن يتجاوز الرأس المحمول إلى السلطان لغير حضرته، ومشهده معروف بدمشق داخل باب الفراديس، وفي خارجه مكان الرأس، وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا جثمان الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر لأخيه، ويشكك العمري بذلك للبعد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان، وفي هذا المشهد دفن أيضاً رأس الكامل صاحب ميافارقين[٣].

ذذ- **قبر يحيى وزكريا:** يذكر العمري عن ابن عساكر عن زيد بن واقد[٤]، أنه قال: عندما وكله الوليد بن عبد الملك على عمال بناء مسجد دمشق، وجد فيه مغارة، فأخبروا الوليد بذلك، وكان ذلك في وسط الليل وبين يديه الشموع، فنزل؛ فإذا هي كنيسة صغيرة، وفيها صندوق، وفيه سَفَط، وفي السفط رأس يحيى بن زكريا، ومكتوباً عليه: "هذا رأس يحيى بن زكريا"، فأمر الوليد برده إلى مكانه، وأن يجعل العمود الذي فوقه مختلفاً عن

---

(١) عبادة بن الصامت؛ بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج: وشه العقبة، وهو أحد النقباء الاثني عشر، وآخى رسول الله ﷺ بين عبادة بن الصامت وأبي مرثد الغنوي، وشهد عبادة بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وتوفي في فلسطين سنة (٣٤هـ/ ٦٥٤م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٣/ ٥٤٦)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج٦/ ٩٢)؛ ابن حبان، الثقات (ج٣/ ٣٠٢- ٣٠٣)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٢٦/ ١٧٥- ٢٠٧)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج٣/ ١٥٨)؛ النووي، تهذيب الأسماء (ج١/ ٢٥٦- ٢٥٧)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٢/ ٢٢٨)؛ سير أعلام النبلاء (ج٣/ ٣٤١- ٣٤٥)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٦/ ٣٥٣- ٣٥٤)؛ ابن حجر، الاصابة (ج٣/ ٥٠٥- ٥٠٦).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٧٠).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٧٠- ٢٧٤).

(٤) زيد بن واقد؛ أبو عمرو الدمشقي: من أهل الشام، يروي عن مكحول، وبسر بن عبيد الله، روى عنه يحيى بن حمزة، وصدقة بن خالد، وهو ثقة، توفي سنة (١٣٨هـ/ ٧٥٥م)؛ ينظر: ابن حبان، الثقات (ج٦/ ٣١٣)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج١٠/ ١٠٨- ١١١)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٣/ ٦٠٥)؛ سير أعلام النبلاء (ج٦/ ٣٩٠)؛ ميزان الاعتدال (ج٢/ ١٠٦)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ١٢٧).

باقي الأعمدة، فكان عموداً مُسفَّط الرأس، وقال زيد بن واقد: أنه رأى رأس يحيى بن زكريا وعليه البشرة، والشعر على رأسه لم يتغير[1].

وقال القاسم بن عثمان الجُوعي[2]: أنه سمع الوليد بن مسلم عندما سُئل؛ أين بلغك رأس يحيى بن زكريا؟ قال: بلغني أنه؛ وأشار بيده نحو العمود المُسَفَّط الرابع من الركن الشرقي، وقال هشام بن عمار: حدثه محمد بن شعيب[3]، قال: عندما دخل مع شداد بن عبد الله[4] من باب الدرج، قال له: ترى هاهنا كتاباً بالرومية؟ فقال له: نعم، فصلى ركعتين وقال: هاهنا رأس يحيى بن زكريا، وروى القاسم الجُوعي عن الوليد بن مسلم؛ أنه سأل الأوزاعي: أين رأس يحيى بن زكريا؟ فقال: في العمود الرابع المُسَفَّط[5].

([1]) الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٣/ ٦٥٩)؛ العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٧٤).

([2]) القاسم بن عثمان الجوعي: كان رجلاً فاضلاً، من أهل دمشق من المتعبدين، يروي عن أبي اليمان، وقد كان راوياً لابن نافع، حدث عنه محمد بن المعافي بصيداء وغيره، توفي سنة (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م)؛ ينظر: ابن حبان، الثقات (ج٩/ ١٧)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٤٩/ ١١٩)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٥/ ١٢٠٧)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٤/ ٩٦).

([3]) محمد بن شعيب بن شابور: مولى بني أمية، قرشي شامي، سمع خالد بن دهقان، وعثمان بن أبي عاتكة، ويحيى بن أبي عمرو السيباني، روى عنه هشام بن عمار، وأهل الشام، كان مولى الوليد بن عبد الملك، وكانت له بدمشق دار بباب توما، وكان أحد الأئمة الثقات، ولد سنة (١١٦هـ/ ٧٣٤م)، وتوفي سنة (١٩٨هـ/ ٨١٣م)، ويقال سنة (٢٠٠هـ/ ٨١٥م)؛ ينظر: البخاري، التاريخ الكبير (ج١/ ١١٣)؛ ابن حبان، الثقات (ج٩/ ٥٠)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥٣/ ٢٤٥- ٢٥٤)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٢٥/ ٣٧٠- ٣٧٥)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٤/ ١١٩٥)؛ تذكرة الحفاظ (ج١/ ٢٣٠)؛ سير أعلام النبلاء (ج٨/ ١٠٩).

([4]) شداد بن عبد الله؛ أبو عمار: مولى معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي الدمشقي، روى عن أبي أمامة وواثلة، روى عنه الأوزاعي، ينظر: البخاري، التاريخ الكبير (ج٤/ ٢٢٦)؛ ابن حبان، الثقات (ج٤/ ٣٥٧)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٢٢/ ٤١٨- ٤٢٥)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج١٢/ ٣٩٩- ٤٠١).

([5]) العمري، مسالك الأبصار (ج١/ ٢٧٤).

المبحث الثاني: مشاهير القراء والحفاظ والمحدثين.

أولاً: القراء:

١. قراء الشام:

يذكر لنا العمري أنه؛ بدأ بالقراء لما لفضل القرآن الكريم، ويقول: "وأعلم أن شرف القرآن العظيم شرف أهله، وتقدمهم تبع لفضله، وهم حملته البررة ونقلته، وصدورهم له صحفٌ مطهرة"(١)؛ فيبدأ العمري بسرد مشاهير القراء في المشرق، وما يهمنا هم قراء مصر والشام، والذين على النحو التالي:

أ- عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة؛ أبو عمران اليحصبي(٢):

يقول فيه العمري؛ أنه إمام أهل الشام في القراءة، وأحد القراء السبعة، قرأ القرآن، وأمّ به، وحكم فقضى بموجبه، ونظر في أمر بناء جامع دمشق حين أُمر ببنائه، فشيّد بناءه، واعتنى به، وكان رئيساً به لا يرى فيه بدعة إلا غيرها، ولا ثغرة إلا عمَّرها، فاز ببركة ولادته في عهد النبي ﷺ، ونشأ بين الصحابة رضوان الله عليهم، فأمسى(٣).

ويذكر العمري؛ عن خالد بن يزيد المُرّي(٤) أنه قال: سمعت عبد الله بن عامر يقول: توفي رسول الله ﷺ وعمري سنتان، وانتقلت إلى دمشق ولي تسع سنين، وقرأت على معاذ ابن جبل، وأبي الدرداء، وقرأتُ على معاوية، وواثلة بن الأسقع(٥)، وقرأ على

---

(١) مسالك الأبصار (ج٥/ ٧٩).

(٢) ينظر ترجمته: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/ ٤٤٩)؛ ابن خياط، الطبقات (ج١/ ٥٦٧)؛ ابن وكيع، أخبار القضاة (ج٣/ ٢٠٣)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٥/ ١٢٢- ١٢٣)؛ ابن النديم، الفهرست (ج١/ ٤٧)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٢٩/ ٢٧١- ٢٧٢)؛ الذهبي، الكاشف (ج١/ ٥٦٤)؛ ابن حجر، تقريب التهذيب (ج١/ ٣٠٩)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٢/ ٨٥).

(٣) مسالك الأبصار (ص ٧٩).

(٤) خالد بن يزيد؛ بن صالح بن صبيح المري: من أهل دمشق، ثقة وصدوق، والد عراك الذي يروي الحروف، روى عن يونس بن ميسرة بن حلبس وجده، وقد حضر جده المغيرة بن شعبة؛ ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٣/ ٣٥٨- ٣٥٩)؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار (ج١/ ٢٩٢).

(٥) واثلة بن الأسقع؛ أبو قرصافة، بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن عنزة بن سعد بن ليث بن بكر: من بني كنانة، كان ينزل ناحية المدينة، ثم وقع الإسلام في قلبه، فقدم على رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى=

رسول الله ﷺ، وقيل: أنه عرض على عثمان وقيل: لم يقرأ عليه بل سمع قراءته في الصلاة، وذكر عن الأهوازي في الإيضاح أنه؛ ستة وأربعون قارئاً أخذوا القراءة عن ابن عامر، وولي ابن عامر قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخولاني[1]، وذكر عن يحيى بن الحارث[2] أنه قال: كان ابن عامر قاضي الجند، وتوفي سنة (١١٨هـ/ ٧٣٦م)[3].

ب- عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذَكْوان؛ أبو عمرو البهراني الدمشقي[4]:

يذكره العمري بالقول فيه؛ "مقرئ دمشق، وإمام الجامع، ومُدام حانها، إلا أنه الذي يُشرَبُ بالمسامع، حاش لله!، بل هو مصباح مسجدها، وضوء فرقدها، وأثبت ما تَعُدّه منها إرم ذات العماد من عُمدها..."[5]، ولد يوم عاشوراء سنة (١٧٣هـ/ ٧٨٩م)، وقرأ على أيوب بن تميم[6]، وغيره، ويذكر أن أبو زرعة قال: "لم يكن بالعراق، ولا

=تبوك، فأسلم، وخرج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، وكان أصغرهم"، وسمع من رسول الله ﷺ، فلما قبض رسول الله ﷺ خرج إلى الشام، وتوفي سنة (٨٥هـ/ ٧٠٤م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/ ٤٠٧- ٤٠٨)؛ ابن خياط، الطبقات (ج١/ ٥٥٢)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٩/ ٤٧)؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار (ج١/ ٨٦)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٦٢/ ٣٤٣- ٣٦٥)؛ الذهبي، الكاشف (ج٢/ ٣٤٦).

(1) أبو إدريس الخولاني؛ عائذ الله بن عبد الله: ولد عام حنين، وكان ثقة، وقد روى عنه الزهري، توفي سنة (٨٠هـ/ ٦٩٩م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/ ٤٤٨)؛ ابن خياط، الطبقات (ج١/ ٥٦٣)؛ ابن وكيع، أخبار القضاة (ج٣/ ٢٠٢)؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار (ج١/ ١٨٠)؛ الذهبي، الكاشف (ج١/ ٥٢٨)؛ ابن حجر، تقريب التهذيب (ج١/ ٢٨٩).

(2) يحيى بن الحارث؛ الذماري: قليل الحديث، عالماً بالقراءة، توفي سنة (١٤٥هـ/ ٧٦٢م)، في خلافة أبي جعفر، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/ ٤٦٣)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٩/ ١٣٥- ١٣٦)؛ ابن حبان، المصدر السابق (ج١/ ١٩٢)؛ ابن النديم، الفهرست (ج١/ ٤٧- ٤٨)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٦٤/ ١٠٦- ١١١)؛ الذهبي، الكاشف (ج٢/ ٣٦٣).

(3) مسالك الأبصار (ج٥/ ٨٠).

(4) ينظر ترجمته: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٥/ ٥)؛ ابن حبان، الثقات (ج٨/ ٣٦٠)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٢٧/ ٦- ١١)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج١٤/ ٢٨٠- ٢٨٣)؛ الذهبي، الكاشف (ج١/ ٥٣٨)؛ تاريخ الإسلام (ج٥/ ١١٥٥)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٣/ ١٩٢).

(5) مسالك الأبصار (ج٥/ ١١٢- ١١٣).

(6) أيوب بن تميم: من قراء أهل الشام، يروي عن يحيى بن الحارث الذماري، روى عنه عبد الله بن ذكوان الدمشقي، توفي سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٦م)؛ ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار (ج٦/ ٥٩)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٤/ ١٠٧٦)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٠/ ٢٥).

بالحجاز، ولا بالشام، ولا بمصر، ولا بخرسان في زمن ابن ذكوان أقرأ عندي منه"[١]، وكان هشام بن عمار؛ الخطيب، وابن ذكوان يؤم الناس في الصلوات، وكان نائبه، وتوفي في شوال سنة (٢٤٢هـ/ ٨٥٦م)[٢].

ت- هشام بن عمار بن نُصَير بن مَيْسَرة، أبو الوليد السلمي؛ الظفري الدمشقي[٣]:

يذكر العمري أنه؛ شيخ أهل دمشق، ومفتيهم، ومحّدثهم، وخطيبهم، ومقرئهم، ولد سنة (١٥٣هـ/ ٧٧٠م)، فقرأ القرآن على عراك بن خالد[٤]، وأيوب بن تميم، وحدث عنه البخاري في صحيحه، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه في سننه، والترمذي، وكان طالباً للعلم، واسع الرواية، متبحراً في العلوم، روى عنه عبدان الأهوازي[٥] وقال: "ما كان بالدنيا مثل هشام"، وقال محمد بن خُريم: كان هشام فصيحاً مفوهاً، سمعته يقول في خطبته: "قولوا الحقّ يُنْزلكم الحق منازل أهل الحق، يوم لا يُقضى إلا بالحق"[٦].

([١]) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١١٣).

([٢]) المصدر السابق (ص ١١٤).

([٣]) ينظر ترجمته: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/ ٤٧٣)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج٨/ ١٩٩)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٩/ ٦٦)؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار (ج٩/ ٢٣٣)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٧٤/ ٣٢- ٣٦)؛ ابن العديم، بغية الطلب (ج٧/ ٣٣٣٣)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٣٠/ ٢٤٢- ٢٥٥)؛ الذهبي، الكاشف (ج٢/ ٣٣٧)؛ تاريخ الإسلام (ج٥/ ١٢٧٢)؛ تذكرة الحفاظ (ج٢/ ٢٩- ٣٠)؛ ميزان الاعتدال (ج٤/ ٣٠٢- ٣٠٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٦/ ٦٥- ٦٧)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٧/ ٤١٩)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ٥٣٦)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٣/ ٢١٠).

([٤]) عراك بن خالد؛ بن يزيد بن صالح بن صبيح المري: روى عن يحيى بن الحارث الذماري، روى عنه هشام بن عمار، ومحمد بن وهب بن عطية، وعبد الله بن ذكوان المقري، وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث، ليس بقوي، وقال الدارقطني: لا بأس به؛ ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٧/ ٣٨)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق(ج٤٠/ ١٦٤- ١٦٦)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج١٩/ ٥٤٤- ٥٤٥)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٤/ ١١٦٧)؛ ميزان الاعتدال (ج٣/ ٦٣)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٧/ ٣٠٤).

([٥]) عبدان الأهوازي؛ أبو محمد: كان فصيحاً من أهل القرآن، والفقه، والنحو، والسير، وأيام الناس وأخبارهم، وله شعر كشعر العلماء، توفي ببغداد سنة (٣٠٦هـ/ ٩١٨م)، وقيل توفي سنة (٣٠٧هـ/ ٩١٩م)، بعسكر مكرم؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٢/ ١٠٧).

([٦]) مسالك الأبصار (ج٥/ ١١٤- ١١٥).

ويذكر العمري أنه؛ قال هشام: سألت الله سبع حوائج؛ سألته أن يغفر لي ولوالدي، فما أدري ما صنع في هذه؟، وسألته الستة فقضاهنَّ لي، وهي؛ الحج والعمرة، وأن يعمرني نحو المائة، وأن يجعلني مصدقاً على حديث نبيّه، وأن أخطب على منبر دمشق، وأن يرزقني ألف دينار حلالاً، وأن يغدو الناس إليَّ في طلب العلم، وكان يخطب ويصلي بالناس الجمعة فقط، وقال أبو علي الأصبهاني[1]: لما توفي أيوب بن تميم، رجعت الإمامة في القراءة إلى رجلين؛ ابن ذكوان، وهشام، وقال: هشام كان مشتهراً بالنقل، والفصاحة، والعلم، والرواية، والدراية، وصحة العقل، والرأي، وارتحل الناس إليه في القراءات، والحديث، زاد على ابن ذكوان بأخذه القراءة عن الوليد بن مسلم، وسويد بن عبد العزيز[2]، وغيرهم، و توفي سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)[3].

ث- محمد بن النضر بن مرّ الحرّ الربعي، الإمام أبو الحسن بن الأخرم الدمشقي[4]:

يذكره العمري بأنه؛ "سيد ربيعة، وسند أهل الشريعة، وابن الحرّ الذي ما مسّه رقّ الضيعة، والفاخرة دمشق بطلوع نيَّره المحمدي في أفقها، والرابية جنانها المزخرفة من أبيه النضر أينع من ورقها، والمتصدّر والناس دونه، والإمام وسهيل قائم، وصفوف النجوم وراءه تتمنى أن تكونه"[5]، وقرأ على هارون بن موسى بن شريك[6]، وجعفر بن

([1]) أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن سعيد؛ أبو علي الأصبهاني: المقرئ، كان شيخاً عالماً، سكن دمشق، وتوفي سنة (٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م)؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥/ ١٨٧- ١٨٨)؛ الحموي، معجم الأدباء (ج٢/ ٤٨٣- ٤٨٤)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٨/ ٧٢٢)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٧/ ٢٠٠).

([2]) سويد بن عبد العزيز بن نمير السلمي: مولى بني سليم، ولي قضاء بعلبك، ويكنى أبا محمد، متروك الحديث، ولد سنة (٩٠هـ/ ٧٠٨م)، في آخر خلافة الوليد بن عبد الملك، وكان يتقاضى إليه أهل الذمة، وتوفي سنة (١٦٧هـ/ ٧٨٣م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/ ٤٧٠)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٤/ ٢٣٨- ٢٣٩)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج١٢/ ٢٥٥- ٢٦٢)؛ الذهبي، الكاشف (ج١/ ٤٧٢- ٤٧٣)؛ تاريخ الإسلام (ج٤/ ١١٢٣)؛ ميزان الاعتدال (ج٢/ ٢٥١- ٢٥٢)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٦/ ٣١- ٣٢).

([3]) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١١٥- ١١٦).

([4]) ينظر ترجمته: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥٦/ ١٢٠)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٧/ ٧٧٣)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٢/ ١١٩)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٥/ ٨٩)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٤/ ٢٢٤).

([5]) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٢٢).

([6]) هارون بن موسى بن شريك؛ القارئ النحوي الدمشقي أبو عبد الله: يعرف بالأخفش، وهو آخر الأخافشة، ولد سنة (٢٠١هـ/ ٨١٦م)، وقرأ بالقراءات السبع، عارفاً بالتفسير، والنحو، والمعاني، والغريب، والشعر، حسن=

أحمد بن كُراز[١]، وأحمد بن نصر بن شاكر[٢]، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالشام، وكان له تلاميذ وحلقة عظيمة[٣].

ويقول أبو عمرو الداني[٤]: أنه روى عنه القراءة جماعة لا يحصى عدد لها، ويقول على بن داود: عندما قدم ابن الأخرم لبغداد، وحضر مجلس ابن مجاهد، قال لأصحابه: "هذا صاحب الأخفش الدمشقي فأقرأوا عليه"، ويقول الشنبوذي[٥]: أنه قرأ على ابن الأخرم، ولم يرَ أفضل منه معرفةً وحفظاً وتفسيراً للقرآن، وقال له: إن الأخفش لقنه القرآن[٦].

ويذكر العمري أنه؛ قال الأهوازي: عندما قدم لبغداد سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، مع وفد من دمشق، ذهب لمسجد ابن مجاهد وكان فيه حوالي ثلاثمائة متصدّر، ولم

=الصوت والأداء، وعنه أُخذت قراءة أهل الشام، توفي سنة (٢٩١هـ/ ٩٠٤م)؛ ينظر: الحموي، معجم الأدباء (ج٦/ ٢٧٦٣)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٦/ ١٠٦٢)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٠/ ٥٣٩)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٥/ ٨٩)؛ ابن حجر، نزهة الألباب (ج١/ ٦٦)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٣/ ٣٨٥).

(١) جعفر بن أحمد بن كراز: من مقرئين الشام؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥٤/ ٧٨).

(٢) أحمد بن نصر بن شاكر بن عمار؛ وهو أحمد بن أبي رجاء أبو الحسن: المقرئ، قرأ القرآن على الحسين بن علي العجلي، عن يحيى بن آدم، عن أبي بكر بن عياش عن عاصم، وعلى الوليد بن عتبة الأشجعي، وآخرين، توفي سنة (٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٦/ ٤٩)؛ ابن العديم، بغية الطلب (ج٣/ ١١٧٧- ١١٧٨)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج١/ ٥٠٣)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٦/ ٨٩٨).

(٣) مسالك الأبصار (ج٥/ ١٢٢- ١٢٣).

(٤) عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني: المقرئ، صَاحب كتاب التَّيْسِير، ولد سنة (٣٧١هـ/ ٩٨١م)، وبدأ مسيرة العلم سنة (٣٨٦هـ/ ٩٩٦م)، ومكث بالقيروان، ثم مصر، ثم الأندلس سنة (٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)، وتوفي في دانية سنة (٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)؛ ينظر: الحموي، معجم الأدباء (ج٤/ ١٦٠٤)؛ ابن نقطة، إكمال الإكمال (ج٣/ ٦٨)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٩/ ٦٥٩)؛ تذكرة الحفاظ (ج٣/ ٢١١- ٢١٢)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٠/ ٢٠- ٢١)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٣/ ٣٩٨).

(٥) محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفرج الشنبوذي: يعرف بغلام ابن شنبوذ، ولد سنة (٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، ويحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقرآن، من كتبه؛ كتاب "الشارة في تلطيف العبارة في علم القرآن"، كتاب "التفسير ولم يتم"، توفي سنة (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)، وقيل سنة (٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥١/ ٥- ٦)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٢٣٢٧)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٨/ ٦٣٦)؛ ميزان الاعتدال (ج٣/ ٤٦١- ٤٦٢)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢/ ٢٩- ٣٠)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٥/ ٥١).

(٦) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٢٣).

يجد فيه موضعاً فجلس في أقصاه، فسمع رجل يقرأ على واحد منهم لابن عامر ويغلط فيه، فردّ عليه؛ فانتهره، وصاحوا عليه فخرج من المسجد، وجلس عند خياط؛ ليخيط له خرقاً، فقال له: من أين أنت؟، فقال له: من الشام، وجئت إلى ابن مجاهد ولم أصل إليه، فقال: له امرأة شامية فامض وسَلْ عنها، فذهب إليها فخرجت إليه جاريتها وقالت له: من أي موضع أنت بدمشق؟، فقال: من قينية[١]، فردت عليه زوجه ابن مجاهد التي كانت وراء الباب تسمع حواره مع الجارية، قائلةً: كيف مولاي أبو الحسن بن الأخرم وأخوه؟، فقال لها أنا هو، ففرحت به فرحاً شديداً، وقالت له ألك حاجة؟، فقال: أريد أن أقرأ على الشيخ، فقالت له: اذهب إلى المسجد غداً فلك ما تريد[٢].

وفي الصباح ذهب للمسجد، واذ بجماعة من أصحاب الشيخ ابن مجاهد فوسعوا إليه في الجلوس، فسألوه؛ أنت ابن الأخرم؟ فأخذ ابن مجاهد يسأله عن الحروف والمعاني، وعن الغريب والشواذ ومعانيها، وأجلسه جنبه، ثم قال لأصحابه: هذا صاحب الأخفش؛ فلما قام ابن مجاهد اجتمع عليه جميع أصحابه، وقرأوا عليه، وأدخله ابن مجاهد على الوزير ابن عيسى[٣]؛ فقضى حوائجهم، وألزمه بالمقام عنده، فبقي في بغداد سبع سنوات، ثم رجع إلى دمشق بعدما أذن له الوزير بالرجوع بعد وفاة أخيه[٤].

ويذكر العمري عن أبو القاسم بن عساكر، أنه قال: طال عمر بن الأخرم، وكانت الناس ترتحل إليه، فكان عارفاً بالقراءات، والتفسير واللغة، وكان متواضعاً، وحسن الخلق، ويذكر العمري؛ أن ابن الأخرم توفي سنة (٤١هـ/ ٦٦١م)، وقيل سنة (٤٢هـ/ ٦٦٢م)، ويقول عبد الباقي بن الحسن: أنه توفي بعد سنة (٤٠هـ/ ٦٦٠م)[٥].

---

(١) ذكرها العمري؛ "قبنية"، والصواب هي قينية: قرية كانت مقابل الباب الصغير من مدينة دمشق، وأصبحت بساتين؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٤٢٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١١٤٠).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٢٣).

(٣) الوزير علي ابن عيسى: كان كاتباً سديداً، ولي الوزارة للراضي بالله بعد عزل أبي علي بن مقلة، في جمادى الأول سنة (٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، وعزل في رجب، فكانت وزارته ثمانين يوماً، ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٤٣/ ١٢٦)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٨/ ١٢٧).

(٤) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٢٣- ١٢٤).

(٥) المصدر السابق (ص ١٢٤).

ج- عليّ بن داود، أبو الحسن الداراني القطّان[1]:

يقول العمري فيه: "كان إمام جامع دمشق ومقرئه، قطع الدنيا زهداً وعاش في الأنام فرداً، ما وقعت العيون على صفاته الممثلة، ولا رأت في كل داراني مثل قطوفه المهدلة، ولا أتى عنقود الثريا منه بحبة ومما استعان بالسنبلة، ولا ادّعت جنى كرمه الكرام، ولا طمعت في رشف ريقته الآثام، ولا سمعت له قهقهة إبريق، لأن الداراني لا يُقصر منه المدام"، ويقول رشأ بن نظيف[2]: "لم ألق مثله حذقاً، وإتقاناً في رواية ابن عامر"، وعندما خرج القاضي أبو محمد العلوي، وجماعة من الشيوخ إلى داريا إلى ابن داود، وأخذوه ليؤم الناس بجامع دمشق سنة (٣٨٢هـ/ ٩٩٢م)[3].

ويقول الحافظ ابن عساكر: سمعتُ ابن الأكفاني[4] يحكي عن بعض مشايخه: أن أبا الحسن بن داود كان إمام داريا، فمات إمام الجامع، فخرج أهل درايا يلبسون السلاح ليأتوا به، وقالوا: لا نمكنكم من أخذ إمامنا، فقال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي نصر[5]: "يا أهل داريا ألا ترضون أن يسُمع في البلاد أن أهل دمشق احتاجوا إليكم في

---

(1) ينظر ترجمته: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٤١/ ٤٦٩- ٤٧٣)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٩/ ٤٦). ابن العماد، شذرات الذهب (ج٥/ ١٢).

(2) رشأ بن نظيف؛ بن ما شاء الله، أبو الحسن المقرئ: ثقة ومأموناً، مضى على سداد وأمر جميل، أصله من المعرة، سكن دمشق، وقرأ القرآن على أبي الحسن بن داود الداراني بحرف ابن عامر، وقرأ على جماعة من قراء العراق ومصر بعدة روايات، توفي سنة (٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج١٨/ ١٤٨- ١٤٩)؛ ابن نقطة، إكمال الإكمال (ج٢/ ٧٠٩)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٩/ ٦٥٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٤/ ٨٢)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٥/ ١٩٤).

(3) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٢٨).

(4) هبة الله بن أحمد؛ بن محمد ابن هبة الله بن علي بن فارس أبو محمد بن أبي الحسين ابن أبي الفضل الأنصاري المعروف بابن الأكفاني: ولد سنة (٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)، سمع من والده، وأبي القاسم الحنائي، وأبي الحسين محمد بن مكي، وعبد الدائم بن الحسن الهلالي، وأبي بكر الخطيب، وغيرهم، وكان ثقة ثبتاً متيقظاً، معنياً بالحديث وجمعه، توفي سنة (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)؛ ينظر: ابن نقطة، إكمال الكمال (ج١/ ١٤٩)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٤/ ٣٩٦)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٧/ ١٣٤)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٤/ ٧٩).

(5) أبو محمد، عبد الرحمن بن أبي نصر عثمان بن القاسم بن معروف بن حبيب، التميمي الدمشقي: الملقب بالشيخ العفيف، ولد سنة (٣٢٧هـ/ ٩٣٩م)، وتوفي سنة (٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٣/ ١٠٧- ١٠٨)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٣/ ٣٣٧).

إمام، فقالوا: قد رضينا"، وكان لا يأخذ على الإمامة رزقاً، ولا يقبل ممن يقرأ عليه براً، وكان يقتات من غلَّة أرض له بداريا، وكان يحمل الحنطة إلى الطاحون؛ فيطحنه، ثم يعجنه، ويخبزه، وانتهت إليه رئاسة القراءة في الشام، وتوفي سنة (٤٠٢هـ/ ١٠١١م)[١]

ح- الحسن بن علي بن إبراهيم، أبو علي الأهوازي:

يذكره العمري أنه ولد سنة (٣٦٢هـ/ ٩٧٢م)، وقدم دمشق وسكنها سنة (٣٩١هـ/ ١٠٠١م)، وكان أعلى من بقي في ذاك الوقت إسناداً بالقراءات؛ وعني بالرواية والأداء من صغره، وصنف عدة كتب بالقراءات، ورحل إليه القراء للتعلم منه، وكان عالي الرواية في الحديث، وله تواليف في الحديث فيها أحاديث واهية وموضوعة، فتكلم فيه الأشعريون؛ لذمه أبي الحسن الأشعري[٢].

ويصفه العمري قائلاً: إنه "الأستاذ، المحدث، بقي سهماً في الكنانة واحداً، ومخلفاً لأهل جيله فاقداً، وأتته الوفود تحثّ قلاصها، وتتماثل فوق ظهور المطي أشخاصها حتى انتهى به أجله، وارتمي به إلى الغاية أمله، فأوتر له هلال الأجل قوسه، ثم رمى به إلى هدف ترابه، وأطاحه، ..."، ويذكر عن ابن عساكر؛ بأنه كان يقول بالظاهر، ويتمسك بالأحاديث الضعيفة، وقد تلقى القراءُ رواياته بالقبول، وكان يُقرئ بدمشق في حياة بعض شيوخه من بعد سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، وتوفي في الرابع من ذي الحجة سنة (٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م)[٣].

خ- عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ذو الفنون، شهاب الدين أبو القاسم المقدسي، الدمشقي الشافعي[٤]:

يذكره العمري بأنه: "المقرئ، النحوي، الأصولي؛ عُرف بابي شامة، صاحب التصانيف المتنوعة، والتواليف، والفضائل التي لا تنتهي، كان وجنة الشام شامة، وفي

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٢٨).

(٢) المصدر السابق (ص ١٣٠).

(٣) المصدر السابق (ص ١٣٠).

(٤) ينظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ١١٤)؛ تذكرة الحفاظ (ج٤/ ١٦٨- ١٦٩)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٢/ ٢٦٩- ٢٧٠)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٨/ ٦٨)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج٧/ ١٦٤- ١٦٥).

وجنة جنانها رضواناً، ما ألمت قبله بعيون دمشق سنَتُها، ولا سمعت فاضلتها منه بأبي شامة إلا وهو حسنتها، يجفّ اللسان، وما بلغ في وصفه أدنى مناه، وتبذخ الشهب خيلاء، إذ لُقَّب بنعت أحدها، أين النجم من هدايته؟ والشهاب من سناه؟[١].

ولد أبو القاسم المقدسي سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)، وقرأ القرآن صغيراً، وأكمل القراءات على شيخه السخاوي[٢] سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، واعتنى بأولاده قبل الأربعين، وأسمعهم الكثير، وقرأ بنفسه وكتب الكثير من العلم، وأحكام الفقه، ودرس، وأفتى، وبرع في اللغة، وصنّف، وشرح، واختصر، وولي مشيخة القراءة بالتربة الأشرفية، ومشيخة الحديث بالدار الأشرفية، وكان مفرط الذكاء، وكثير العلم، متواضعاً ومُطّرِحاً للتكلف[٣].

ويذكر العمري حادثة وفاته؛ أنه في جمادي الآخرة سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، جاء اثنان ليستفتيانه؛ فضرباه ضرباً مبرّحاً كاد أن يقتلاه، ولم يدر من سلطهما عليه؛ فصبر واحتسب، وتوفي في التاسع عشر من رمضان سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)[٤].

د- أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع أبو العباس موفق الدين الكَوَاشي، الشافعي[٥]:

المقرئ، المفسر، الزاهد، من كواشة؛ وهي قلعة من بلاد الموصل' ولد في ربيع الأول سنة (٥٩٠هـ/ ١١٩٤م)، وقرأ على والده، وقدم إلى دمشق وأخذ عن السخاوي

---

(١) مسالك الأبصار (ج٥/ ١٣٩).

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السّخاوي: أبو الخير، الإمام الحافظ المؤرّخ الكبير، صاحب "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع"، و"الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التأريخ"، و"المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة"، وغير ذلك من المصنفات، ولد في القاهرة في شهر ربيع الأول من سنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٧م)، توفي في المدينة المنورة سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)؛ ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب (ج١/ ٧٦- ٧٧).

(٣) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٤٠).

(٤) المصدر السابق (ص ١٤٠).

(٥) ينظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ٣٨٥)؛ تذكرة الحفاظ (ج٤/ ١٧١)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ١٩٠)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج١/ ٢٧٧- ٢٧٨)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٧/ ٦٣٨).

وغيره، وسمع من ابن روزبة[1]، وتقدم في معرفة القراءات، والتفسير، واللغة، وكان منقطع النظير، وكان زهداً، وصالحاً، وصادقاً، وورعاً، صاحب أحوال، وكرامات، وصنف التفسير الكبير، والتفسير الصغير[2].

وذكر العمري عن الحافظ أبو عبد الله الذهبي[3] أنه قال: موفق الدين اشترى قمحاً من قرية الجابية؛ وحملها إلى الموصل، وزرعها بأرض البقعة، واعتنى بها بنفسه، ثم حصدها، وتقوت منها، وخبأ بذراً منها ثم زرعه حتى نما وكبر إلى أن بقي يدخل عليه من ذلك القمح ما يقوم به وبجماعته من أصحابه، وكان إذا أرسل إلى عند صاحب الموصل لا يرده، وتوفي في السابع عشر من جمادي الآخرة سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م)[4].

ذ- إبراهيم بن عمر بنِ إبراهيم، الأستاذ برهان الدين، أبو محمد الربعي، الجعبري[5]:

المقرئ، الشافعي، النحوي، شيخ بلد الخليل عليه السلام، وشيخ القراء في وقته، ويصفه العمري بالقول: "نزيل ذلك الحرم، وضيف ذلك الكرم، وجليس ذلك المحراب المعمور، وأنيس ذلك المكان المتألق مع وجود ذلك النور المتقلل من كثير

([1]) ابن روزبة؛ أبو الحسن علي بن أبي بكر: البغدادي القلانسي العطّار الصّوفي، حدّث بالصحيح عن أبي الوقت السّجزي، ببغداد، وحرّان، ورأس العين، وحلب، وتوفي فجأة سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٤/ ١١٢)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٦/ ٢٧٧)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٠/ ١٦٤)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٥/ ١٨٩)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٧/ ٢٧٩- ٢٨٠).

([2]) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٤١).

([3]) الإمام الحافظ شمس الدّين؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي: الحافظ، أتقن الحديث ورجاله، وعلله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأظهر المبهم في تواريخهم والإلتباس، جمع الكثير، وأكثر من التصنيف، فسمع بدمشق من عمر بن القواس، وأحمد بن هبة الله بن عساكر، ويوسف بن أحمد الغسولي، وغيرهم، أقام بدمشق ورُحل إليه من سائر البلاد، توفي سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)؛ ينظر: ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٣/ ٣١٥- ٣١٧)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٤/ ٢٨٨)؛ الوافي بالوفيات (ج٢/ ١١٤- ١١٨)؛ ابن ناصر الدين، الرد الوافر (ج١/ ٣١- ٣٦)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ٢٦٤- ٢٦٦).

([4]) مسالك الأبصار (ج٥/ ١٤١).

([5]) ينظر ترجمته: الصفدي، أعيان العصر (ج١/ ١٠٣- ١٠٧)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج١/ ٥٥- ٥٦)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ١٧١).

الدنيا، والموفي بنذره في طلب العليا، ..."[١].

قرأ بالسبع قراءات على أبي الحسن الوجوهي[٢] صاحب الفخر الموصلي، وروى القراءات بالإجازة، وتصدّر الإقراء، وصنّف التصانيف الرائعة في فنون العلم، وهاجر إليه طلاب العلم، وله شرح الشاطبية كامل في معناه، وآخر للرائية، ونظم في السبع، والعشر، والرسم، والتجويد، وله نحو مائة مصنّف، ولد سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، بقلعة جعبر، واشتغل ببغداد، ثم دمشق، ثم ولي مشيخة حرم الخليل، فبقي هناك إلى أن توفي في شهر رمضان سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)[٣].

ر- **حمد بن بَصْخان بن عين الدولة، الإمام بدر الدين بن السراج[٤]:**

يذكر العمري بأنه ولد سنة (٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، واعتنى بالقراءات سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، وانتقل إلى مصر سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)، وعمل تاجراً، وتعلم اللغة العربية فأحكمها، وقدم إلى دمشق بعد سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م)، وتصدر لإقراء القراءات والنحو، وقصده القراء والمشتغلون، وظهرت فضائله، وبهرت معارفه، وبَعد صيتهُ، ثم وُلِّي مشيخة الإقراء بتربة أم الملك الصالح؛ لكونه أقرأ من وجد بدمشق من المتصدرين، ووَلِّي إمامة مسجد أبي الدرداء بقلعة دمشق، ثم تركها، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالشام، وتوفي في ذي الحجة سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)[٥].

([١]) مسالك الأبصار (ج٥/ ١٤١- ١٤٢).

([٢]) شمس الدّين؛ أبو الحسن علي بن عثمان بن عبد القادر بن محمود بن يوسف بن الوجوهي البغدادي: الصّوفي، المقرئ، الفقيه، كان أحد أعيان أهل بغداد، ولد سنة (٥٨٢هـ/ ١١٨٦م)، وقرأ بالروايات على الفخر الموصلي، صاحب ابن سعدون القرطبي، وسمع الحديث من ابن روزبة وغيره، وكان خازناً بدار الوزير، وله كتاب "بلغة المستفيد في القراءات العشر"، توفي ببغداد (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، ودفن بباب حرب؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ٢٤٢)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٧/ ٥٨٨).

([٣]) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٤٢).

([٤]) ينظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ١٦٣)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٤/ ٢٨٢- ٢٨٧)؛ الوافي بالوفيات (ج٢/ ١١٢- ١١٣)؛ ابن رافع، الوفيات (ج١/ ٤٣٩- ٤٤٠)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٥/ ٣٦).

([٥]) مسالك الأبصار (ج٥/ ١٤٣).

٢. قراء مصر:

أ- عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان، أبو سعيد المصري القبطي[١]:

ذكره العمري بأنه؛ مولى آل الزبير بن العوام؛ الملقب "بَوْرش"، ويقال له الروّاس؛ لأنها كانت صناعته، ولأنه رأس ثقة، ولد سنة (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، وقرأ القرآن وجوّده على نافع عدّة ختمات، ونافع هو من لقبه بورش لشدة بياضه، وكان يُعجبه تسميته كذلك، ويقول: أستاذي سماني به، وكان أول أمره رأساً، ثم برع بالقرآن واللغة، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بمصر في زمانه، وقال أبو يعقوب الأزرق[٢]: لما تعمّق ورش في النحو وأحكمه، اتخذ لنفسه مقرّاً يسمى ورش[٣].

وعندما خرج ورش من مصر ليقرأ على نافع؛ فلما وصل المدينة إلى مسجد نافع، فرأى القراء ما يقارب الثلاثين، ولا تطاق القراءة عليه من كثرتهم، فسأل رجل: من أكبر الناس عند نافع؟، فقال: كبير الجعفريين، فأوصله إليه ليكون الوسيلة ليقرأ على نافع، فوافق الجعفري واصطحبه إلى نافع ليقرأ عليه، فكان حسن الصوت، مداداً به، فاستفتح بالقراءة فملأ صوته مسجد رسول الله ﷺ، فقرأ ثلاثين آية، فأشار إليه نافع بيده ليسكت حتى يقرأ غيره، فقام إليه شاب من الحلقة، فقال: هذا الرجل رحل للقراءة عليك، وقد جعلت له عشراً، وأقتصر على عشرين، فقال: نعم وكرامة، فقرأ عشراً، فقام فتى آخر وقال كقول صاحبه، فقرأ عشراً، وقرأ حتى لم يبق له أحد ممن له قراءة، فقال نافع لورش: إقرأ؛ فقرأ خمسين آية، يتلوها خمسين، حتى قرأ عليه ختمات[٤].

وقال ورش: " فكانوا يهبون ليّ أسابقهم، حتى كنت أقرأ عليه كل يوم سبعاً، وختمت في سبعة أيام، فلم أزل كذلك حتى ختمت عليه أربع ختم في الشهر، وخرجت

---

(١) ينظر ترجمته: الحموي، معجم الأدباء (ج٤/ ١٦٠١- ١٦٠٣)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٤/ ١٢٢٩- ١٢٣٠)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٠/ ٢١)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٢/ ٤٥٦- ٤٥٧).

(٢) أبو يعقوب الأزرق؛ يوسف بن عمرو بن يسار: المدنيّ ثم المصريّ، لزم ورش مدة طويلة، وخلفه في الإقراء بمصر، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٥/ ٩٧٧)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٣/ ١٨٤).

(٣) مسالك الابصار (ج٥/ ١٥٧- ١٥٨).

(٤) المصدر السابق (ص ١٥٨).

من المدينة"، وتوفي ورش بمصر سنة (١٩٧هـ/ ٨١٢م)[١].

ب- محمد بن علي بن أحمد، الإمام أبو بكر الأُدْفُوِي، المصري[٢]:

قال فيه العمري بأنه: "المقرئ المقرر، والنحوي الذي لا يعجز في توجيه غريب الأعراب، والحافظ المجيد الذي ما هو بحّله الكسائي، ولا بما عند ابن كثير، فإن في تنقيح ما صنّف، وتصحيح ما كتب، لا بل ما قرّط بحبِّ لؤلؤِهِ الحائك سامع الإملاء وشنّف، وترجيح آراء لا يحذقها إلاَّ من عذر، وإن عنَّ له أن عنّف"[٣].

قرأ القرآن، وسمع من كثيرين، ولزم أبا جعفر النحاس[٤]، وحمل عنه كتبه، وبرع في علوم القرآن، وكان سيد أهل عصره بمصر، وذكر سهل بن عبد الله البزاز؛ أن الشيخ الأدفوي صنف في كتابه "الاستغناء في علوم القرآن"، في اثنتي عشرة سنة، وتوفي في ربيع الأول سنة (٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، وعاش خمساً وثمانين سنة، فكان يعمل خشاباً، وسمي الأدفوي نسبة إلى قرية أدفو من الصعيد مما يلي أسوان[٥].

ت- غياث بن فارس بن مكي، الأستاذ أبو الجود اللخمي، المنذري[٦]:

المقرئ، النحوي، العروضي، الضرير، شيخ قراء مصر؛ ويصفه العمري بالقول: "هو المصري إلا أنه الذهب لا بل هو أعلى قدراً، وأغلى سعراً، وأفضل ما

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٥٨).

(٢) ينظر ترجمته: الحموي، معجم الأدباء (ج٦/ ٢٥٧٠- ٢٥٧١)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٨/ ٦٤٢)؛ تذكر الحفاظ (ج٣/ ١٥٠)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٢/ ٤٩٧)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٤/ ٨٧)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٣/ ٣٩٣)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٤/ ٤٧٥).

(٣) مسالك الأبصار (ج٥/ ١٥٩).

(٤) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي؛ أبو جعفر المصري النحوي: كان ينظّر بابن الأنباري، ونفطويه، وله تصانيف كثيرة، وكان زاهداً في نفسه في لباسه وطعامه، وفي يوم جلس يقرأ الشعر على النيل، فسمعه جاهل فقال: هذا يسحر النيل حتى لا يزيد، فدفعه برجله في النيل؛ فمات غريقاً سنة (٣٣٨هـ/ ٩٤٩م)؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٧/ ٢٣٧- ٢٣٨)؛ ابن منقذ، الوفيات (ج١/ ٢١٣)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٣/ ١٠٣)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٤/ ٢٠٣).

(٥) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٥٩- ١٦٠).

(٦) ينظر ترجمته: ابن نقطة، إكمال الإكمال (ج٢/ ٩٢)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٣/ ١١٨)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٦/ ٣٨).

تعاملت به الناس، وتماثلت، إلا أنه إذا غاب استمدت منه، ولم ينقصه الاقباس، ورأت منه غياثاً، لا بل استمطرت غيثاً لا يعرف الاحتباس، وقهرت به القاهرة المعزية ما سواها، وعزَّت لا بل عزَّ عليها أن تُنبت مثله، إن سقاها النيل، ورواها "[١].

وقرأ القراءات، وتصدر الإقراء، وقرأ عليه كثيرون كعلم الدين السخاوي وغيره، وسمع من عبد الله بن رفاعة[٢]، وذكر الحافظ زكي الدين المنذري[٣]؛ أنه أقرأ الناس، ورحل إليه كثير من القراء في مصر، وكان متديناً، وبارعاً في الأدب، متواضعاً، كثير المروءة، توفي في التاسع من رمضان سنة (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م)[٤].

ث- محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي[٥]:

هو تقى الدين أبو عبد الله الصائغ، المصري، الشافعي، المقرئ، مسند العصر، قرأ بعدة كتب، وولي عقد الأنكحة، عاش دهراً، وورد إليه كثير من القراء، وكان عارفاً بالقراءات معرفة جيدة، قوي التدين واللغة، وكتب له الشيخ العلامة أبو حيان[٦] في

---

(١) مسالك الأبصار (ج٥/ ١٦٠).

(٢) عبد الله بن رفاعة؛ بن غدير الشافعي أبو محمد السّعدي المصري: قاضي الحيرة، كان فقيهاً في الفرائض والمقدرات، صالحاً ديّناً، تفقّه على القاضي الخلعي ولازمه، ولي قضاء مصر، ثم ترك القضاء واعتزل في القرافة مشتغلاً بها بالعبادة، توفي سنة (٥٦١هـ/ ١١٦٥م)؛ ينظر: ابن نقطة، إكمال الكمال (ج٤/ ١٦٦، ٤٥٣)؛ ابن الأثير، أسد الغابة (ج٣/ ٢٣٥)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٢/ ٢٤٩)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٧/ ٨٨- ٩٠)؛ ابن حجر، الإصابة (ج٤/ ٧١)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٦/ ٣٣٠).

(٣) زكي الدّين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي ابن عبد الله بن سلامة؛ المنذري: الشّامي ثم المصري الشّافعي، له كتاب "الترغيب والترهيب"، ولد سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، وسمع من الأرتاحي، وأبي الجود، وغيرهم، وتخرّج بأبي الحسن علي بن المفضّل، ولزمه مدة، وله معجم كبير، ولي مشيخة الكاملية مدة؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج١/ ١٠٦- ١٠٧)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٢/ ٧٤٤، ج١٤/ ٤٧١)؛ تذكرة الحفاظ (ج٤/ ١٥٣- ١٥٥)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٦/ ٤٦٢- ٤٦٥)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٩/ ١٠- ١٢)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج٧/ ٣١١)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٧/ ٤٧٩).

(٤) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٦١).

(٥) ينظر ترجمته: الصفدي، أعيان العصر (ج٤/ ٢٥٠- ٢٥١)؛ الوافي بالوفيات (ج٢/ ١٠٣- ١٠٤)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٥/ ٤٨).

(٦) أبو حيّان؛ محمد بن فريد الدّين حيّان بن أثير الدّين أبي حيّان محمد بن يوسف الغرناطي ثم المصري: ولد سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م)، وسمع من جدّه، وابن عبد الهادي، وتوفي سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)؛ ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب (ج٩/ ٩٣).

إجازة شهد عليه فيها: "أشهدني شيخنا الإمام العلامة شيخ المقرئين، ورئيس المتصدرين، وحامل راية الرواية، والإسناد"، ولد سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م)، وتوفي سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م)[1].

ثانياً: مشاهير الحفاظ من أهل الحديث:

١. حفاظ الشام:

أ- محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي، الزهري[2]:

ولد سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م)، وحدث عن جماعة من الصحابة وكبار التابعين، وروى عنه الأئمة؛ مالك بن أنس، وغيره، وقال أبو داود[3]: حديثه ألفان ومائتان، والنصف منها مسند، وقال أبو الزناد[4]: كانوا يطوفون مع الزهري على العلماء ومعهما الألواح والصحف؛ ليكتب كل ما يسمع، ويقول الليث بن سعد[5]: "ما رأيت عالماً أجمع

([1]) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٦١).

([2]) ينظر ترجمته: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٤/ ١٢٦)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج١/ ٢٢٠- ٢٢١)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٨/ ٧١- ٧٢)؛ ابن حبان، الثقات (ج٥/ ٣٤٩- ٣٥٠)؛ مشاهير علماء الأمصار (ج١/ ١٠٩)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥٥/ ٢٩٤- ٣٨٧)؛ ابن العديم، بغية الطلب (ج١٠/ ٤٧٦١)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٤/ ١٧٧- ١٧٩)؛ الذهبي، الكاشف (ج٢/ ٢١٩)؛ تاريخ الإسلام (ج٣/ ٤٩٩)؛ تذكرة الحفاظ (ج٤/ ٧٢)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٥/ ١٧- ١٩)؛ ابن قنفذ، الوفيات (ج١/ ١١٨- ١١٩)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ٧٧، ١٣١)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٢/ ٩٩).

([3]) الإمام أبو داود السّجستانيّ؛ سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزديّ: صاحب "السنن"، أحد حفّاظ الحديث، طاف البلاد وكتب عن العراقيين، والخراسانيين، والشاميين، والمصريين، والجزريين، توفي سنة (٣١٦هـ/ ٩٢٨م)؛ ينظر: ابن حبان، الثقات (ج٨/ ٢٨٢)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٢/ ٤٠٤- ٤٠٥)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٣٥/ ٧٧- ٧٨)؛ الذهبي، الكاشف، (ج١/ ٤٥٦- ٤٥٧)؛ تذكرة الحفاظ (ج٢/ ١٢٧- ١٢٨)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٥/ ٢١٨- ٢١٩)؛ ابن منقذ، الوفيات (ج١/ ١٨٨).

([4]) أبو الزّناد: هو عبد الله بن ذكوان؛ سبق ترجمته.

([5]) الليث بن سعد؛ أبا الحارث: مولى قيس، ولد سنة (٩٤هـ/ ٧١٢م)، يحسن القراءة، والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، حسن المذاكرة، وقال الشّافعيّ: كان اللّيث أفقه من مالك، إلّا أنه ضيّعه أصحابه، ولي القضاء في مصر، توفي سنة (١٦٥هـ/ ٧٨١م)؛ ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٧/ ١٧٩- ١٨٠)؛ ابن حبان، الثقات (ج٧/ ٣٦٠- ٣٦١)؛ مشاهير علماء الأمصار (ج١/ ٣٠٣)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٤/=

من الزهري"[1].

ويذكر العمري؛ أن الزهري حفظ القرآن في ثمانين ليلة، وقال: ما استَعَدتُ عالماً قطّ، وقال: ما صبر أحد على العلم صبري، ولا نشره أحد نشري، ويقول معمر[2]: كنا نرى أنّا قد أكثرنا عن الزهريّ حتى قُتل الوليد بن يزيد، فإذا الدفاتر قد حُمّلت على الدواب من خزائنه، ويقول: وكان الزهري إذا جلس في بيته، وضع كتبه حوله يشتغل بها عن كل شيءٍ من أمور الدنيا، فقالت له امرأته يوماً: والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر، وبقي الزهري مع عبد الملك بن مروان، ثم مع هشام بن عبد الملك، واستقضاه يزيد بن عبد الملك، وتوفي في رمضان سنة (١٢٤هـ/ ٧٤١م)، ودفن في ضيعته أدامي[3] بين الحجاز والشام[4].

ب- محمد بن إدريس بن المُنْذِر الحنْظلي، أبو حاتم الرازي[5]:

يصفه العمري بأنه؛ "أحد الأعلام، وأحدَّ سيوف الإسلام، من تجوّل وطاف لا تسعى به إلا قدمه، ولا تصحبه إلا همم، يقطع الأرض ركضاً، ويقنع بما هو عليه من الدأب،

=١٢٧- ١٣٢)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٢٤/ ٢٥٦- ٢٨٩)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٧/ ٢٠٤- ٢١٩)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ٢٤٦- ٢٤٧)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٢/ ٣٤٠- ٣٤١).

(1) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٦٦).

(2) معمر بن راشد: ويكنى أبا عروة، مولى للأزد، وراشد يكنى أبا عمرو مولى للأزد، وكان من أهل البصرة فانتقل لليمن، وكان رجلاً له حلم ومروءة، وكان صاحب الزهري، وله "الجامع" المشهور في السّير، أقدم من "الموطأ"، توفي في شهر رمضان سنة (١٥٣هـ/ ٧٧٠م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٥/ ٥٤٦- ٥٤٧)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج٧/ ٣٧٨- ٣٧٩)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٨/ ٢٥٥- ٢٥٧)؛ ابن حبان، الثقاة (ج٧/ ٤٨٤)؛ مشاهير علماء الأمصار (ج١/ ٣٠٥)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥٩/ ٣٩٠- ٤٢٢)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٢٨/ ٣٠٣- ٣١١)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٤/ ٢٢٣)؛ تذكرة الحفاظ (ج١/ ١٤٣)؛ سير أعلام النبلاء (ج٦/ ٤٧١- ٤٧٢)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٧/ ٣٩٤).

(3) أَدَامَى: موضع بالحجاز، فيه قبر الزهري العالم الفقيه، منه ديار قضاعة بالشام؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج١/ ١٢٥)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج١/ ٤٣).

(4) مسالك الأبصار (ج٥/ ١٦٦- ١٦٧).

(5) ينظر ترجمته: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج١/ ٣٤٩)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥٢/ ٣- ١٥)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٢٤/ ٣٨١- ٣٩١)؛ الذهبي، الكاشف (ج٢/ ١٥٥)؛ تذكرة الحفاظ (ج٢/ ١١٢- ١١٣)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢/ ١٢٨- ١٢٩)؛ ابن حجر، تقريب التهذيب (ج١/ ٤٦٧)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٣/ ٣٢١).

ويرضى حتى أخذ من الحديث الشريف النبوي، زاده الله شرفاً ما شُدّ به إليه لأجله الرحل والقتب، وألاق له كل طالب داوته، وكتب"[١].

ويقول أبو حاتم: أنه أول ما رحل أقام سبع سنين، ومشى على قدميه من البحرين إلى مصر، ثم إلى الرملة، وإلى طرسوس ماشياً، وكان عمره عشرون سنة، ويقول ابنه أنه سمع أبيه يقول: كان على باب أبي داود الطيالسي[٢]، يقول: من أغرب عليّ حديثاً صحيحاً، فله درهم، وكان خلق كثير؛ فلم يتهيأ لأحد أن يُغرّب علي، وفي سنة (٢١٤هـ/ ٨٢٩م)، باع الزهري ثيابه لينفقها، وجاع يومين، فقال له رفيقه: معي دينار فأعطاه نصفه، وتوفي أبو حاتم سنة (٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)[٣].

ت- أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الحافظ، أبو عبد الرحمن النسائي[٤]:

كان إمام عصره في الحديث، سكن مصر وانتشرت بها تصانيفه، وأخذ عنه الناس، وقال محمد بن إسحاق الأصبهاني: سمع مشايخ مصر يقولون: إن النسائي ترك مصر في آخر عمره إلى دمشق، فسئل عن معاوية، وما روى من فضائله، ويقول الدارقنطي: لما امتحن النسائي بدمشق، فقال: احملوني إلى مكة، فحمل إليها، وتوفي

---

(١) مسالك الأبصار (ج٥/ ١٩٤).

(٢) الإمام أبو داود الطّيالسيّ؛ سليمان بن داود البصريّ: الحافظ صاحب "المسند"، كان يسرد من حفظه ثلاثين ألف حديث، أصله فارسي، توفي سنة (٢٠٣هـ/ ٨١٨م)، سمع شعبة وعمران القطان، وهو مولى الزبير بن العوام القرشي؛ ينظر: البخاري، التاريخ الكبير (ج٤/ ١٠)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٤/ ١١١- ١١٣)؛ الذهبي، الكاشف (ج١/ ٤٥٨- ٤٥٩)؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج١/ ٢٥٧- ٢٥٨)؛ سير أعلام النبلاء (ج٨/ ١١٠- ١١١)؛ ميزان الاعتدال (ج٢/ ٢٠٣- ٢٠٤)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ٣٧٨- ٣٧٩)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٣/ ٢٥).

(٣) مسالك الأبصار (ج٥/ ١٩٥).

(٤) ينظر ترجمته: ذكر اسمه في المصادر؛ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار (ج١/ ١٤)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٧١/ ١٧٠- ١٧٧)؛ ابن العديم، بغية الطلب (ج٢/ ٧٨٢- ٧٨٦)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج١/ ٧٧- ٧٨)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج١/ ٣٣٢- ٣٤٠)؛ الذهبي، الكاشف (ج١/ ١٩٥)؛ تاريخ الإسلام (ج٧/ ٥٩)؛ تذكرة الحفاظ (ج٢/ ١٩٤- ١٩٦)؛ سير أعلام النبلاء (ج١١/ ٧٩- ٨٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٦/ ٢٥٦- ٢٥٧)؛ ابن منقذ، الوفيات (ج١/ ١٩٨)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٣/ ١٢)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٤/ ١٥).

بها، ودفن بين الصفا والمروة[١].

ويذكر العمري عن أبو نعيم أنه قال: صنف النسائي كتاب "الخصائص"، في فضل علي بن أبي طالب وأهل البيت رضي الله عنهم، وأكثر روايته فيه عن أحمد بن حنبل، فقيل له: ألا تصنف كتاباً في فضل الصحابة؟، فقال: دخلت دمشق والناقمون على علي رضي الله عنه كثير، فأردت أن يهديهم الله بهذا الكتاب، وقال ابن يونس[٢] في "تاريخ مصر": عندما قدم النسائي مصر؛ كان إماماً في الحديث، وثقة، وحافظاً، وخرج من مصر سنة (٣٠٢هـ/ ٩١٥م)، وتوفي سنة (٣٠٣هـ/ ٩١٦م)[٣].

ث- أبو القاسم، عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر[٤]:

قال العمري أنه؛ "الإمام الحافظ، وفخر الأئمة، ومحدّث الشام، وثقة الدين، وصاحب التصانيف، والتاريخ الكبير؛ ولد بدمشق سنة (٤٩٩هـ/ ١١٠٦م)، وسُمع سنة (٥٠٥هـ/ ١١١٢م)، باعتناء أبيه وأخيه الإمام صائن الدين هبة الله[٥]، وكان عدد شيوخه كبير، وصنف التاريخ في ثمانين مجلداً، وله كتب أخرى ما يقارب ثلاثين مجلداً، وأملى في أبواب العلم أربعمائة وثمانية مجلس؛ ويقول السمعاني[٦]: أبو القاسم

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ١٩٧).

(٢) أبو سعيد بن يونس؛ عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصّدفي: من الأئمة الحفاظ، صاحب "تاريخ مصر"، توفي سنة (٣٤٧هـ/ ٩٥٨م)؛ ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج٣/ ٧٦- ٧٧)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٤/ ٢٤٩).

(٣) مسالك الأبصار (ج٥/ ١٩٨).

(٤) ينظر ترجمته: الحموي، معجم الأدباء (ج٤/ ١٦٩٧- ١٧٠٣)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ٣٠٩- ٣١١)؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج٤/ ٨٢- ٨٦)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٥/ ٢٤٧- ٢٥٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٠/ ٢١٧- ٢٢٢)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٤/ ٢٦٢- ٢٦٣).

(٥) صائن الدين هبة الله بن الحسن: فقيهاً، مفتياً، محدثاً، قرأ القرآن بالروايات، تفقه، فسمع وقرأ الأصول، والنحو، وأعاد بالأمينية لشيخه أبي الحصن السلمي، ودرس وأفتى وكتب الكثير، وكان إماماً ثقة، ديناً، ورعاً، توفي بدمشق سنة (٥٦٣هـ/ ١١٦٧م)؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج١/ ١٢)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ٣١١)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٢/ ٣١٠)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٥/ ٢١٢).

(٦) عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله السّمعاني، أبو سعد: المؤرّخ الكبير، صاحب كتاب "الأنساب"، ولد بمرو سنة (٥٠٦هـ/ ١١١٣م)، وتوفي سنة (٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ٢٠٩- ٢١٢)؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج٤/ ٧٥- ٧٧)؛=

حافظ، ثقة، جمع بين معرفة المتن والإسناد، وكان كثير العلم غزير الفضل صحيح القراءة، وبالغ في طلب العلم، وجمع الكثير، وتوفي سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٦م)[١].

ج- **عبد الغنيّ بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ثم الصالحي الحنبلي الحافظ تقي الدين، أبو محمد[٢]:**

وصفه العمري بأنه: ولد سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م)، وصنف في الحديث تصانيف حسنة، وكان غزير الحفظ، ومتقن للتجويد، ملماً بجميع فنون الحديث، تكلّم في الصفات والقرآن بشيء أنكره أهل التأويل، فَعُقِد له مجلس بدار السلطان بدمشق، وأُبيح قتله، فشفع له أمراء الأكراد على أن يترك دمشق، ويذهب إلى مصر، وأقام بها إلى أن مات في ربيع الأول سنة (٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م) في مصر، وكان كثير الكرم والجود لا يدخر درهماً، وآخر أيامه ضعف بصره من كثرة النسخ والمطالعة والبكاء[٣].

ح- **محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، ضياء الدين أبو عبد الله[٤]:**

وصفه العمري بأنه؛ "الحافظ الحجّة، محدّث الشام، شيخ السنة، طلب وما نهنه، ولَغِبَ وما أَغبّ المَهْمَة، ولم يُلق حبل قلمه عن غاربه، ولم يُلق مداد دواته إلاّ بعرق متاعبه، أخذ لرحلته أهبتها، وعاجل الأيام ووثبتها، وشدّ نسوع نجائبه، وأجدّ شسوع مذاهبه، وتعب حتى استراح، وتمنّى حتى فرغ الاقتراح، ولم يدع وادياً تفد أفواج ريحه،

=سير أعلام النبلاء (ج١٥/ ١٨٩- ١٩٣)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٩/ ٦٠- ٦٣)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٤/ ٢٣٣- ٢٣٤)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج١/ ٤١- ٤٢).

(١) مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٣٧).

(٢) ينظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٢/ ١٢٠٣)؛ تذكرة الحفاظ (ج٤/ ١١١- ١١٧)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٦/ ٢١- ٣٦)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٩/ ٢١- ٢٢)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٦/ ٥٦١).

(٣) مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٤٢- ٢٤٣).

(٤) ينظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٤/ ٤٧٢- ٤٧٥)؛ تذكرة الحفاظ (ج٤/ ١٣٣- ١٣٤)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٦/ ٣٥٢- ٣٥٤)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٣/ ٤٢٦- ٤٢٧)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٤/ ٤٨- ٥٤)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٧/ ٣٨٧).

ولا جبلاً تُسرّح لمم شيحه، حتى حال بين جنبيه، أو داس مفرقه وصعد عليه، إلى أن ضبط عن كل امرئ ما هو لافظ، وهبط عن مَطا مطيه، وهو يدعى الإمام الحافظ"[1].

ولد سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م)، ورحل مرتين إلى أصبهان، وكان له من التصانيف، وصَحَّحَ، وجَرَحَ، وعدّل، ويذكر ابن النجار[2]؛ أنه كان متقن الحفظ، حجّة عالم بالرجال، ورع تقيّ، توفي في سنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)[3].

خ- القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يَدَّاس البِرْزاليّ الإشبيلي الأصل الدمشقي الشافعي، أبو محمد الحافظ[4]:

ذكره العمري بأنه؛ عمدة الحفاظ، ومؤرخ الشام، ولد دمشق، ولد في سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)، واعتني بالرواية من صغره، وقرأ الكتب الكبار، ثم رحل إلى مصر، والثغر، والبلاد الشمالية، وسمع مما يزيد عن ألفي شيخ، وأجاز له ألفّ آخر، واشتمل معجمه على ثلاثة آلاف شيخ أو يزيد، فكتب الأثبات، والتعاليق، والأجزاء، والتاريخ، وكان حافظاً، صادقاً، كثير الإتقان والتحري[5].

وكتب الشروط فأحكمها، وأتقن السجلات، وله فيها مصنفات، وكان محسناً لطلبته، متلطفاً بهم، صبوراً على التعليم، وكان يقضي أوقاته في السماع والتسميع،

([1]) مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٤٤).

([2]) محبّ الدّين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي، ابن النجار: مؤلف "تاريخ بغداد"، ولد سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، رحل إلى أصبهان، وخراسان، والشام، ومصر، وكان ثقة، واسع الحفظ، تامّ المعرفة، وتوفي ببغداد سنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)؛ ينظر: الحموي، معجم الأدباء (ج٦/ ٢٦٤٤- ٢٦٤٥)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٤/ ٤٧٨- ٤٨٠)؛ تذكرة الحفاظ (ج٤/ ١٤٧- ١٤٨)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٦/ ٣٥٥- ٣٥٦)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٤/ ٣٦- ٣٧)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٥/ ٨- ٩)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٥/ ١٩٩)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٧/ ٣٩٢- ٣٩٣).

([3]) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٤٤).

([4]) ينظر ترجمته: العمري، مسالك الأبصار (ج٢٧/ ٥٥٤)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٣/ ١٩٦- ١٩٨)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٤/ ٤٩- ٥٤)؛ الوافي بالوفيات (ج١٠/ ٧١)؛ ابن رافع، الوفيات (ج١/ ٢٨٩- ٢٩١، ج٢/ ٢١٠)؛ ابن ناصر الدين، الرد الوافر (ج١/ ١١٩- ١٢٣)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٤/ ٢٧٧- ٢٧٩)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٦/ ٢٢٢، ٢٤٩)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ٢١٤- ٢١٦).

([5]) مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٤٦- ٢٤٧).

وكتابة الطباق، وقضاء حوائج الناس، والمواظبة على وظائفه من غير انقطاع إلا لعذر، وولي المشيخات، وصحب الأكابر من أهل العلم، وولد له عدّة أولاد توفوا كلهم في حياته، فصبر واحتسب، وحجَّ البرزالي خمس حجاتٍ، سُمع وأسمع في الحجاز، والحرمين، ثم قصد الحجّ مرة سادسة وهو مريض، ثم عاد الحجاز ودخل المدينة النبوية محمولاً لمرضه، وتوفي في ذي الحجة سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م)، ودفن في مكة[1].

د- يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك القضاعي، الكلبي المزي الدمشقي، أبو الحجاج، جمال الدين[2]:

ذكره العمري بأنه؛ ولد بمدينة حلب سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، ونشأ بالمزّة، وحفظ القرآن، وتفقّه قليلاً، وأوضح مشكلات ومعضلات من علم الحديث ورجاله، وكان ثقةً كثيرَ العلمِ، غزيرَ الفضلِ، حسنَ الأخلاقِ، قليلَ الكلامِ، صادقَ اللهجةِ، وكان متواضعاً حليماً صبوراً، رافق شيخ الإسلام ابن تيمية في سماع الحديث، والنظر في العلم، وكان يقرّر السلف في السنة، ويعضد ذلك بمباحث نظرية، وقواعد كلامية[3].

ويذكر العمري أنه؛ ذا مروءة وسماحة، ويقنع باليسير، كثير المحاسن، وذات مرة وهو يقرأ تاريخ بغداد للحافظ أبي الحسن بن العطّار[4] بدمشق، وقام عليه جماعة من الروم الحنفية، ودفعوه إلى القاضي حسام الدين الرازي[5] حاكم دمشق فعفى عنه

([1]) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٤٦- ٢٤٧).

([2]) ينظر ترجمته: العمري، مسالك الأبصار (ج٢٧/ ٥٥٩)؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج٤/ ١٩٣)؛ معجم الشيوخ (ج٢/ ٣٨٩- ٣٩٠)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٤/ ٣٥٣- ٣٥٥)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٥/ ٦٤٤-٦٥٧)؛ ابن رافع، الوفيات (ج١/ ٣٩٦)؛ ابن ناصر الدين، الرد الوافر (ج١/ ١٢٨- ١٣٠)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج١/ ٥١، ج٨/ ٢٣٧- ٢٣٩).

([3]) مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٤٩- ٢٥٠).

([4]) الحافظ الزّاهد علاء الدّين علي بن إبراهيم بن دواد بن سلمان بن سليمان؛ أبو الحسن بن العطّار الشافعي: يلقب بمختصر النّووي، ولد سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، وتفقّه على الشيخ محيي الدّين النّووي، وولي مشيخة دار الحديث النّورية، ومرض بالفالج أزيد من عشرين سنة، وكان يحمل في محفّة، وكتب الكثير، ودرّس، وأفتى، توفي سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م)؛ ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ١١٤).

([5]) حسام الدّين الرازي: قاضي القضاة؛ الحسن بن أحمد بن أنو شروان الرّومي الحنفي، ولد سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م)، بأقصرا إحدى مدن الروم، وولي قضاء ملطية، ثم رحل إلى الشام سنة (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م)، خوفاً=

وتركهم، وحاولوا قتله مرة أخرى ونجا منهم، وتوفي في صفر سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)[١].

ذ- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن الذهبي، أبو عبد الله، شمس الدين[٢]:

يذكر العمري؛ أنه ولد في ربيع الآخر سنة (٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)، وعمل مع والده في صناعة الذهب، وفي سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) أحبّ القراءات، فقرأ التجويد والإدغام، وقرأ لنافع على الشيخ محمد المزرَاب[٣]، ولازمه، وحصل على الشاطبية، وفي أيام التشريق منها شرع في القراءات السبعة جمعاً على الشيخ جمال الدين البدوي[٤]، فَرَسَمَهُ في كيفية الجمع[٥].

ويذكر العمري عنه: أنه سافر إلى الإسكندرية في شهر رمضان سنة (٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)، ثم مضى إلى سحنون[٦]، فكان يقرأ عليه من القرآن كل يوم جزئين أو أكثر لنافع وعاصم، فأكمل له ختم القرآن في أحد عشر يوماً، ومات سحنون ثاني يوم ختم

=من التتار، فأقام بدمشق، ثم ولي قضاءها في سنة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)، وامتدت أيامه إلى أن تسلطن حسام الدين لاجين، ثم ولاه سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)، القضاء بمصر، وتوفي سنة (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م)؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٤/ ٦٣، ج١٥/ ٩٠٣)؛ معجم الشيوخ (ج١/ ٢٠٨- ٢٠٩)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٢/ ١٨٦- ١٨٨)؛ الوافي بالوفيات (ج١١/ ٣٠٥)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٢/ ١٠٩)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج٥/ ٣٩٠)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٧/ ٧٧٩).

(١) مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٥٠).

(٢) ينظر ترجمته: ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٣/ ٣١٥- ٣١٧)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٤/ ٢٨٨)؛ الوافي بالوفيات (ج٢/ ١١٤- ١١٨)؛ ابن ناصر الدين، الرد الوافر (ج١/ ٣١- ٣٦)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ٢٦٤- ٢٦٦).

(٣) محمد بن عبد المحسن المزراب: المصري، نزيل دمشق، من شيوخ القراء، توفي سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)؛ ينظر: ابن حجر، نزهة الألباب (ج٢/ ١٧٢).

(٤) إبراهيم بن علي بن شاور الحميري؛ المقرئ الشيخ جمال الدين البدوي: نزل دمشق، عني القراءة، واشتهر بمعرفته، وكان من أعيان القراء، قرأ عليه الطلبة، وروي القراءات عن ابن فارس، وابن أبي الدر، وغيرهما، وولي مشيخة الأمراء بالتربة الأشرفية وتوفي سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)؛ ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة (ج١/ ٤٨).

(٥) مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٥١).

(٦) سحنون أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحليم بن عمران؛ الأوسي الدّكّالي: العلامة، المالكي، المقرئ، قاضي القدس، كان شيخاً عالماً ديّناً وقوراً، توفي بالقدس سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م؛ ينظر: الذهبي، معجم الشيوخ (ج١/ ٣٦٢- ٣٦٣)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٨/ ٩٣)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٧/ ٧٥٣).

فيه القرآن، ثم رجع من الإسكندرية إلى القاهرة، وشرع في تتمة ما قُدر له أن يسمعه، ثم عاد إلى دمشق، وزار الخليل، والقدس، وقرأ على الجعبري[١] كتابه في القراءات العشرة الذي نظمه مرموزاً كالشاطبية، وسمع بنابلس من العماد بن بدران[٢]، وولي خطابة قرية كفر بطنا من قرى غوطة دمشق ومكث فيها مدة[٣].

وانتقل من الخطابة إلى مشيخة دار الحديث الظاهرية، ومشيخة الحديث بتربة أم الملك الصالح، ومشيخة الدار التنكزية، ومشيخة الدار النفيسية، وانتهت إليه الرئاسة في معرفة الحديث وعلله وصحيحه، وسقيمه ورجاله، وجَرَحَ، وعَدَّلَ، وصَحَّحَ وضَعّف، واستدرك على الحفاظ، وبقي يكتب وينقي، ويؤلف الكتب الكبار ومباشرة الوظائف، وإفادة الطلبة إلى أن أصبح ضريراً[٤].

وفي كتابته عن التاريخ؛ صنف الذهبي فيه "تاريخ الإسلام" في واحد وعشرين مجلداً، واختصر "تاريخ بغداد"، و"تاريخ دمشق" في عشرة مجلدات، وتاريخ "ابن الدبيثي"، وانتخب كثيراً من "تاريخ ابن النجار"، و"ذيل السمعاني"، "ووفيات المنذري"، والشريف، والبرزالي، واختصر "تاريخ نيسابور"، و"تاريخ أبي شامة"، وصنف طبقات القرّاء مرتين؛ فكانت الثانية مهذبة، و"طبقات الحفاظ المهرة" في مجلدين، وعمل "ميزان الاعتدال في نفد الرجال" ثلاثة مجلدات، و"نبأ الدجال"، وألف كتاب "المشتبه في الأسماء والأنساب"، و"مناقب العشرة"، وكتاب "العبر في خبر من غبر" في مجلدين، و"تاريخ دول الإسلام" في مجلد، و"تجريد أسماء الصحابة" في مجلد كبير، وكتاب

---

(١) إبراهيم بن عمر الجعبري الشافعي؛ برهان الدين: المقرئ، شيخ بلد الخليل، ولد سنة (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)، اشتغل ببغداد، وأخذ عن صاحب التعجيز والفقه، توفي بالخليل سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)؛ ينظر: الذهبي، معجم الشيوخ (ج١/ ١٤٧)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج١/ ٣٩- ٤١)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج١/ ١٠٣- ١٠٦)؛ الوافي بالوفيات (ج٦/ ٤٩- ٥٠)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج١/ ٥٥- ٥٦)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج١/ ١٣١- ١٣٥)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٦/ ٢٠٣)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ١٧١).

(٢) العماد عبد الحافظ بن بدران بن شبل: المقدسي، النّابلسي، صاحب المدرسة بنابلس، روى عن الموفق، وابن راجح، وموسى بن عبد القادر وغيرهم، وتوفي في ذي الحجّة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م)؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ٩٤٧)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٧/ ٧٧٢).

(٣) مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٥٢- ٢٥٣).

(٤) المصدر السابق (ص ٢٥٣).

"المغني في الضعفاء" في مجلد، و"الضعفاء" كتاب آخر أصغر من المغني، وكتاب "النبلاء في شيوخ الأئمة الستة"، وكتاب "مختصر الكنى"[١].

وقام الذهبي بتصنيف "تراجم أعيان النبلاء من الأئمة، والحفاظ، والكبراء، والوزراء، والملوك" في عشرين مجلداً، وكتاب "الممتع" في ستة أسفار، وأما ما صنفه من المسائل وغيرها؛ كتاب "الزيارة المصطفوية" في جزء واحد، وآخر كبير، و"آية الكرسي" في جزء، و"سيرة الحلاج" في جزئين، و"تحريم أدبار النساء" كتاب صغير، وآخر ضخم، وكتاب "الكبائر" في ثلاث كراريس، وجزء في "الشفاعة"، و"صفة الجنة" في جزئين، وجزء في "حديث القهقهة"، "طرق ينزل ربنا"، طرق "حديث الطير"، "طرق من كنت مولاه"، "وما تصح به التلاوة" في ثلاثة أجزاء، و "مسالة الاجتهاد"، و"مسألة خبر الواحد"، و"التمسك بالسنن"، و"التلويح بمن سبق ولحق"، و"معرفة آل منده"، و"أهل المائة عام"، و"مهم تقييد المهمل"، و"مختصر القراءات"، و"الوصية العفيفة"، و"اللآلئ السفطية في الليالي الغوطية"، و"هالة البدر إلى أهل بدر"، و"مسألة السماع" في جزء، و"مسألة الخميس"، و"مسألة الغيبة" في جزء، و"الخضاب" في جزء، و"أربعة تعاصروا"، و"مسالة الوعيد"، وكتاب "الموت وما بعده"، و"رؤية الباري"[٢].

وأما ما اختصره من الكتب الكبار؛ كتاب "السنن الكبير" للبيهقي مقدار النصف مع المحافظة على المتون، واختصر المدخل إليه، واختصر "الروض الأنف"، واختصر من "تهذيب الكمال"، واختصر منه "الكاشف" في مجلد، واختصر "الفاروق" وهذّبه، واختصر "الردّ على ابن طاهر"، وكتاب "جواز السماع" لجعفر الأذفوي، واختصر "المحلّى" لابن حزم في ثلاثة مجلدات ونصف سمّاه "المستحلى"، واختصر "المستدرك" للحاكم، واختصر "الأطراف" في مجلدين، واختصر "تقويم البلدان" للحموي[٣].

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٥٣- ٢٥٤).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٥٤).

(٣) المصدر السابق (ص ٢٥٤).

٢. مشاهير الحفاظ في مصر:

أ- يزيد بن أبي حبيب الإمام الكبير، أبو رجاء الأزدي[1]:

ويذكر العمري عن ابن يونس فيقول: أنه كان مُفتي أَهل مصر، وكان عليماً، عاقلاً، وهو أول من أظهر العلم بمصر، والمسائل في الحلال والحرام، ويقول الليث بن سعد: أن يزيد سيدهم وعالمهم، وإنه أحد ثلاثة جعل عمر بن عبد العزيز لهم الفتوى بمصر، وذكر ابن لُهيعة؛ أنه كان أسوداً من بلاد النوبة، ولد سنة (٥٣هـ/ ٦٧٣م)، وفي يوم مرض يزيد زاره أمير مصر الحوثرة بن سُهيل[2] فقال: يا أبا رجاء ما تقول في الصلاة في الثوب الذي فيه دم البراغيث؟، فحول وجهه ولم يكلمه، فقام ونظر إليه يزيد، وقال: يقتل كل يوم خلقاً، ويسألني عن دم البراغيث!، وتوفي سنة (١٢٨هـ/ ٧٤٥م)[3].

ب- عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بِشْر بن مروان، الحافظ، النسّابة أبو محمد، الأزدي، المصري[4]:

وينقل العمري عن مما قالوا في عبد الغني الأزدي؛ فيذكر أن البرقاني[5] قال:

---

(1) ينظر ترجمته: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/ ٥١٣)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج٨/ ٣٣٦)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٩/ ٢٦٧)؛ ابن حبان، الثقات (ج٥/ ٥٤٦)؛ مشاهير علماء الأمصار (ج١/ ١٩٧)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٣٢/ ١٠٢- ١٠٧)؛ الذهبي، الكاشف (ج٢/ ٣٨١)؛ تاريخ الإسلام (ج٣/ ٥٦٢)؛ تذكرة الحفاظ (ج١/ ٩٧- ٩٨)؛ سير أعلام النبلاء (ج٦/ ٢٠٧- ٢٠٨)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٨/ ٥٠)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ٩٧)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٢/ ١٢٤).

(2) الحوثرة بن سهيل؛ أبو المثنى الباهلي الأمير: ولي مصر لمروان بن محمد، وكان رجل سوء، سفاكاً للدماء، ظلوماً، قتل حفص بن الوليد، وقُتل الحوثرة بظاهر واسط مع ابن هبيرة؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج١٤/ ٤٥٠)؛ ابن العديم، بغية الطلب (ج٦/ ٢٨٥٦)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٧/ ٧٩)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٣/ ٦٣٦).

(3) مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٦٥- ٢٦٦).

(4) ينظر ترجمته: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٣٦/ ٣٩٥- ٣٩٦)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ٢٢٣)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٩/ ١٤٠)؛ تذكرة الحفاظ (ج٣/ ١٦٧- ١٦٨)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٩/ ٢١)؛ بامخرمة، قلادة النحر(ج٣/ ٣٢٥)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٥/ ٥٤).

(5) أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي: الفقيه الشافعي، ولد بخوارزم، وتكنى البرقاني؛ نسبة إلى برقان، قريبة من خوارزم سنة (٣٣٦هـ/ ٩٤٧م)، وسمع من أبي العبّاس بن حمدان وجماعة، وببغداد من أبي علي بن الصوّاف وطبقته، وبهراة، وبنيسابور، وجرجان، ومصر، ودمشق، وتوفي سنة (٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م)؛=

لما قدم الدارقطني من مصر سأله، هل رأى في طريقه من يفهم شيئاً من العلم؟، فقال: لم أرى في طريقي إلا شاباً بمصر يقال له عبد الغني، كأنه شعلة نار، وأخذ يفخم أمره، ويرفع ذكره، وقال أيضاً: ما رأيت بعد الدارقطني أحفظ من عبد الغني المصري، ولما أراد الدارقطني الخروج من عندهم إلى مصر، خرجوا يودعونه، فبكوا عليه، فقال لهم: تبكون وعندكم عبد الغني بن سعيد!، ويعتبر عبد الغني إمام زمانه في علم الحديث وحفظه، وهو ثقة ومأموناً، وعندما بدأ بعمل كتاب "المختلف والمؤتلف"، دخل عليه الدارقطني، فأخذ عبد الغني عنه أشياء كثيرة، فلما فرغ منه قال له: اقرأه، فقال له: عنك أخذت أكثره، فقال: لا تقل هذا؛ فإنك أخذته عنيّ مفرقاً، وقد أوردته مجموعاً، وفيه أشياء عن شيوخك، فقرأه عليه، وتوفي سنة (٤٠٩هـ/ ١٠١٨م)، وكانت له جنازة عظيمة، ونودي له؛ "هذا نافي الكذب عن حديث رسول الله ﷺ "[1].

ت- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن سِلفة الأصبهاني، صدر الدين، أبو الطاهر الأصبهاني[2]:

يصفه العمري بالقول: أنه أتى مصر ومذهب الشيعة الإسماعيلية قد سيطر على علمها، وأُهمل علم الحديث، والتاريخ، والنسب، فرحل في طلب الحديث، ولقي أعيان المشايخ، فكان شافعي المذهب، نزل بغداد، واشتغل بها على الكيا الهرَّاسي[3] في

=ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥/ ١٩٥- ٢٠٠)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٩/ ٤٠٣)؛ تذكرة الحفاظ (ج٣/ ١٨٣- ١٨٥)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٣/ ١٦٠- ١٦٣)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٧/ ٢١٦)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٣/ ٣٦٤)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٥/ ١٢١).

([1]) مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٦٦- ٢٦٧).

([2]) ينظر ترجمته: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥/ ٢٠٨- ٢١١)؛ الحموي، معجم الأدباء (ج٢/ ٩١١)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج١/ ١٠٥- ١٠٧)؛ ابن قنفذ، الوفيات (ج١/ ٢٨٩)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٢/ ٥٧٠)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢/ ٤٩)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٤/ ٢٧١- ٢٧٢).

([3]) علي بن محمد بن علي الطبرستاني الشافعي عماد الدّين؛ أبو الحسن الهراسي: شيخ الشافعية ببغداد، تفقه على إمام الحرمين، وكان فصيحاً، ودرّس بالنّظاميّة، توفي سنة (٥٠٤هـ/ ١١١٠م)؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ٢٨٩- ٢٩٠)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٤/ ٢٣٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٢/ ٥٤- ٥٦)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٤/ ١٥- ١٧)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٦/ ١٥- ١٦).

الفقه، وعلى أبي زكريا يحيى التبريزي[١] اللغوي في اللغة، وطاف البلاد، ودخل ثغر الإسكندرية سنة (٥١١هـ/ ١١١٧م)، وأقام بها، وقصده الناس من شتى الأماكن، وسمعوا له، وانتفعوا بعلمه، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله، وكان مولده سنة (٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م)، في أصبهان، وتوفي يوم الجمعة الخامس من شهر ربيع الآخر سنة (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)، بالإسكندرية[٢].

ث- عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني، الدمياطي، الشافعي، شرف الدين أبو محمد[٣]:

يذكره العمري بأنه: فقيه، حافظ، عالم بالأنساب، وله مؤلفات من الكتب، ولد سنة (٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، وتفقه بدمياط، ثم طلب الحديث؛ فأرتحل إلى الإسكندرية، ومصر، ودمشق، وحماة، وحلب، وماردين، وحرّان، وبغداد، وكتب العالي والنازل، وسكن دمشق، فأكثر عن ابن سَلمة وغيره، وبلغ معجم شيوخه ألفاً وثلاثمائة شيخ، وكان صادقاً، حافظاً، ناقلاً للقراءات، متقناً، جيد العربية، غزير اللغة، واسع الفقه، ديّناً، متواضعاً، محبباً للطلبة، جميل الصورة، نقي الشيبة، كبير القَدْر[٤].

وذكر العمري عن أبو الحجاج المزي أنه قال: ما رأى في الحديث أحفظ منه، وروى عنه، وتوفي فجأة بعد أن قُرئ عليه الحديث، فحمل إلى بيته مغشياً عليه في منتصف ذي القعدة سنة (٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م)، بالقاهرة، وصُلي عليه بدمشق في أول جمعة من ذي الحجة[٥].

---

(١) يحيى بن علي بن محمد بن الحسن ابن بسطام؛ أبو زكريا التبريزي: الخطيب، الأديب، اللغوي، قدم دمشق سنة (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، توفي سنة (٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٦٤/ ٣٤٧- ٣٥٠)؛ الحموي، معجم الأدباء (ج٦/ ٢٨٢٣- ٢٨٢٥)؛ ابن نقطة، إكمال الإكمال (ج١/ ٤٨٤)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٦/ ١٩١- ١٩٦)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١١/ ٤١)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٤/ ٢٣٧)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٤/ ١٠- ١١)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٦/ ٩).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٦٩).

(٣) ينظر ترجمته: الذهبي، تذكرة الحفاظ (ج٤/ ١٧٩- ١٨٠)؛ معجم الشيوخ (ج١/ ٤٢٤).

(٤) مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٧١- ٢٧٢).

(٥) المصدر السابق (ص ٢٧٢).

ثالثاً: مشاهير الفقهاء.

١. فقهاء أهل الشام:

أ- مكحول بن عبد الله الشامي[١]:

يذكره العمري بأنه: من سبي كَابُلُ[٢]، مولى لامرأة من قيس[٣]، وعن الزهري أنه قال: العلماء أربعة؛ سعيد بن المسيب، بالمدينة، والشعبي[٤] بالكوفة، والحسن البصري[٥] بالبصرة، ومكحول بالشام، ويذكر العمري؛ أنه لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتوى، وكان لا يفتي حتى يقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا رأي، والرأي يُخطئ ويصيب"، وكان وفي لسانه لغة عجمية ظاهرة، ويُبدل بعض الحروف ببعض، وكان مقامه بدمشق، وتوفي سنة (١١٣هـ/ ٧٣١م)[٦].

([١]) ينظر ترجمته: البخاري، التاريخ الكبير (ج٨/ ٢١)؛ ابن حبان، الثقات (ج٥/ ٤٤٦- ٤٤٧)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٦٠/ ٢١٠)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٥/ ٢٨٠- ٢٨١)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٣/ ٣٢٠- ٣٢١)؛ سير أعلام النبلاء(ج٥/ ٤٧٢- ٤٧٤)؛ ميزان الاعتدال، (ج٤/ ١٧٧- ١٧٨)؛ ابن قليج، إكمال تهذيب الكمال (ج١١/ ٣٥٠- ٣٥٤)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٧/ ٣٩٧- ٣٩٨).

([٢]) كَابُلُ: ولاية ذات مروج كبيرة بين الهند وغزنة، وهي مدينة ساحليّة بها مزارع الاقصاب وبها يطبخ السكّر الفائق، وتعتبر من ثغور طخارستان، في أفغانستان؛ ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم (ج١/ ١٦٢)؛ البكري، معجم ما استعجم (ج٤/ ١١٠٨)؛ الإدريسي، نزهة المشتاق (ج١/ ١٩٤- ١٩٧)؛ الحموي، معجم البلدان (ج٤/ ٤٢٦)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٢٤٣)؛ ابن شمائل، مراصد الاطلاع (ج٣/ ١١٤١).

([٣]) مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٩٧- ٢٩٨).

([٤]) عامر بن شراحيل؛ أبو عمرو الشعبي: كوفي، أدرك خمس مائة من الصحابة، كان فقيهاً وشاعراً، ولد سنة (٢٠هـ/ ٦٤١م)، وتوفي سنة (١٠٤هـ/ ٧٢٢م)، وبلغ ثنتين وثمانين سنة؛ ينظر: البخاري، التاريخ الكبير (ج٦/ ٤٥٠- ٤٥١)؛ ابن حبان، الثقات (ج٥/ ١٨٥)؛ مشاهير علماء الأمصار (ج١/ ١٦٣)؛ الحموي، معجم الأدباء (ج٤/ ١٤٧٥- ١٤٧٩)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ١٢- ١٦)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج١٤/ ٢٨- ٤٠)؛ تذكرة الحفاظ (ج١/ ٦٣- ٦٨)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٦/ ٣٣٦- ٣٣٧)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٧/ ٥٠٩)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ٢٠- ٢٢)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٢/ ٢٤).

([٥]) الحسن بن أبي الحسن البصري: الفقيه، القارئ، مولى أم سلمة، يكنى أبا سعيد، وكان مولده في خلافة عمر رضي الله عنه، توفي سنة (١١٠هـ/ ٧٢٨م)، عمره ست وتسعون سنة؛ الحموي، معجم الأدباء (ج٣/ ١٠٢٣- ١٠٢٥)؛ الذهبي، ميزان الاعتدال (ج١/ ٥٢٧)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٢/ ١٩٠- ١٩١).

([٦]) مسالك الأبصار (ج٥/ ٢٩٨).

ب- عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد الأوزاعي[1]:

يذكره العمري بأنه؛ إمام أهل الشام، ولد ببعلبك سنة (٨٨هـ/ ٧٠٧م)، ونشأ يتيماً بالكرك في البقاع، ثم انتقل إلى بيروت مع أمه، من كبار علماء الشام، وقيل: أنه أجاب في سبعين ألف مسألة، وقال أبو إسحاق الفزاري[2]: لو خُيِّرتُ لهذه الأمة بالخلافة؛ لاخترت الأوزاعي، وقال أبو زرعة الدمشقي: كانت صنعته الكتابة والترسل ورسائله تُؤثر، وقال: إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث، فإياك أن تقول بغيره، فإنه كان مبلغاً عن الله[3].

وكان أهل الشام ثم أهل الأندلس على مذهب الأوزاعي مدَّة، ويقول عقبة بن علقمة البيروتي[4]: دخل الأوزاعي حماماً في بيته، وأدخلت معه زوجته كانوناً من الحطب ليتدفأ به، ثم أغلقت عليه، وانشغلت عنه؛ فمات مختنقاً، وقال عقبة: وجدناه متوسداً ذراعه إلى القبلة، وتوفي في بيروت سنة (١٥٧هـ/ ٧٧٤م)، وقبره في قرية

---

(1) ينظر ترجمته: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج/ ٤٨٨)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج٥/ ٣٢٦)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٥/ ٢٦٦- ٢٦٧)؛ ابن حبان، الثقات (ج٧/ ٦٢)؛ مشاهير علماء الأمصار (ج١/ ٢٨٥)؛ ابن النديم، الفهرست (ج١/ ٢٧٩)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٣٥/ ١٤٧- ٢٢٨)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ١٢٧- ١٢٨)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج١٧/ ٣٠٧- ٣٠٨)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٤/ ١٢٠)؛ تذكرة الحفاظ (ج١/ ١٣٤- ١٣٧)؛ سير أعلام النبلاء (ج٦/ ٥٤١- ٥٥٧)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٨/ ١٢٣- ١٢٤)؛ ابن قنفذ، الوفيات (ج١/ ١٣٢)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٧/ ٢٨٣)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ١٩٢- ١٩٣)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٢/ ٢٥٦- ٢٥٩).

(2) أبو إسحاق الفزاري؛ اسمه إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر: توفي بالمصيصة سنة (١٨٨هـ/ ٨٠٤م)، ينظر: ابن خياط، الطبقات (ج١/ ٥٨٢)؛ البخاري، التاريخ الكبير (ج١/ ٣٢١)؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار (ج١/ ٢٨٩)؛ ابن النديم، الفهرست (ج١/ ١٢١)؛ الحموي، معجم الأدباء (ج١/ ٩٣- ٩٦)؛ ابن نقطة، إكمال الإكمال (ج٢/ ٦٣)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٢/ ١٦٧- ١٧٠)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٤/ ٧٩٨)؛ تذكرة الحفاظ (ج١/ ٢٠٠- ٢٠١).

(3) مسالك الأبصار (ج٥/ ٣٠٧- ٣٠٨).

(4) عقبة بن علقمة بن خديج البيروتي: روى عن الأوزاعي، وإبراهيم بن أبي عبلة، وأرطاة بن المنذر، وغيرهم، كان خياراً ثقة، توفي سنة (٢٠٤هـ/ ٨١٩م)؛ ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٦/ ٣١٤)؛ ابن حبان، الثقات (ج٨/ ٥٠٠)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٤٠/ ٥٠٥)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٢٠/ ٢١١- ٢١٣)؛ الذهبي، الكاشف (ج٢/ ٢٩).

حنتوش[١] على باب بيروت وأهلها جميعهم مسلمون[٢].

ت- محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء[٣]:

أصله من قرية حرستا على باب دمشق، رحل أبوه من الشام إلى العراق، وأقام بواسط، وأنجبه بها، ونشأ بالكوفة، وطلب الحديث، والتقى جماعة من الأئمة، وحضر مجلس أبي حنيفة النعمان سنتين، ثم تفقه على أبي يوسف[٤] صاحب أبي حنيفة، وصنف الكتب الكثيرة النادرة، فمنها: "الجامع الكبير"، و"الجامع الصغير"، وله في مصنفاته المسائل المشكلة خصوصاً المتعلقة بالعربية، ونشر علم أبي حنيفة، وكان من أفصح الناس[٥].

ولما دخل الشافعي بغداد كان بها، وجرى بينهما مجالس ومسائل بحضرة هارون الرشيد، فقال الشافعي: ما رأيت أحداً يسأل عن مسألة فيها نظر إلاَّ تبيَّنت الكراهة في وجهه إلاَّ محمد بن الحسن، وما رأيت سميناً ذكياً إلا محمد بن الحسن، وبقي ملازماً للرشيد حتى خرج إلى الري وخرج معه، ومات سنة (١٨٩هـ/ ٨٠٥م)، وكان

---

(١) ذكرها العمري؛ حنتوس: والصواب "حنتوش"، والتي تسمى اليوم منطقة الأوزاعي.

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ص ٣٠٩- ٣١٠).

(٣) ينظر ترجمته: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٧/ ٢٢٧)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٤/ ١٨٤- ١٨٥)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٤/ ٩٥٤)؛ ميزان الاعتدال (ج٣/ ٥١٣)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢/ ٢٤٧- ٢٤٨)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٥/ ١٢١- ١٢٢)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ٣٠٥- ٣٠٦)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٢/ ٤٠٨- ٤١٢).

(٤) أبو يوسف القاضي؛ يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن بجير بن معاوية بن قحافة بن نفيل بن سدوس بن عبد مناف بن أبي أسامة بن سحمة بن سعد بن عبد الله بن قرادة بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن بجيلة: كان يعرف بالحفظ للحديث، وكان يحضر المحدث فيحفظ خمسين وستين حديثاً، ثم لزم أبا حنيفة النعمان بن ثابت فتفقه وغلب عليه الرأي وجفا الحديث، توفي في خلافة هارون الرشيد سنة (١٨٢هـ/ ٧٩٨م)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٧/ ٣٣٠- ٣٣١)؛ ابن وكيع، أخبار القضاة (ج٣/ ٢٥٤- ٢٦٤)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٩/ ٢٠١- ٢٠٢)؛ ابن النديم، الفهرست (ج١/ ٢٥٢- ٢٥٧)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٦/ ٣٧٨- ٣٩٠)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٤/ ١٠٢١)؛ تذكرة الحفاظ (ج١/ ٢١٤- ٢١٥)؛ ميزان الاعتدال (ج٤/ ٤٤٧)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج٦/ ٣٠٠- ٣٠١)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ٢٧٥- ٢٧٨)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٢/ ٣٦٩- ٣٧٤).

(٥) العمري، مسالك الأبصار (ج٦/ ٣١- ٣٢).

الرشيد يقول: "دفنت الفطنة والعربية بالري"[١].

ث- الإمام الشافعي رضي الله عنه، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ابن السّائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، القرشي، المطلبي، الشافعي، أبو عبد الله[٢]:

ذكر العمري أن الإمام الشافعي تفقه على مالك، ثم مال إلى أوسع مجال، وكان يحفظ ديوان هُذيل، وله فراسة المؤمن التي لا تخطئ، فكان كثير المناقب، جم المفاخر، منقطع القرين، اجتمعت فيه العلوم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكلام الصحابة وآثارهم، واختلاف أقاويل العلماء، واللغة، والشعر، حتى أن الأصمعي مع علو قدره، قرأ عليه أشعار الهذليين مالم يجتمع في غيره، وقال أحمد بن حنبل: "ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي"[٣].

وولد الشافعي سنة (١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، في مدينة غزة، وقيل: بعسقلان، وقيل: ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة، وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن سنتين، ونشأ بها، وقرأ القرآن الكريم، وقدم بغداد سنة (١٩٥هـ/ ٨١٠م)، وقيل: سنة (٢٠١هـ/ ٨١٦م)، وبقي فيها إلى أن توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة (٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، ودفن بالقرافة الصغرى بالمقطم رحمه الله[٤].

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٦/ ٣٢).

(٢) ينظر ترجمته: البخاري، التاريخ الكبير (ج١/ ٤٢)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٧/ ٢٠١- ٢٠٤)؛ ابن حبان، الثقات (ج٩/ ٣٠- ٣١)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥١/ ٢٦٧- ٤٣٦)؛ الحموي، معجم الأدباء (ج٦/ ٢٣٩٣- ٢٤١٨)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٤/ ١٦٣- ١٦٩)؛ الذهبي، ذكرة الحفاظ (ج١/ ٢٦٥- ٢٦٦)؛ سير أعلام النبلاء (ج٨/ ٢٣٦- ٢٧٩)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢/ ١٢١- ١٢٧)؛ ابن منقذ، الوفيات (ج١/ ١٥٥)؛ ابن حجر، نزهة الألباب (ج١/ ١٤٣)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٢/ ٣٧٤- ٣٧٨)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٣/ ١٩).

(٣) مسالك الأبصار (ج٦/ ١٥٢- ١٥٣).

(٤) المصدر السابق (ص ١٥٥).

ج- **سُلَيْم بن أيوب بن سُلَيْم الرازي، أبو الفتح، الفقيه الشافعي الأديب[1]:**

كان مشاراً إليه بالفضل والعبادة، وكتب الكتب الكثيرة، وقال: أنه دخل بغداد وهو حديث السن؛ لطلب علم الفقه، فكان يأتي شيخاً هناك، وفي يوم من الأيام جاء أبو الفتح باكراً إليه، فقيل له أنه بالحمام، فمضى نحوه فعبر في طريقه على الشيخ أبي حامد الإسفراييني[2]، وهو يملي، فدخل المسجد وجلس مع الطلبة، فوجده في كتاب الصيام في مسألة، فاستحسن ذلك، وعلق الدرس على ظهر جزءٍ كان معه، فلما عاد للمنزل جعل يعيد الدرس، فأحبه، فأتم كتاب الصيام، فعلقه، ولازم الشيخ أبا حامد حتى علق عنه جميع التعليق، وكان لا يخلو له وقت عن الاشتغال حتى إنه كان إذا برى القلم أو مر في طريق؛ قرأ القرآن، أو سبح، وسكن سليم الشام بمدينة صور متصدراً لنشر العلم، وإفادة الناس، ثم غرق في البحر الأحمر بعد رجوعه من الحج عن ساحل جدة في صفر سنة (٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)[3].

ح- **محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الغزَّالي[4]:**

وصفه ابن فضل الله العمري بأنه؛ حجة الإسلام، اشتغل بادئ أمره بطوس، ثم قدم نيسابور[5]، واختلف إلى دروس إمام الحرمين، واجتهد في الاشتغال حتى تخرج

---

(1) ينظر ترجمته: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٢٢/ ٢٥٨- ٢٦٠)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٢/ ٣٩٧- ٣٩٩)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٩/ ٦٩٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٥/ ٢٠٧- ٢٠٨)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٣/ ٤٠٢- ٤٠٣)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٥/ ٢٠٢- ٢٠٤).

(2) أبو حامد؛ أحمد بن عبد الجبار بن علي الإسفراييني: الإمامي، كان يحضر درسه سبعمائة فقيه، ولد سنة (٣٤٤هـ/ ٩٥٥م)، وقدم بغداد سنة (٣٦٤هـ/ ٩٧٤م)، وتوفي سنة (٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)؛ ينظر: ابن نقطة، إكمال الإكمال (ج١/ ١٩٩)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٩/ ١٠١)؛ تذكرة الحفاظ (ج٣/ ١٧٨)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٣/ ١٣- ١٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٧/ ٢٣٣- ٢٣٤)؛ ابن منقذ، الوفيات (ج١/ ٢٣٠)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٣/ ٣١٩- ٣٢٠).

(3) العمري، مسالك الأبصار (ج٦/ ١٨١).

(4) ينظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٤/ ٢١٦- ٢١٩)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٤/ ٢٦٧- ٢٧٩)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١/ ٢١١- ٢١٣)؛ ابن منقذ، الوفيات (ج١/ ٢٦٦)؛ ابن حجر، نزهة الألباب (ج١/ ١٩٧)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٤/ ١٩- ٢٠)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٦/ ١٨).

(5) نيسابور: مدينة من مدن خراسان، ذات فضائل حسنة وعمارة، كثيرة الخيرات والفواكه والثمرات، وعتبة الشرق؛ ينظر: الحموي، معجم البلدان (ج٥/ ٣٣١- ٣٣٢)؛ القزويني، آثار البلاد (ج١/ ٤٧٣).

في مدة قريبة، وصار من الأعيان في زمن أستاذه، ثم خرج من نيسابور ولقي نظام الملك[1]، فأكرمه وعظمه، وبالغ في الثناء عليه، وذات مرة؛ كان بحضرة الوزير جماعة من الأفاضل، فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس، وظهر عليهم، واشتهر اسمه، وسارت بذكره الركبان[2].

ثم فوض إليه الوزير تدريس النظامية ببغداد، فدرس بها سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٤٨م)، وأعجب به أهل العراق، وارتفعت عندهم منزلته، ثم ترك جميع ما كان عليه سنة (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، وسلك طريق الزهد والانقطاع، وقصد الحج، ولما رجع توجه إلى الشام، فأقام بدمشق مدة يذكر الدرس في الزاوية الغربية من الجامع الأموي، ثم انتقل إلى بيت المقدس، واجتهد في العبادة، وزيارة المشاهد، والمواضع المعظمة، ثم قصد مصر، وأقام بالإسكندرية مدة[3].

ثم عاد إلى وطنه بطوس، فألف الكتب المفيدة في عدة فنون، ثم عاد إلى نيسابور، والتدريس بالمدرسة النظامية، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات، ثم رجع لطوس، واتخذ موضع للصوفية، ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره، ووزع أوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن، والجلوس للتدريس، وتوفي سنة (٥٠٥هـ/ ١١١١م)[4].

خ- أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني[5]:

وينقل العمري عن ابن العديم في تاريخ حلب: أنه كان حريصاً على تعليم العلم، ونفع الطلبة، مواظباً على ذكر الدروس، وكان فقيهاً، وعالماً، صحيح الاعتقاد،

---

(1) أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس؛ نظام الملك قوام الدين الطوسي: كان من أولاد الدهاقين، واشتغل بالحديث والفقه، ثم اشتغل لعلي بن شاذان المعتمد عليه بمدينة بلخ، وأقام على خدمة ألب أرسلان عشرين عاماً، كان مجلسه عامراً بالفقهاء والصوفية، توفي سنة (٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)؛ ينظر: ابن العديم، بغية الطلب (ج٥/ ٢٤٧٨- ٢٥٠١)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٢/ ١٢٨- ١٣١)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٠/ ٥٤١)؛ سير أعلام النبلاء (ج١٤/ ١٤٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٢/ ٧٧- ٧٩)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٣/ ٥٠٥- ٥٠٧)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٥/ ٣٦٢- ٣٦٨).

(2) مسالك الأبصار (ج٦/ ٢٠١- ٢٠٢).

(3) المصدر السابق (ص ٢٠١- ٢٠٢).

(4) المصدر السابق (ص ٢٠٢).

(5) ينظر ترجمته: ابن العديم، بغية الطلب (ج١٠/ ٤٣٤٧- ٤٣٤٩).

كثير الذم للمعتزلة وأهل البدع، مصرحاً بشتمهم ولعنهم في دروسه، وصنف في الفقه والأصول، وكان يعاني من مرض النقرس في رجليه، وكان يحمل في محفة من منزله، ويخرج إلى الفقهاء لحضور الدرس[١].

ويقول ابن العديم: سمعت قاضي العسكر يقول: قدم الكاساني دمشق، فحضر إليه الفقهاء وطلبوا منه الكلام معهم في مسألة، فقال: أنا لا أتكلم في مسألة فيها خلاف أصحابنا، فعينوا مسألة، فعينوا مسائل كثيرة، فجعل يقول: ذهب إليها من أصحابنا فلان، فلم يزل كذلك حتى أنهم لم يجدوا مسألة إلاّ وقد ذهب إليها واحد من أصحاب أبي حنيفة، فانفض المجلس، ولم يتكلموا معه، وعندما حضر ابن العديم موت الكاساني؛ قرأ سورة إبراهيم حتى انتهى إلى قوله تعالى { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}[٢]، فخرجت روحه، وكانت وفاته يوم الأحد العاشر من رجب سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، ودفن داخل مقام إبراهيم الخليل بظاهر حلب[٣].

د- عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر النصري الكردي والشهرزوري، أبو عمرو[٤]:

يذكر العمري أنه؛ عرف بابن الصلاح، تقي الدين الفقيه، الحافظ، شيخ الشافعية، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال، قرأ الفقه عن والده وكان من جلّة المشايخ الأكراد، ثم نقله والده إلى الموصل، فاشتغل بها مدة، ثم سافر مدة إلى خرسان، وتعلم الحديث بها، ثم رجع إلى الشام، وتولى تدريس المدرسة الصلاحية ببيت المقدس، وأقام مدة وأشغل الناس وانتفعوا به[٥].

---

(١) مسالك الأبصار (ج٦/ ٩٠).

(٢) [الآية: ٢٧].

(٣) مسالك الأبصار (ج٦/ ٩٠- ٩١).

(٤) ينظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ٢٤٣- ٢٤٤)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٤/ ٤٥٥)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٠/ ٢٦- ٢٧)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٥/ ١٩٧- ١٩٨).

(٥) مسالك الأبصار (ج٥/ ٣٣٠).

ثم عاد إلى دمشق، فولي تدريس الرواحية، ومشيخة دار الحديث الأشرفية، وتدريس الشامية التي داخل دمشق، وقام مواظباً على الوظائف الثلاثة من غير إخلال، وكان ذو علمٍ ودين، وله مجلد جمعت فيه فتاويه، وتوفي بدمشق، في الخامس والعشرون من ربيع الآخر سنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، ودفن بمقبرة الصوفية(١).

ذ- **عبد الله بن عطاء بن حسن بن عطاء بن جبير بن جابر الحنفي، الأذرعي، أبو محمد قاضي القضاة، شمس الدين، عرف بالشمس عبد الله(٢):**

ولد سنة (٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، وكان والده حنبلي المذهب، وكان معجباً بالشيخ الفقيه محمد اليونيني، ويحبه محبة مفرطة، وانتقل إلى بعلبك بسببه، ورحل إلى دمشق وأصبح يشار إليه في المذهب الحنفي، وكان رفيع القدر، كثير الفضل، حسن الهيأة، وافر الديانة، عالي الإسناد، قوالاً بالحق، كثير التواضع، عديم النظير، قليل الرغبة بالدنيا، يقنع منها باليسير، لا يحابي أحداً بالحق، درس بالمدرسة المعظمية بسفح قاسيون، وبالمدرسة الراشدية، وتوفي يوم الجمعة الثامن من جمادي الأولى سنة (٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)، ودفن بقاسيون(٣).

ر- **يحيى بن شَرَف بن مُرّي بن الحسن بن الحسين الخرامي النووي الشافعي(٤):**

يذكره العمري بأنه؛ الحافظ، شيخ الإسلام، وعلم الأولياء، وقدوة الزهاد، ولد في محرم سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م)، وقدم دمشق سنة (٦٤٩هـ/ ١٢٥١م)، فسكن في الرواحية، وتناول خُبز المدرسة، وحفظ كتاب "التنبيه" في أربعة أشهر ونصف، وقرأ ربع كتاب "المهذب" حفظاً في باقي السنة، فكان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على مشايخه

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ٣٣٠- ٣٣١).

(٢) ينظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ٢٦٢)؛ تذكرة الحفاظ (ج٤/ ١٨١)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٧/ ٣١٤)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج٧/ ١١٢- ١١٤)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٥/ ٣٣٩)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٧/ ٧٦٣).

(٣) العمري، مسالك الأبصار (ج٦/ ٩٦- ٩٧).

(٤) ينظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ٣٢٤)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٢٧/ ١١٢)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٥/ ٣٥٢- ٣٥٤)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج١/ ٥٥- ٥٧).

شرحاً، وتصحيحاً في الحديث والفقه، والنحو، والأصلين، والتصريف، وأسماء الرجال[1].

وسمع الكتب الستة، والمسانيد، و"الموطأ"، ولازم الاشتغال، والتصنيف، ونشر العلم والعبادة، والأوراد، والصيام، والذكر، والصبر على العيش الخشن في المأكل والملبس ملازمة كليّة، ثم أخذ في التصنيف، والإفادة، والنصيحة، وقول الحقّ مع ما هو فيه من المجاهدة لنفسه، والعمل بدقائق الورع، والمراقبة، وتصفية النفس من الشهوات والشوائب، وكان حافظاً للحديث، وفنونه، ورجاله، وصحيحه، وعلله، رأساً في معرفة المذهب، وتوفي في شهر رجب سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)[2].

ز- محمد بن محمد بن أبي العز بن صالح بن أبي العز بن وهيب، أقضى القضاة، الحنفي، الخطيب، شمس الدين، أبو عبد الله بن أبي البركات[3]:

كان إماماً فقيهاً، فاضلاً، يعرف الفقه، وبصيراً بالأحكام، والقضايا، محمود السيرة في حكمه، فحكم بدمشق نيابةً مدة عشرين سنة، ودرس بالظاهرية، والقليجية، والمعظمية، وخطب بجامع الأفرم، وهو أول خطيب خطب بحضور نائب السلطنة والقضاة والأعيان، ولبس الخلعة من القصر الظاهري، وكان متديناً، كثير التودد والإحسان إلى أصحابه ومعارفه، عنده قوة نفس في الأحكام وإمضائها، وتوفي في محرم سنة (٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م)، بمسجد ابن يغمور ظاهر دمشق، ودفن عند أقاربه بالقرب من المدرسة المعظمية بسفح قاسيون[4].

س- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحرّاني، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية[5]:

العلامة الحافظ، الحجة المجتهد، المفسّر شيخ الإسلام، نادرة العصر، علم الزهاد، ولد

([1]) مسالك الأبصار (ج٥/ ٣٣١- ٣٣٢).

([2]) المصدر السابق (ص ٣٣٣- ٣٣٤).

([3]) ينظر ترجمته: الصفدي، أعيان العصر (ج٥/ ١٣١- ١٣٢)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ١٠٦).

([4]) العمري، مسالك الأبصار (ج٦/ ١٠٢- ١٠٣).

([5]) ينظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ٤٩)؛ تذكرة الحفاظ (ج٤/ ١٩٢- ١٩٣)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٢/ ١٤٥)؛ الوافي بالوفيات (ج٧/ ١١- ٢١)؛ ابن تغري، المنهل الصافي (ج١/ ٣٥٨- ٣٦٢)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٦/ ١٨٦- ١٨٧)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ١٤٢).

بحرّان في العاشر من ربيع الأول سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م)، وقدم مع والده وأهله دمشق وهو صغير، وكان شديد الذكاء، كثير الحفظ، وكان إماماً في التفسير وعلوم القرآن، والفقه، والنحو، واللغة، والمنطق، وعلم الهيأة، والجبر، والمقابلة، وعلم الحساب، وعلم أهل الكتابين، وأهل البدع، وكثير من العلوم النقلية والعقلية(١).

ويذكر العمري أن ابن تيمية؛ ما تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظنّ أنَّ ذلك الفنّ فنه، وكان حفظه للحديث مميزاً بين صحيحه وسقيمه، عارفاً برجاله متضلّعاً من ذلك، وله مؤلفات كثيرة، وفتاوى مشبعة في الفروع والأصول، كمّل منها جملة في الفقه والحديث، وردّ البدع بالكتاب والسنة، مثل كتاب "الصارم المسلول على متنقّص الرسول ﷺ"، وكتاب "تبطيل التحليل"، وكتاب "اقتضاء الصراط المستقيم"، وكتاب "تأسيس التقديس" في عشرين مجلداً، وكتاب "الرد على طوائف الشيعة" في أربع مجلدات، وكتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام"، وكتاب "السياسة الشرعية"، وكتاب "التصوف"، وكتاب "الكلم الطّيب"، وكتاب "المناسك في الحج"(٢).

وكان ابن تيمية عارفاً بالتاريخ، وعندما توفي والده، تولى مشيخة الحديث بدار الحديث السكرية، وحضر عنده جماعة من الأعيان فأثنوا عليه، وعلى فضائله وعلومه، فقال فيه الشيخ إبراهيم الرقي: أنه كان يأخذ عنه، ويقّلد في العلوم، فإن طال عمره ملأ الأرض علماً، وهو على الحق، ولا بدّ ما يعاوده الناس؛ فإنه وارث علم النبوة(٣).

وآخر أمره تكلَّم في مسألتي الزيارة والطلاق، فأخذ وسجن بقلعة دمشق في قاعة، وتوفي بها في العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)، ودفن في مقبرة الصوفية، حيث خرج في جنازته خلقاً لا يحصي عددهم إلا الله، ورويت له منامات صالحة، ورثاء جماعات من الناس بالشام، ومصر، والعراق، والحجاز، وغيرهم من بلاد العرب –رحمه الله تعالى–(٤).

---

(١) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ٣٣٤- ٣٤٠).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٤٠).

(٣) المصدر السابق (ص ٣٤٠).

(٤) المصدر السابق، (ص ٣٤٣).

٢. فقهاء أهل مصر:

أ- إسماعيل بن اليسع الكندي، أبو عبد الرحمن، الفقيه، الحنفي[١]:

ولي قضاء مصر زمن المهدي سنة (١٦٤هـ/ ٧٨٠م)، وأول من حكم بمذهب أبي حنيفة، ولم يعرف أهل مصر مذهب أبي حنيفة، فكتب الليث بن سعد إلى المهدي في أمره؛ "إناً لم ننكر عليه شيئاً في مال ولا دين، غير أنه أحدث أحكاماً لا نعرفها ببلدنا؛ فعزله"، وكان إسماعيل بن اليسع مأموناً فقيهاً[٢].

وقيل أن الليث بن سعد جاء إلى إسماعيل بن اليسع فجلس بين يديه، فرفعه إسماعيل، فقال الليث: إنما جئت مخاصماً لك، فقال: فيم؟، فقال: في إبطالك أحباس المسلمين، وقد حبس رسول الله ﷺ، وحبس عمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، فمن بقي بعد هؤلاء، فكتب إلى المهدي فورد الأمر بعزله، وكانت ولايته ثلاث سنين[٣].

ب- عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، الفقيه، المالكي، المصري، أبو محمد[٤]:

يذكره العمري بالقول: كان بن رافع أعلم أصحاب مذهب مالك بمختلف قوله، وافضت إليه رئاسة الطائفة المالكية بعد أشهب[٥]، وكان من ذوي الأموال، وله جاه

---

(١) ينظر ترجمته: ابن وكيع، أخبار القضاة (ج٣/ ٢٣٦)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٢/ ٢٠٤)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٣٧/ ٢٩١)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٤/ ٥٨٢).

(٢) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ٣٩- ٤٠).

(٣) المصدر السابق (ج٦/ ٤٠).

(٤) ينظر ترجمته: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٥/ ١٠٥- ١٠٦)؛ ابن حبان، الثقات (ج٨/ ٣٤٧)؛ ابن النديم، الفهرست (ج١/ ٢٤٨)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/ ٣٤- ٣٥)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج١٥/ ١٩١- ١٩٤)؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٨/ ٣٤٧- ٣٤٨)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٣/ ٦٩).

(٥) أشهب بن عبد العزيز القيسي: من أهل مصر، يروي عن مالك بن أنس، روى عنه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ولد سنة (١٤٠هـ/ ٧٥٧م)، وتوفي سنة (٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، وكان فقيهاً على مذهب مالك؛ ينظر: البخاري، التاريخ الكبير (ج٢/ ٥٧)؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج٢/ ٣٤٢)؛ ابن حبان، الثقاة (ج٨/ ١٣٦)؛ ابن النديم، الفهرست (ج١/ ٢٤٨)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج١/ ٢٣٨- ٢٤٠)؛ المزي، تهذيب الكمال (ج٣٥/ ٦٦- ٦٧)؛ الذهبي، الكاشف (ج١/ ٢٥٤)؛ سير أعلام النبلاء (ج٨/ ١٨٦)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٩/ ١٦٤- ١٦٥)؛ ابن قنفذ، الوفيات (ج١/ ١٥٧)؛ ابن حجر، تقريب التهذيب (ج١/ ١١٣).

وقدر كبير، وكان يزكي الشهود ويجرحهم، ولهذا لم يشهد ولا أحد من ولده، ولدعوة سبقت فيه، وروى بشر بن مالك قال: رأيت مالك بن أنس في النوم بعدما مات بأيام، فقال: إن ببلدكم رجلاً يقال له ابن عبد الحكم، فخذوا عنه؛ فإنه ثقة، وتوفي في رمضان سنة (٢١٤هـ/ ٨٢٩م)، وقبره جانب قبر الإمام الشافعي[١].

ت- أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطَّحاوي، الحنفي، الحافظ، الفقيه أبو جعفر[٢]:

ذكر العمري أنه؛ ولد سنة (٢٣٩هـ/ ٨٥٣م)، وتفقه بمصر، وبدمشق، وحدّث عن كثيرين وسمع منهم، وتفقه أولاً على مذهب الشافعي، ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة، وقام بتأليف ما هو مختصر في كتب الفقه[٣].

وذكره الحافظ أبو محمد بن خلف في كتابه "الدر المنظم فيمن دفن بسفح المقطم"، فقال: فريد دهره، ووحيد عصره، له التصانيف المفيدة، والآثار الحميدة، صاحب فقه، وأثر، ورواية، ونظر، ومن تصانيفه "الفقهيات المعروفات الكبار والمختصرات المعروفات الخالية من الاكثار"، وروى عنه القضاة المحقّقون، والعلماء المبرّزون، وتوفي سنة (٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، بمصر، ودفن بالقرافة[٤].

ث- القاضي أبو الفتح، محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة، القشيري، المنفلوطي الصعيدي، المالكي والشافعي، تقي الدين عرف بابن دقيق العيد[٥]:

صاحب التصانيف، آخر المجتهدين، وحجّة العلماء، ولد في شعبان سنة

---

(١) مسالك الأبصار (ج٦/ ١٤١- ١٤٢).

(٢) ينظر ترجمته: ابن النديم، الفهرست (ج١/ ٢٥٧)؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج٥/ ٣٦٧- ٣٧٠)؛ ابن نقطة، إكمال الإكمال (ج٤/ ٥١)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج١/ ٧١- ٧٢)؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (ج٧/ ٤٣٩)؛ تذكرة الحفاظ (ج٣/ ٢١- ٢٢)؛ سير أعلام النبلاء (ج١١/ ٣٦١- ٣٦٣)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج٨/ ٧- ٨)؛ ابن حجر، لسان الميزان (ج١/ ٢٧٤)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٣/ ٧٠- ٧١)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٣/ ٣٢٩، ج٤/ ١٠٥).

(٣) العمري، مسالك الأبصار (ج٦/ ٣٥٨).

(٤) المصدر السابق (ص ٣٥٨).

(٥) ينظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ١٤٤)؛ تذكرة الحفاظ (ج٤/ ١٨١- ١٨٣)؛ ابن شاكر، فوات الوفيات (ج٣/ ٤٤٢- ٤٥٠)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٤/ ٥٨٧- ٥٨٩)؛ ابن ناصر، الرد الوافر (ج١/ ٥٨- ٥٩)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٦/ ١١- ١٢).

(٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م)، بالقرب من الينبُع من أرض الحجاز، وسمع الحديث، وخرج لنفسه أربعين تساعية، وكان من أذكياء زمانه، واسع العلم، كثير الكتب، ولي قضاء مصر سنوات إلى أن مات، وكان في أمر الطهارة والمياه في نهاية الوسوسة[١].

وقال الحافظ قطب الدين الحلبي[٢]: أن القشيري كان إمام أهل زمانه، وفاق بالعلم والزهد على أقرانه، عارفاً بالمذهبين، وإماماً حافظاً مُتقناً في الحديث وعُلومه، وكان مبدع في الحفظ، والاتقان، والتحرّي، شديد الخوف، دائم الذكر، كثير المطالعة، والتلاوة، والذكر، والتهجد، وتوفي في صفر سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)[٣].

ج- علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمرو بن عثمان بن علي بن مسوار بن سوّار ابن سليم الأنصاري، الخزرجي السبكي، ثم المصري الشافعي[٤]:

وصفه العمري بالقول: "حجَّة المذاهب، مفتي الفرق، قدوة الحفاظ، آخر المجتهدين"[٥]، ولد سنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م)، وسمع من الحافظ أبي محمد الدمياطي وطبقته، وبالثغر من يحيى الصوّاف[٦] وأقرانه، وبدمشق من ابن مشرّف بن الموازيني، وكانت رحلته إلى دمشق سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)، فقرأ الروايات على تقيّ الدين

([١]) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ٣٦٠).

([٢]) الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي: قرأ بالسبع قراءات على إسماعيل المليحي، وسمع من ابن العماد، وإبراهيم المنقري، والعزّ، والفخر علي، وبنت مكّي، وابن الفرات، وعمل معظم "شرح البخاري"، حنفي المذهب، يدرّس بالجامع الحاكمي، توفي بمصر سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م)؛ ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (ج١٥/ ٩٦)؛ سير أعلام النبلاء (ج١/ ٢٢)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (ج١٩/ ٥٦)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٦/ ٢١١- ٢١٢)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ١٩٣).

([٣]) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ٣٦٠).

([٤]) ينظر ترجمته: المزي، تهذيب الكمال (ج١/ ٩٩)؛ الذهبي، معجم الشيوخ (ج٢/ ٣٤- ٣٥)؛ الصفدي، أعيان العصر (ج٣/ ٤١٦- ٤٢٥)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة (ج٤/ ٧٤- ٨٤).

([٥]) العمري، مسالك الأبصار (ج٥/ ٣٦٤).

([٦]) يحيى بن أحمد بن عبد العزيز؛ ابن عبد الله بن علي بن عبد الباقي بن علي بن الصواف: الجذامي، الإسكندراني، الفقيه، الإمام المحدث، المقرئ، شرف الدين أبو الحسين، وكان يروي الخلعيات عن ابن عماد، توفي بالإسكندرية سنة (٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م)؛ ينظر: الصفدي، أعيان العصر (ج٥/ ٥٤٧- ٥٤٨)؛ بامخرمة، قلادة النحر (ج٦/ ٣١- ٣٢)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج٨/ ٢٥).

الصائغ، وانتهت إليه رئاسة العلم في القراءات، والحديث، والفقه، وخرَّج له الإمام شهاب الدين الدمياطي مُعجماً كبيراً، وقصده بدمشق، فحدّث بالكلاسة من جامع دمشق بحضرة الحافظين أبي الحجاج المزي، وأبي عبد الله الذهبي، وجماعة من العلماء[١].

ومن مؤلفاته؛ "الدُّر النظيم في تفسير القرآن الكريم"، "شفاء السقام في زيارة خير الأنام"، "إبراز الحكَم من حديث رفع القَلَم"، "السيف المسلول على من سبّ الرسول"، "تكملة المجموع في شرح المهذّب" في الفقه، "الابتهاج في شرح المنهاج" في الفقه، و "التحبير المذهب في تحرير المذهب" ولم يُتمه، "التحقيق في مسألة التعليق"، "رافع الشقاق عن مسألة الطلاق" وكلاهما في الردّ على الشيخ تقيّ الدين ابن تيمية، "منبه الباحث عن حكم دين الوارث"، "الرياض الأنيقة في مسألة الحديقة"، "أمثلة المشتق"، "إحياء النفوس في إلقاء الدروس"، "كشف القناع عن حكم لو الامتناع"، "ضوء المصابيح في صلاة التراويح" واختصره مرات؛ والكثير من المؤلفات[٢].

وهذه جملة مشاهير القراء، والحفاظ من أهل الحديث، والفقهاء، في مصر والشام في الفترة التي عاصرها ابن فضل الله العمري، والذين كان لهم الفضل الكبير في نشر العلم والدين في المجتمع الإسلامي في تلك الفترة وما بعدها.

---

(١) مسالك الأبصار (ج٥/ ٣٦٨).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٦٨- ٣٦٩).

الخاتمة

بعد البحث والتدقيق في كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، والدراسة المتأنية للجوانب الحضارية في مصر وبلاد الشام، توصل الباحث إلى عدد من النتائج، والتوصيات، أوجز أهمها فيما يلي:

أولاً: النتائج:

- يعتبر كتاب العمري مسالك الأبصار في ممالك الأمصار؛ موسوعة تاريخية ومصدراً رئيسياً للمادة التاريخية، والحضارة الإسلامية؛ في التقسيمات الإدارية والعمرانية، والحياة الاجتماعية والدينية، و في شتى أنواع المعارف الإنسانية.
- تعتبر كتب الجغرافيا والبلدان مصدراً مهماً للمؤرخ، والباحث التاريخي، لما تحتوي على معلومات تاريخية وجغرافية هامة، لا تقل أهميتها عن الكتب التاريخية.
- يعتبر ابن فضل الله العمري؛ من أحفاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- تُعد دولة المماليك البحرية التي حكمت مصر والشام سنة (٦٤٨- ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م)، أكثر استقراراً من دولة المماليك الجراكسة التي حكمت مصر والشام سنة (٧٨٤- ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢- ١٥١٧م).
- كان حكم المماليك لمصر والشام زمن أسرة قلاوون؛ حكم الدولة الواحدة في الوظائف، والتقسيمات الإدارية، والامتيازات التي لا فرق بينهما، سيما اختلاف الجغرافيا.
- اتسم عصر المماليك بالاهتمام بالعلم والعلماء، والقضاء، والتدريس، الذي له الأثر الواضح على الثقافة، والعادات، والفكر في البلاد الإسلامية في زماننا اليوم في شتى المجالات؛ كالأسواق، والحمامات، والمساجد، والمدارس، والحياة العلمية، والفكرية، ونجد أنفسنا خاضعين إلى حد كبير لمصنفات العصر المملوكي بشكل كبير.
- أن المماليك اختصوا لأنفسهم الوظائف القيادية والسيادية، والعسكرية، والسياسية، وحرموا منها سائر الطبقات، وقاموا بحكم البلاد بقوة مفرطة.

- تعتبر مصر وبلاد الشام من أجل وأعظم البلاد الإسلامية من حيث؛ انتشار العلم، والفقه، والعلماء، الذي كان له دور كبير في التفاف الناس حول السلاطين المماليك لما له من الأثر الواضح على إدارة الحكم في تلك البلاد.

ثانياً: التوصيات:

في ضوء ما تم التوصل إليه من استنتاجات يوصي بها الباحث بما يلي:

- ضرورة رجوع المؤرخ والباحث التاريخي لكتب الجغرافيا والبلدان والرحلات، ككتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، للاستفادة من محتواه الغزيز بالمعلومات التاريخية والجغرافية.
- دراسة كثير من الموضوعات في كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لوجود قضايا تاريخية وحضارية كثيرة وهامة، تفيد الباحثين التاريخيين في الكشف عن الحقائق التاريخية.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. (٦٣٠هـ).

- الكامل في التاريخ. (١٠ج). (تحقيق عمر عبد السلام تدمري). (ط١). بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- أسد الغابة. (د. ط) بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- اللباب في تهذيب الأنساب. (د. ط). بيروت: دار صادر، (د. ن).

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري. (٦٠٦هـ). النهاية في غريب الحديث والأثر. (٥ج). (تحقيق طاهر أحمد الزاوي– محمود محمد الطناحي). (د. ط). بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

الإدريسي، الشريف محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي. (٥٦٠هـ). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. (٢ج). (ط١). بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩هـ.

الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي "قوام السنة". (٥٣٥هـ). سير السلف الصالحين. (تحقيق كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد). الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع، (د. ن).

الأصبهاني، أبو عبد الله عماد الدين محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله. (٥٩٧هـ). البرق الشامي، (٥ج). (تحقيق فالح حسين). (د. ط). عمان– الأردن: مؤسسة عبد الحميد شومان، ١٩٨٧م.

الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي "الكرخي". (٣٤٦هـ). المسالك والممالك. (د. ط). بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤م.

ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي. (٩٣٠هـ). بدائع الزهور في وقائع الدّهُور. (٥ج). (ط١).(تحقيق محمد مصطفى). قيسبان: دار النشر فرانز شتاينر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

ابن الباد، موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي "ابن نقطة". (٦٢٩هـ). الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر. (ط١). مصر: مطبعة وادي النيل، ١٢٨٦هـ.

ببطال، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي. (٦٣٣هـ). النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب. (٢ج). (تحقيق مصطفى عبد الحفيظ سالم). (د. ط). مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ج١- ١٩٨٨م، ج٢- ١٩٩١م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغير. (٢٥٦هـ). التاريخ الكبير. (٨ج). (تحقيق محمد عبد المعيد خان). (د. ط). حيدر آباد الدكن- الهند: دائرة المعارف العثمانية، (د. ت).

بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي الهجراني الحضرمي الشافعي. (٩٤٧هـ). قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر. (٦ج). (تحقيق بو جمعة مكري، خالد زواري). (ط١). جدة: دار المنهاج، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

بروكلمان، كارل. (١٩٧٧م). تاريخ الأدب العربي. (٦مج). (ط٥). (تحقيق عبد الحليم النجار- رمضان عبد التواب). القاهرة: دار المعارف، (د. ت).

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي. (٧٧٩هـ). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. (٥ج). (د. ط). الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ.

ابن بشار، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري. (٣٢٨هـ). الزاهر في معاني كلمات الناس. (٢ج). (ط١). (تحقيق حاتم صالح الضامن). بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر. (١٠٩٣هـ). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. (١٣ج). (ط٤). (تحقيق عبد السلام محمد هارون). القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني. (١٣٩٩هـ). هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. (٢ج). (د. ط). اسطنبول: وكالة المعارف الجليلة- البهية، ١٩٥١م.

البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي. (٤٨٧هـ). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. (٤ج). (د. ط). بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ.

البلوي، أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد. (٧٦٧هـ). تاج المفرق في تحلية علماء المشرق. (د. ط). مكناس: المكتبة الزيدانية، ١٢٦٩هـ.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك. (٢٧٩هـ). الجامع الكبير- السنن. (٦ج). (تحقيق بشار عواد معروف). (د. ط). بيروت: دار الغرب الإسلامي، (د. ت).

التطيلي، بنيامين بن الرابي يونة النباري الإسباني اليهودي. (٥٦٩هـ). رحلة بنيامين التطيلي. (١ج). (ط١). أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٢م.

تقي الدين، أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي المكي الحسني الفاسي. (٨٣٢هـ). ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد. (ط١). (٢ج). (تحقيق كمال يوسف الحوت). بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي. (٨٧٤هـ).

- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي. (٧ج). (تحقيق محمد محمد أمين). (د. ط). (د. م). الهيئة المصرية للكتاب، (د. ت).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. (١٦ج). (د. ط). مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دار الكتب، (د. ت).
- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة. (٢ج). (د. ط). القاهرة: دار الكتب المصرية، (د. ت).

ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي. (٦١٤هـ). رحلة ابن جبير. (١ج). (د. ط). بيروت: دار ومكتبة الهلال، (د. ت).

الجداية، كريمة. "حكام بني إسرائيل" في كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآثار والأنثروبولوجيا- قسم النقوش، جامعة اليرموك، إربد- الأردن، ٢٠٠٠م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (٥٩٧هـ).

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. (١٩ج). (ط١). (تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- فضائل القدس. (١ج). (ط٢). (تحقيق جبرائيل سليمان جبور). بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

الجياني، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي. (٦٧٢هـ). إكمال الأعلام بتثليث الكلام. (٢ج). (ط١). (تحقيق سعد بن حمدان الغامدي). مكة المكرمة- السعودية: جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي. (٣٢٨هـ). الجرح والتعديل. (ط١). حيد آباد الدكن- الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م.

حاجي خليفة، مصطفي بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني. (١٠٦٧هـ). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. (٦ج). (د. ط). بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٤١م.

ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي البستي. (٣٥٤هـ).

- الثقات. (٩ج). (ط١). (مراقبة محمد عبد المعيد خان). حيدر آباد الدكن- الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

- مشاهير علماء الأمصار واعلام فقهاء الأقطار. (١ج). (ط١). (تحقيق مرزوق على إبراهيم). المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني. (٨٥٢هـ).

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. (٦ج). (ط٢). (تحقيق محمد عبد المعيد ضان). صيدر اباد- الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- الإصابة في تمييز الصحابة. (٨ج). (ط١). (تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- تقريب التهذيب. (١ج). (ط١). (تحقيق محمد عوامة). سوريا: دار الرشيد، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- تبصير المتنبه بتحرير المشتبه. (٤ج). (تحقيق محمد على النجار). (مراجعة على محمد البجاوي). (د. ط). بيروت- لبنان: المكتبة العلمية، (د. ت).
- نزهة الألباب في الألقاب. (٢ج). (ط١). (تحقيق عبد العزيز محمد بن صالح السديري). الرياض: مكتبة الرشيد، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- لسان الميزان. (٧ج). (ط٢). (تحقيق دائرة المعرف النظامية- الهند). بيروت- لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري. (٤٥٦هـ). جمهرة أنساب العرب. (١ج). (ط١). (تحقيق لجنة من العلماء). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الحسيني، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الدمشقي الشافعي. (٧٦٥هـ). ذيل تذكرة الحفاظ. (١ج). (ط١). دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي. (٣٦٧هـ). صورة الأرض. (٢ج). (د. ط). بيروت: دار صادر، ١٩٣٨م.

الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي. (٦٢٦هـ).

- معجم البلدان. (٧ج). (ط٢). بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.
- معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. (٧ج). (ط١). (تحقيق إحسان عباس). بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم. (٩٠٠هـ). الروض المعطار في خبر الأقطار. (١ج). (ط٢). (تحقيق إحسان عباس). بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة- مطابع دار السراج، ١٩٨٠م.

الحنفي، أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي. (٧٧٥هـ). الجواهر المضية في طبقات الحنفية. (٢ج). (د. ط). كراتشي: مير محمد كتب خانه، (د. ت).

الحنفي، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري القاهري. (٩٢٠هـ). نيل الأمل في ذيل الدول. (٩ج). (ط١). (تحقيق عمر عبد السلام تدمري). بيروت- لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله. (٢٨٠هـ). المسالك والممالك. (١ج). (د. ط). بيروت: دار صادر، ١٨٨٩م.

الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي. (٤٦٣هـ). تاريخ بغداد. (١٦ج). (ط١). (تحقيق بشار عواد معروف). بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

ابن الخطيب، أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي الأندلسي. (٧٧٦هـ).

- الإحاطة في أخبار غرناطة. (٤ج). (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.
- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار. (١ج). (د. ط). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣م.

ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي. (٨٠٨هـ). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. (١ج). (ط٢). (تحقيق خليل شحادة). بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي. (٦٨١هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. (٧ج). (تحقيق إحسان عباس). (د. ط). بيروت: دار صادر، ١٩٠٠م- ١٩٩٤م.

الخوارزمي، أبو الفتح برهان الدين ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي المُطرزي. (٦١٠هـ). المغرب في ترتيب المعرب. (١ج).(د. ط). دار الكتاب العرب، (د. ت).

ابن خياط، أبو عمرو خليفة الشيباني العصفري البصري. (٢٤٠هـ). الطبقات. (١ج). (تحقيق سهيل زكار). (د. ط). (د. م). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

الداواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أبيك. (بعد ٧٣٦هـ). كنز الدرر وجامع الغرر. (٩ج). (ج١- تحقيق بيراند راتكه. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م). (ج٢- تحقيق إدوارد بدين. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م). (ج٣- محمد السعيد جمال الدين. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م). (ج٤- جونهيلد جراف، أريكا جلاسين. ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م). (ج٥- دوروتيا كرافولسكي. ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م). (ج٦- صلاح الدين المنجد. ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م). (ج٧- سعيد عبد الفتاح عاشور. ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م). (ج٨- أولرخ هارمان. ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م). (ج٩- هانس روبرت رويمر. ١٩٦٠م). (د. ط). عيسى البابي الحلبي.

ديورنت، ويليام جيمس. (١٩٨١م). قصة الحضارة. (٤٢ج وملحق). (تحقيق زكي نجيب محمود وأخرون). (د. ط). بيروت- لبنان: دار الجيل، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

بن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي. (٣٢١هـ). جمهرة اللغة. (٣ج). (ط١). (تحقيق رمزي منير بعلبكي). بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. (٧٤٨هـ).

- معجم الشيوخ الكبير. (٢ج). (ط١). (تحقيق محمد الحبيب الهيلة). الطائف- المملكة العربية السعودية: مكتبة الصديق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- المعجم المختص بالمحدثين. (١ج). (ط١). (تحقيق محمد الحبيب الهيلة). الطائف: مكتبة الصديق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- تذكرة الحفاظ. (٤ج). (ط١). بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. (١٥ج). (ط١). (تحقيق بشار عواد معروف). (د. م). دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.
- سير أعلام النبلاء. (١٨ج). (د. ط). القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- العبر في خبر من غبر. (٤ج). (تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول). (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية، (د. ت).

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. (٦٦٦هـ). مختار الصحاح. (١ج). (ط٥). (تحقيق يوسف الشيخ محمد). بيروت: المكتبة العصرية، صيدا: الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

ابن رافع، أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصري. (٢١٤هـ). سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه. (١ج). (ط٦). (تحقيق أحمد عبيد). بيروت- لبنان: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

ابن رافع، تقي الدين محمد بن هجرس السلامي. (٧٧٤هـ). الوفيات. (٢ج). (ط١). (تحقيق صالح مهدي عباس، بشار عواد معروف). بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ.

الزبيدي، مرتضى أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. (١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. (تحقيق مجموعة). (د. ط). دار الهداية، (د. ت).

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي. (١٣٩٦هـ). الأعلام. (ط١٥). (د. م). دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (٥٣٨هـ). الجبال والأمكنة والمياه. (١ج). (تحقيق أحمد عبد التواب عوض- جامعة عين شمس). (د. ط). القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ١٣١٩هـ/ ١٩٩٩م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. (٧٧١هـ).

- طبقات الشافعية الكبرى. (١٠ج). (ط٢). (تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو). (د. م). هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.
- معجم الشيوخ. (١ج). (ط١). (تحقيق بشار عواد، رائد يوسف العنبكي، مصطفى إسماعيل الأعظمي). (د. م). دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٤م.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. (٩٠٢هـ). وجيز الكلام في الذيل غلى دول الإسلام. (٤مج). (ط١). (تحقيق بشار عواد معروف- عصام فارس الحرستاني- أحمد الخطيمي). (د. م). مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي. (٢٣٠هـ). الطبقات الكبرى. (٨ج). (ط١). (تحقيق محمد عبد القادر عطا). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

السلماسي، أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو بكر بن أبي طاهر الأزدي. (٥٥٠هـ). منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد. (١ج). (ط١). (تحقيق محمود بن عبد الرحمن قدح). (د. م). مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي. (٥٦٢هـ). الأنساب. (١ج). (ط١). (تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره). حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

سيده المرسي، أبو الحسن على بن إسماعيل. (٤٥٨هـ).

- المحكم والمحيط الأعظم. (١١ج). (ط١). (تحقيق عبد الحميد هنداوي). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- المخصص. (٥ج). (ط١). (تحقيق خليل إبراهيم جفال). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (٩١١هـ).

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. (٢ج). (ط١). (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). مصر: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. (٢ج). (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). (د. ط). صيدا- لبنان: المكتبة العصرية، (د. ت).

ابن شاكر، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر. (٧٦٤هـ). فوات الوفيات. (٤ج). (ط١). (تحقيق إحسان عباس). بيروت: دار صادر، ١٩٧٣، ١٩٧٤م.

شاهنشاه، أبو المعالي ناصر الدين ابن المظفر محمد بن عمر المظفر. (٦١٧هـ). مضمار الحقائق وسر الخلائق. (١ج). (تحقيق حسن حبشي). (د. ط). القاهرة: عالم الكتب، (د. ت).

ابن شاهنشاه، ابن أيوب أبو الفداء عماد الدين بن علي بن محمود بن محمد بن عمر، الملك المؤيد، صاحب حماة. (٧٣٢هـ). المختصر في أخبار البشر. (٤ج). (ط١). (د. م). المطبعة الحسينية المصرية، (د. ت).

ابن شداد، أبو المحاسن غز الدين يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي. (٦٣٢هـ). النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية "سيرة صلاح الدين الأيوبي". (١ج). (ط٢). (تحقيق جمال الدين الشيال). القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي. (٦٨٤هـ). الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. (المكتبة الشاملة).(د. ط). (د. م). (د. ت).

ابن شمائل، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي الحنبلي. (٧٣٩هـ). مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. (٣ج). (ط١). بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ.

الشيباني، أبو عمرو. (٢٠٦هـ). شرح المعلقات التسع. (١ج). (ط١). (تحقيق عبد المجيد همو). بيروت– لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

الشيباني، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد التبريزي. (٥٠٢هـ). شرح القصائد العشر. (١ج). (د. ط). (د. م). إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢هـ.

الصالحي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي. (٧٤٤هـ). طبقات علماء الحديث. (٤ج). (ط٢). (تحقيق أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق). بيروت– لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله. (٧٦٤هـ).

- الوافي بالوفيات. (٢٩ج). (تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى). (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- أعيان العصر وأعوان النصر. (٥ج). (ط١). (تحقيق مازن عبد القادر المبارك). بيروت– لبنان: دار الفكر المعاصر، دمشق– سوريا: دار الفكر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

المقدسي، المطهر المقدسي. (٣٥٥هـ). البدء والتاريخ. (٦ج). (د. ط). بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية. (د. ت).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. (٣١٠هـ). المنتخب من ذيل المذيل. (د. ط). بيروت– لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. (د. ت).

الظاهري، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الملطي ثم القاهري الحنفي. (٩٢٠هـ). نيل الأمل في ذيل الدول. (٩ج). (ط١). (تحقيق عمر عبد السلام تدمري). بيروت– لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود. (بعد ٧٠٠هـ). رحلة العبدري. (ط٢). (تحقيق علي إبراهيم كردي). دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس ابن أهرون بن توما الملطي. (٦٨٥هـ). تاريخ مختصر الدول. (١ج). (ط٣). (تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي). بيروت: دار الشرق، ١٩٩٢م.

ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي. (٦٦٠هـ). بغية الطلب في تاريخ حلب. (١٢ج). (تحقيق سهيل زكار). (د. ط). (د. م). دار الفكر، (د. ت).

العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي. (٢٦١هـ). معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم. (ط١). (تحقيق عبد العظيم عبد العظيم البستوي). المدينة المنورة- السعودية: مكتبة الدار، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

العجمي، شهاب الدين أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم الشافعي الوفائي المصري الأزهري. (١٠٨٦هـ). ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب. (١ج). (ط١). (تحقيق شادي بن محمد بن سالم آل نعمان). اليمن: (د. ن). ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. (٥٧١هـ). تاريخ دمشق. (٨٠ج). (تحقيق عمرو بن غرامة العمروي). (د. ط). (د. م). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. (٣٩٥هـ). التلخيص في معرفة أسماء الأشياء. (١ج). (ط٢). (تحقيق عزة حسن). دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٦م.

العليمي، أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحنبلي. (٩٢٨هـ). الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. (٢ج). (تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة). (د. ط). عمان: مكتبة دنديس، (د. ت).

ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي. (١٠٨٩هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. (١١ج). (ط١). (تحقيق محمود الأرناؤوط). دمشق، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد. (٥٨٠هـ). الإنباء في تاريخ الخلفاء. (١ج). (ط١). (تحقيق قاسم السامرائي). القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي. (٧٤٩هـ).

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. (٢٧ج). (ط١). (تحقيق كامل سلمان الجبوري وآخرون). بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. (٢٧ج). (ط١). أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٣هـ.
- التعريف بالمصطلح الشريف. (١ج). (ط١). (تحقيق محمد حسين شمس الدين). بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. (٣٩٣هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربي. (٦ج). (ط٤). (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار). بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري. (١٧٠هـ). العين. (٨ج). (تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي). (د. ط). (د. م). دار ومكتبة الهلال، (د. ت).

ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري. (٧٩٩هـ). الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. (٢ج). (تحقيق محمد الأحمدي أبو النور). (د. ط). القاهرة: دار التراث للطبع والنشر، (د. ت).

الفيروز آبادي، أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب. (٨١٧هـ). القاموس المحيط. (١ج). (ط٨). (تحقيق محمد نعيم العرقسوسي). بيروت– لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي. (٨٥١هـ). طبقات الشافعية. (٤ج). (ط١). (تحقيق الحافظ عبد العليم خان). بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. (٢٧٦هـ). الشعر والشعراء. (٢ج). (د. ط). القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. (٦٨٢هـ). آثار البلاد وأخبار العباد. (١ج). (د. ط). بيروت: دار صادر، (د. ت).

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف. (٦٤٦هـ). إنباه الرواة على أنباه النحاة. (٤ج). (ط١). (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٢م.

ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب القسطنطيني. (٨١٠هـ). الوفيات "معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين". (١ج). (ط٤). (تحقيق عادل نويهض). بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري. (٨٢١هـ).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. (١٥ج). (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية، (د. ت).
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. (١ج). (ط٢). (تحقيق إبراهيم الإبياري). بيروت: دار الكتاب اللبنانيين، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان. (١ج). (ط٢). (تحقيق إبراهيم الإبياري). (د. م). دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ابن قليج، أبو عبد الله علاء الدين مغلطاي بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي. (٧٦٢هـ). إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال. (١٢ج). (ط١). (تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن محمد- أبو محمد أسامة بن إبراهيم). (د. م). الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي. (٧٧٤هـ). البداية والنهاية. (١٥ج). (ط١). (تحقيق علي شيري). (د. م). دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

الكجراتي، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني. (٩٨٦هـ). مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. (٥ج). (ط٣). (د. م). دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانوفتش. تاريخ الأدب الجغرافي العربي. (٢ج). (تحقيق صلاح الدين عثمان هاشم). (د. م). جامعة الدول العربية- الإدارة الثقافية، ١٩٥٧م.

كُرد علي، محمد بن عبد الرازق بن محمد. (١٣٧٢هـ). خطط الشام. (٦ج). (ط٣). دمشق: مكتبة النوري، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الكلاباذي، أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن البخاري. (٣٩٨هـ). رجال صحيح البخاري "الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد". (٢ج). (ط١). (تحقيق عبد الله الليثي). بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧م.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (٢٧٣هـ). سنن ابن ماجة. (٢ج). (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي). (د. ط). (د. م). دار إحياء الكتب العربية، (د. ت).

مجمع اللغة العربية (أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمد النجار). المعجم الوسيط. (د. ط). دار الدعوة، (د. ت).

مجهول. (بعد ٣٧٢هـ). حدود العالم من المشرق إلى المغرب. (١ج). (تحقيق اليد يوسف الهادي). (د. ط). القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٣هـ.

المراكشي. (قبل ٦ هـ). الاستبصار في عجائب الأمصار. (١ج). (د. ط). بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٦م.

المزي، أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج جمال الدين ابن الزكي القضاعي الكلبي. (٧٤٢هـ). تهذيب الكمال في أسماء الرجال. (٣٥ج). (ط١). (تحقيق بشار عواد معروف). بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب. (٤٢١هـ). تجارب الأمم وتعاقب الهمم. (٧ج). (ط٢). (تحقيق أبو القاسم إمامي). طهران: سروش، ٢٠٠٠م.

المعجم العربي لأسماء الملابس. (١ج). (ط١). (راجعه عبد الهادي التازي). القاهرة- جمهورية مصر العربية: دار الآفاق العربية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

المغربي، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد. (٦٨٥هـ). الجغرافيا. (د. ط). (د. م). (د. ت).

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري. (٣٨٠هـ). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. (١ج). (ط٣). بيروت: دار صادر، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي. (٨٤٥هـ).

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. (٤ج). (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.
- السلوك لمعرفة دول الملوك. (٨ج). (ط١). (تحقيق محمد عبد القادر عطا). بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني. (١٠٤١هـ). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. (٨ج). (ط١). (تحقيق إحسان عباس). بيروت- لبنان: دار صادر ١٩٠٠، ١٩٦٨، ١٩٩٧م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي. (٧١١هـ).

- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر.(٢٩ج). (ط١). (تحقيق روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع). دمشق، سوريا: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٤م.
- لسان العرب. (١٥ج). (ط٣). (تزييل مجموعة من اللغويين). بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

المنهاجي، شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق الأسيوطي ثم القاهري الشافعي. (٨٨٠هـ). إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى. (٢ج). (تحقيق أحمد رمضان أحمد). (د. ط). (د. م). الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٨٢- ١٩٨٤م.

المهلبي، الحسن بن أحمد العزيزي. (٣٨٠هـ). المسالك والممالك. (١ج). (تحقيق تيسير خلف). (د. ط). (د. م). (د. ت).

الموسوعة الشعرية. معجم الشعراء العرب. (المكتبة الشاملة). (د. ط). (د. م). (د. ت).

الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي. (١٦ج). (أبو سعيد المصري). (المكتبة الشاملة). (د. ط). (د. م). (د. ت).

الميروقي، أبو عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الحميدي. (٤٨٨هـ). تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم. (١ج). (ط١). (تحقيق زبيدة محمد سعيد عبد العزيز). القاهرة- مصر: مكتبة السنة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

ابن ناصر الدين، شمس الدين أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي. (٨٤٢هـ). الرد الوافر. (١ج). (ط١). (تحقيق زهير الشاويش). بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٣هـ.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي. (٤٣٨هـ). الفهرست. (١ج). (ط٢). (تحقيق إبراهيم رمضان). بيروت– لبنان: دار المعرفة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ابن نظيف، أبو الفضائل محمد بن علي الحموي. (ق ٧هـ). التاريخ المنصوري "تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان". (١ج). (تحقيق أبو العبد دودو). (د. ط). دمشق: مطبعة الحجاز، (د. ت).

النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي. (٩٢٧هـ). الدارس في المدارس. (ط١). (تحقيق إبراهيم شمس الدين). (د. ط). (د. م). دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ابن نقطة، أبو بكر معين الدين محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع الحنبلي البغدادي. (٦٢٩هـ). إكمال الإكمال "تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا". (٥ج). (ط١). (تحقيق عبد القيوم عبد ربيب النبي). مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (٦٧٦هـ). تهذيب الأسماء واللغات. (٤ج). (تحقيق شركة العلماء). (د. ط). بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، (د. ت).

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التميمي البكري. (٧٣٣هـ). نهاية الأرب في فنون الأدب. (٣٣ج). (ط١). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ.

الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري. (٣٧٠هـ). تهذيب اللغة. (٨ج). (ط١). (تحقيق محمد عوض مرعب). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي. (٦١١هـ). الإشارات إلى معرفة الزيارات. (١ج). (ط١). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ.

الهمداني، زين الدين أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي. (٥٨٤هـ). الأماكن أو ما اتفق وافترق مسماه من الأمكنة. (١ج). (تحقيق حمد بن محمد الجاسر). (د. ط). (د. م). دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ.

ابن الوردي، أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس المعري الكندي. (٧٤٩هـ). تاريخ ابن الوردي "تتمة المختصر". (٢ج). (ط١). بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ابن الوردي، أبو حفص سراج الدين عمر بن المظفر البكري القرشي المعري الحلبي. (٨٥٢هـ). خريدة العجائب وفريدة الغرائب. (١ج). (ط١). (تحقيق أنور محمود زناتي- جامعة عين شمس). القاهرة: مكتبة الثقافة الإسلامية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٨م.

اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان. (٧٦٨هـ). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. (ط١). (تحقيق خليل المنصور). بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

اليونيني، أبو الفتح قطب الدين موسى بن محمد. (٧٢٦هـ). ذيل مرآة الزمان. (٤ج). (ط٢). (تحقيق وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

اليعقوبي، أبي يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح. (٢٩٢هـ). البلدان. (١ج). (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

